

٢١٨، ٧

٢٢٣

المملكة العربية السعودية
الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة
قسم الدراسات العليا
شعبة الدعوة

الدَّعْوَةُ إِلَى اللَّهِ

في سورة الشعراء

إعداد الطالب : عبد الرحمن محمد الخنار محمد

لنيل درجة العالمية « الماجستير »

إشراف فضيلة الدكتور : محمد السيد الوكيل

العام الدراسي ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٥ م

٨٤

١٢

١٧

١٠٤

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

((بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ))

الحمد لله ذي الجلال والكمال ، المتفضل علينا بجزيل
نعمه ، وفضله ، واحسانه وهدانا للاسلام (وَمَا كُنَّا
لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا اَنْ هَدَانَا اللّٰهُ) .

والصلاة والسلام على الصموت رحمة للعالمين ، بشيروا
ونذروا لقوم يؤمنون محمد بن عبد الله صلى الله عليه وعلى آله
وصحبه أجمعين .

وبعد :-

فان الدعوة الى الله تعالى أمانة عظيمة ، وتكليف شاق
عسير ، لا يقوم بها ويؤدي حقها على الوجه الأكمل الا من أمانه
الله تعالى ، ووقفه الى المسهل الأشمل الا وهو اتباع (القرآن
المعظم) وتدبر آياته ، وترسم منهجه ، وامثال أوامره
ونواهيه ، والأخذ بأحكامه ، والتسلح بحججه وبراهينه
وتطبيق ذلك على نفسه أولا في حياته ، وسلوكه ،
وأخلاقه .

وقد بين الله تعالى مواضع كثيرة أن هذا القرآن كتاب
دعوة نزل لهداية الخلق ، واخراجهم من الظلمات إلى النور ،
وذلك في مثل قوله تعالى :-

(كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ بِاللَّيْلِ عَلَّامَاتٍ لِلنَّاسِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ
بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْمُرْتَبِتِ الْحَمِيدِ) (١) .

وقوله تعالى :- (قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ .
يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِنَ الظُّلُمَاتِ
إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) (٢) .

وقال تعالى : - (إِنْ هَذَا الْقُرْآنُ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ) (٣) .

ولما اختار الله - عز وجل - لي طريق الدعوة ، واتجهت

دراستي إلى التخصص فيها ، وكلفت بإعداد رسالة لنيل الدرجة

الملمية (الماجستير) ، أردت أن يكون موضوعها من القرآن

الكريم ، فاستعرضت آياته ، وتأملت موضوعاته ، فوجدت

أنها قد استوفيت بحثها ودراستها من طامه المسلمين ، ثم

(١) سورة ابراهيم آية (١) .

(٢) سورة المائدة الآية (١٦) .

(٣) سورة الاسراء : الآية (٩) .

وقفت على هذه السورة الكريمة ، وأمنت الفكر فيها ، فوجدتها مناسبة لأن تكون موضع بحث ودراسة .

لذلك أنى بعد استمراعى أسلوبها ، ومنهجها ، وموضوعها ، وجدت أنها تعالج قضايا الدعوة ، ولا تخلو آية من آياتها من توجيه ، أو اقترار قاعدة ، أو رسم منهج من مفاهج الدعوة بالاضافة إلى ما يهبطه القصص فيها بأسلوبه الخاص الشامل من إشارة إلى وحدة الدعوة إلى الله تعالى فى جميع الرسالات .

وما شجعنى على اختيار هذه السورة أنى لم أجد من تطوق إليها بالبحث وأعطاهما ما تستحق من العناية والدراسة ، ان أنى بعد التقصى رأيت أكثر المفسرين يعرطون السورة الكريمة مرورا سريعا خاطفا ، ولا يكاد يقف على آية منها ويتوسع بالبحث فيها ما هذا آيات قليلة ، اتفق أكثرهم على الوقوف عندها بشىء من التفصيل التكرير ، وأما الدراسة المتخصصة فلم أجد من أفراد هذه السورة بشىء منها . فأردت أن أساهم فى خدمة كتاب الله عز وجل ، من خلال

البحث في هذه السورة ، و اظهار ما فيها ، وما تضمنته من
التحدى والاعجاز ، وقصص الأنبياء السابقين ، والتعقيب
على ذلك بذكر دلائل صدق القرآن وصحة تلقيه ، وصدق
نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ، ويبرز من خلال هذه الدراسة
ما في السورة الكريمة من مناهج الدعوة وأساليبها .

وقد واجهتني بعض المقدمات في البحث وأهمها العراجم ،
حيث أتى - كما أسلفت - لم أجد من المفسرين من تعرض للسورة
الكريمة بالبحث الوافي ، سوى الامام الفخر الرازي - رحمه الله -
في تفسيره ، والمرحوم سيد قطب في كتابه (الظلال) ، وكان
للال فضل في تسهيل استخراج المعاني ، والحقائق ،
والأساليب ، وللثاني الفضل في فتح آفاق البحث فسق
ما يتعلق بمواضيع الدعوه ، ولعل القارىء يلمس مدى تأثير
البحث بهذين الكتابين الجليلين ، وبحثت في مصادر أخرى
غير كتب التفسير جمعت منها ما كتب عن السورة ، أو موضوعاتها .
وقد أخذت بمنهج الدراسة الوصفية التحليلية - من
غير خوغي في اللغويات الا في ما دعت إليه الضرورة - وذلك للوصول

الى مقصودى فى هذا البحث وهو اظهار الجوانب المتعلقة
بالدعوة ، قواعدها ، ومناهجها ، وأساليبها .

والترزمت عدم الخروج عن السياق فى السورة الا اذا كان
استكمال البحث يقتضى ذلك ، وقسمت أبواب وفصول الرسالة على
مواضيع السورة فجاءت على :- تمهيد ، وثلاثة أبواب تحسوى
ستة فصول وخاتمة على النحو التالى :-

أ - التمهيد :-

وفيه : التعريف بالسورة الكريمة ، ومناسبتها لما قبلها
وبيان الحكى والمدنى منها ، وما ورد فيها من أسباب النزول .

أما الأبواب فهى :-

ب - الباب الأول :-

وهو خاص بمقدمة السورة ، وفيه فصلان :-

الفصل الأول : عن الأحرف المقطعة فاتحة السورة وما فيها
من التحدى والاعجاز .

الفصل الثانى : الدعوة فى مكة فى صدر السورة وفيه صحتان :-

الأول منهما : تسليمه الرسول صلى الله عليه وسلم ، والتخفيف

عنه لما لقيه من أذى المشركين واعراضهم .

الثانى : المنهج القرآنى فى اثبات وحدانية الله تعالى

وربوبيته بطريق النظر والاستدلال .

ج : الباب الثانى :-

(وسط السورة وهو القصص) وفيه فصلان :-

الفصل الأول : دراسة دعوة الأنبياء - طيهم السلام - من

خلال القصص فى السورة .

الفصل الثانى : فى خصائص دعوة الأنبياء - طيهم السلام -

فى ضوء السورة .

د : الباب الثالث :-

خاتمة السورة وفيه فصلان :-

الفصل الأول : دلائل صدق القرآن ونبوة محمد صلى الله

عليه وسلم فى خاتمة السورة .

الفصل الثاني : الأمر بالجهر بالدعوة والاعراض عن

المكذابين .

وختمت البحث بخاتمة بينت فيها خلاصة ونتائج دراسة

السورة الكريمة .

وهذا التقسيم يتناسب مع المواضيع التي طالجها السياق

في السورة ، ويتسع البحث باتساعها كما يقل عند ما

تكون مختصره .

وختاماً :-

أتوجه بالشكر الجزيل لأستاذي الجليل فضيلة

الدكتور (محمد السيد الوكيل) الذي لم يخل طوي

بشيء من توجيهاته ونصائحه التي كان لها أثر كبير

في ظهور هذه الرسالة ، ومنعني الكثير من وقتيه

رغم شاقته الكثيره ، وكان يقوم بقراءة ما أقدمه

له بكل عنايه ويكتب توجيهاته في المواضع التي تقتضيها

فجزاه الله عنى خيراً .

كما أتوجه بالشكر الى الجامعة والقائمين عليها
وطى رأسهم معالى رئيس الجامعة لاسهامهم بالجهد
المخلصة فى نشو العلم ، وتسهيل سبيل طلبه .

وآمل أن أكسون قد أسهمت بهذه الرسالة فى خدمة
كتاب الله تعالى ، وهذا جهد المقل ، وما كان فيها مسن
توفيق فهو من الله ، وما كان من تصور فمنى ، والله تعالى
أسأل أن يجعل عطسى هذا خالصا لوجهه الكريم وينفع به ،
انه سميع مجيب .

التعبير

((بسم الله الرحمن الرحيم))
~~~~~

وفيه :-

- أ - نزول السورة الكريمة وموقعها من سور القرآن .
- ب - مناسبة السورة لما قبلها .
- ج - بيان المكي والمدني منها وما ورد فيها من أسباب النزول ، وما ورد في فضلها .
- د - موضوع السورة الكريمة واتجاهها .

## نزول السورة وموقعها من سور القرآن :-

تقع هذه السورة الكريمة في الجزء التاسع عشر بين سورتي الفرقان والنمل ، وهي السادسة والعشرون في ترتيبها بالمصحف ، وذكر (الزركشى) - رحمه الله - في (البرهان) سورة الشعراء في عداد السور الحكية ، وذكر أن ترتيبها (السادس والأربعون) في تاريخ النزول بعد سورة الواقعة وقبل سورة النمل .

ولم يعرف تاريخ محمّد لنزول السورة سوى ما ذكر من أنها نزلت بعد سورة الواقعة ، والتي نزلت بعد سورة طه ، وكان نزول سورة طه فيما بين الهجرة إلى الحبشة والاسراء ، فيكون نزول سورة الشعراء في هذا التاريخ أيضاً (١) .

---

(١) انظر - البرهان في علوم القرآن - الزركشى - ج١ - ص ١٩٣ .  
الطبعة الثانية .

مناسبة السورة لما قبلها :-  
 ~~~~~

يختلف ترتيب القرآن في النزول عن ترتيبه في المصحف اختلافا

كبيراً ، وذلك لاختلاف الهدف المقصود من كلا الترتيبين ،

والقرآن الكريم نزل منجماً على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في

عشرين سنة ، أو ثلاث وعشرين ، أو خمس وعشرين ، وهذا مبنى على

الخلافا في اقامته - صلى الله عليه وسلم - بمكة بعد البعثة .

وقد روى الامام البخارى - رحمه الله - عن عائشة - رضي الله عنها -

ما يدل على الحكمة في إنزاله مفرقا على هذه المدة الطويلة - قالت :

" انما نزل أول ما نزل منه سورة من المفصل ، فيها ذكر الجنة والنار ،

حتى إذا تاب الناس الى الاسلام نزل الحلال والحرام ، ولو نزل أول

شيء :- لا تشربوا الخمر ، لقالوا : لاندع الخمر أبداً ولو نزل :- لا تزنوا

لقالوا :- لا ندع الزنا أبداً (١) .

يقول الاستاذ : عبدالقادر عطا في مقدمة تحقيقه لكتاب (أسرار

ترتيب القرآن) للسيوطى :-

(١) صحيح البخارى ج ٢ ص ٢٢٨ باب تأليف القرآن

(فالمقصود الرئيسي (أي من نزول القرآن مفرقا) هو مراعاة حاجة الدعوة الى الدين الجديد من الوجهة التربوية الالهية الخالصة والتدرج بالناس شيئا فشيئا حتى يتم المراد من اكمل الدين وتمسك النعمة ، دون أن تكون هناك عوائق نفسية تعوق الانسان السوي عن متابعة التنزيل ، وتدبر معانيه ، والاقتناع بمراميه ، والعمل بما تضمنه من أحكام وآية ذلك :- أن الفترة المكثمة على طولها ، لم تكن التعاليم القرآنية فيها متجهة إلى بناء العقيدة ، وترسيخها في أعماق الوجدان ، ولم يشرع من العبادات فيها الا الصلاة ، باعتبارها تجديدا دائما ، ومتكررا لقوة العقيدة وفاظطيتها ، وماذا الا لأن العقيدة هي قوة الدفع للإنسان المؤمن نحو الطاعة المطلقة لله في الأمر والنهي وآية صدق هذا المنهج التربوي :- ما أنجزه الرعيل الأول نسي المدينة من أعمال عظمى ، يعجز عنها انسان ذو عقيدة لا تتسم بالاصالة والرسوخ والعمق واليقين .

فالقرآن على منهج النزول هو منهج دعوة لتأسيس دين ، بسنن قوم لا يدينون بالحق ، ومنهج تربية لأمة مختارة ، ومصطفاه لنشر هذا الدين بمختلف الوسائل المشروعة للدعوة ، ومنها : الجهاد بالسيف الذي نسخ كل الوسائل السابقة ، ومنها : الصبر على ما يصيب الدعوة ،

والدعوة باللين والحسنى (١) .

ومن أسباب نزول القرآن مفرقا ماورد في قوله تعالى : (وَقَسَّالَ
الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمُوعَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ
قُوَّةَ أَدْنِكَ وَوَرِثَتَنَا تَتْرِكًا) (٢) .

(وتثبتت فؤاد النبي - صلى الله عليه وسلم - فسرهُ أبو شامة بقوله ؛
إن الوحي اذا كان يتجدد في كل حادثة كان أقوى بالقلب ، وأشد
عناية بالمرسل إليه ، ويستلزم ذلك كثرة نزول الملك اليه ، وتجسد
العهد به ، وبما معه من الرسالة الواردة من ذلك الجنب العزيز ،
فيحدث له من السرور ما تقصر عنه العبارة ، ولهذا كان أجود ما يكون في
رمضان ، لكثرة لقاءه جبريل (٣) .

ولا يخرج هذا التعليق عن المصلحة العليا للدعوة الناشئة ، ولكن في
شخص الداعي الأعظم ، بما يتناسب مع المهمة العظمى ، التي أمر أن يصدع
بها ، ويجاهد الأمم من أجل ارساء قواعد لها ، وفي قوة الداعي قوة
لاتباعه (٤) .

(١) اسرار ترتيب القرآن - للسيوطي - ص ٢٥ - المقدمة .

(٢) الآيه : سورة الاسراء .

(٣) مقدمة أسرار ترتيب القرآن - للسيوطي - ص ٢٦ .

(٤) المرجع السابق .

وترتيب الآيات في المصحف أجمع العلماء - رحمهم الله - على أنه توقيفي ، مع القطع بذلك ، واختلفوا في ترتيب السور :- هل هو بتوقيف من النبي - صلى الله عليه وسلم - أو هو باجتهاد من الصحابة ؟ ولهم أقوال عدة لا مجال لبسطها ههنا^(١) ، وإنما المقصود بهتسان اجتهادهم في مناسبة هذه السورة للتي قبلها وهو :-

(١) أنه - تعالى - لما أشار في سورة الفرقان الى قصص مجطة بقوله :-
 (وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيْرًا . فَظَنَّا
 اذْهَبَا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا فَدَرَسْنَاهُم تَدْمِيرًا . وَقَسَمَ
 نُوْحٌ لِّمَآ كَذَبُوا الرُّسُلَ أَفْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَا لَهُمُ لِلنَّاسِ آيَةً وَأَعَدْنَا
 لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا . وَمَادَا وَتَمُودَ وَأَصْحَابَ الرَّسِّ وَقُرُونَا
 بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا)^(٢) شرح هذه القصص ، وفصلها ، أبلغ تفصيل
 في الشمره التي تليها ، ولذلك رتب على ترتيب ذكرها
 في الآيات المذكورة ، فمدى بقصه موسى ، ولو رتب على الواقع
 لأخرت كما في الأعراف .

(١) للوقوف على هذه الأقوال وتفصيلها ، ارجع الى كتاب (أسرار ترتيب القرآن) للسبوطي : ص ٦٨ وما بعدها .
 (والاتقان) ج ١ ص ٦٣ وما بعدها .
 (٢) الآيات ٣٥١ ، ٣٨١ ، سورة الفرقان .

ولما كان في الآيات المذكورة قوله (وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا)^(١) زاد في
الشعراء تفصيلاً لذلك قصة قوم ابراهيم ، وقوم لوط ، وقوم شعيب .

ولما ختم الفرقان بقوله : (وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا)^(٢)
وقوله :- (وَإِذَا مَرُوا بِاللُّغُوِّ مَرُوا كِرَامًا)^(٣) . ختم هذه المسورة
بذكر الشعراء الذين هم بخلاف ذلك ، واستثنى منهم من سلك سبيل
أولئك ، وبين ما يمدح من الشعر ويدخل في قوله (سلاما) . وبين
ما يذم منه ويدخل في (اللغو)^(٤) .

(١) الآي : ٣٨ - الفرقان .

(٢) الآي : ٦٣ - الفرقان .

(٣) الآي : ٧٢ - الفرقان .

(٤) اسرار ترتيب القرآن - جلال الدين السيوطي - ص ١٢٠-١٢١ : ط .
الثاني . وانظر كذلك :- تفسير البحر المحيط - لابي حسان -
ج ٧ - ص ٢٢ . الطبعة الأولى .

بيان المكي والمدني منها وما ورد فيها من أسباب النزول :-

جمهور المفسرين على أن هذه السورة الكريمة مكية بتمامها ، واستثنى بعضهم من ذلك أربع أو خمس آيات من آخرها ذكروا أنها نزلت بالمدينة وهي قوله تعالى :- (وَالشُّعْرَاءُ يُتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ...) الآيات السبع (١) آخر السورة .

وقال مقاتل :- منها مدني :- الآية التي يذكر فيها الشعراء ، وقوله تعالى (أَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةٌ أَنْ يَأْتِيَهِمُ طَمَاحُ بَنِي إِسْرَائِيلَ) (٢) والاستثناء الأول قول لابن عباس ، وقال به مجاهد ، وعكرمة ، وابن جرير ، والفخر الرازي في تفسيرهما لما أخرج ابن جرير ، وابن أبي حاتم ، وابن مردويه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال :- تنهاجى رجلان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أحدهما من الأنصار ، والآخر من قوم آخرين ، وكان مع كل واحد منهما غواة من قومه ، وهم السفهاء ، فانزل الله تعالى :- (وَالشُّعْرَاءُ يُتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ) الآيات (٣) .

(١) الجامع لأحكام القرآن - القرطبي - ج ١٣ - ص ٩٧ - الطبعة الثالثة .

(٢) المرجع السابق .

(٣) تفسير الطبري ج ٩ ص ١٢٧ ط . الثالثة .

وأخرج ابن جرير أيضا والحاكم عن أبي حسن البراء قال : - لما
 نزلت (والشعراء) الآيات جاء عبد الله بن رواحة ، وكعب بن مالك ،
 وحسان بن ثابت فقالوا :-

يا رسول الله : والله لقد أنزل الله تعالى هذه الآية وهو يعلم أننا
 شعراء هلكتنا ! فأنزل الله : - (إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ)
 فدعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ففلاها عليهم . (١)

وقال أبو الحسن المبرد :- (لما نزلت (والشعراء) جاء
 حسان بن ثابت ، وكعب بن مالك وابن رواحة فيكون إلى النبي صلى
 الله عليه وسلم فقالوا :- يا نبي الله أنزل الله تعالى هذه الآية وهو
 تعالى يعلم أننا شعراء ، فقال :- اقروا ما بعدها :- (إِلَّا الَّذِينَ
 آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ) أنتم ، وقوله :- (وَأَنْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا)
 أنتم . أي بالرد على المشركين) (٢) .

وأما الجمهور القائلون بأن السورة مكية بتدريجها ، فهم على رأيين
 في سبب نزول الآيات :-

(١) أسباب النزول - السيوطي . ص ١٦٤ ط ٣ ، الثالثة .

(٢) القرطبي ج ١٣ ص ١٥٢ ط ٣ ، الثالثة .

فمنهم من يرى أن الآيات نزلت في شعراء المشركين الذين كانوا يهجون النبي صلى الله عليه وسلم ومن آمن معه ، ويعرضون بالاسلام .

قال القرطبي - رحمه الله تعالى - : - نزلت في عبد الله بن الزبير وسافع بن عبد مناف وأميمة بن أبي الصلت ، وأصناف : - .

وأما قوله تعالى : - (يقولون مالا يفعلون) قبل أنها نزلت في أبي عزة الجمعي حيث يقول : -

ألا أبلغا عنى النبي محمدا بأنك حق والطيبك حميد
ولكن اذا ذكرت بدرا وأهلها تأوه منى أعظم وجلود (١)

وقال القاضي أبو حيان : - (قبل أنها نزلت في أميمة بن أبي الصلت ، وأبي عزة وسافع الجمعي ، وهبيرة بن أبي وهب ، وأبي سفيان بن الحرك ، وابن الزبير . وقد أسلم ابن الزبير ، وأبو سفيان ، والشعراء عام يدخل فيه كل شاعر) (٢) .

ويرى الآخرون ، ومنهم الحافظ ابن كثير - رحمه الله - أن هذه الآيات نزلت للتفريق بين النبي - صلى الله عليه وسلم ، وبين الشعراء ، وذلك أنه تعالى لما ذكر في هذه السورة ما يزيد الهم والحزن عن الرسول صلى الله عليه وسلم من الدلائل العظيمة ، ومن أخبار الأنبياء المتقدمين ،

(١) القرطبي ج ١٣ ص ١٥٢ ط. الثالث .

(٢) تفسير البحر المحيط - أبي حيان ج ٧ ص ٢٢ ط. الأولى .

ثم ذكر الدلائل على نبوته على الله عليه وسلم ، وأن القرآن مستنزل من عنده تعالى ، وردت هذه الآيات بعد ذلك لتنفى عن النبى صلى الله عليه وسلم تهمة اتهمه المشركون بهما وهما الكهانة والاتصال بالشياطين ، والشعر .

فذكر سبحانه وتعالى أولاً ما يدل على الفرق بينه صلى الله عليه وسلم ، وبين الكهنة ثم فرق بينه وبين الشعراء .

قال الحافظ بن كثير :- (المراد من هذا أن الرسول صلى الله عليه وسلم الذى أنزل عليه القرآن ليس بكاهن ولا شاعر ، لأن حالته مناف لحالهم من وجوه ظاهره ، كما قال تعالى :- (وَمَا ظَنَّنَاهُ الشَّعْرَ وَمَا يَنْهَى لَهُ أَنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ) (١) . وقال تعالى :- (إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ، وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَاتُوهُنَّ ، وَلَا يَقُولُ كَاهِنٌ قَلِيلًا مَاتَدَّكُرُونَ ، تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ) (٢) .

وهكذا قال هنا :- (وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ، عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ، بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ) . الى أن قال :- (وَمَا تَنْزَلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ ، وَمَا يَنْهَى لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ . انْهَمَّ عَنِ السَّمْعِ لِعَزْمِهِمْ) .

(١) الآية : ٦٩ يس .

(٢) الآية : ٤٠-٤٣ الحاقة .

الى أن قال : - (هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ . تَنَزَّلُ
عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ، يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْتَرَهُمْ كَاذِبُونَ . وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ
الْغَاوُونَ . أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ . وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ
مَا لَا يَفْعَلُونَ) ١٠ هـ .

وقال المباحي^(١) : - (سميت هذه السورة بها لاختصاصها بتميز
الرسل عن الشعراء لأن الشاعر ان كان كاذبا فهو رئيس النواة ، لا يتصور
منه الهداية ، وان كان صادقا لا يتصور منه الافتراء على الله ، وهذا من
أعظم مقاصد القرآن) .

(١) المخدوم المباحي : ٧٧٦ - ٨٣٥ هـ . طي بن أحمد بن عيسى
المباحي الهندي ، أبو الحسن علاء الدين ، المعروف بـ (المخدوم)
مفسر ، فقيه .
من مؤلفاته : (تبصير الرحمن وتيسير المنان ببعض ما يشير الى اعجاز
القرآن) و (زوارف اللطائف في شرح عوارف المعارف) و (أدلة
التوحيد) وغيرها .
انظر : الاعلام / للزركلي ٢٥٧ / ٤ (الطبعة الخامسة) .

وضح هذا العلامة القاسمي^(١) بقوله :- (يشير الى أن ذكر
الشعراء فيها لبيان أنهم^{في} معزل عن الرسالة ، وتبرئة مقام الرسول
صلى الله عليه وسلم عما افتروا عليه من أنه شاعر ، فالسورة على هذا
كلها مكية رداً لغريبتهم) .^(٢)

(١) جمال الدين القاسمي (١٢٨٣ - ١٣٣٢ هـ) .

جمال الدين ، أو (مجتهد جمال الدين) بن محمد سعيد بن
قاسم الحلاق ، من سلالة الحسين السبط .
امام الشام في عصره ، عطا بالدين ، وتضلعا في فنون الأدب
مولده ووفاته في دمشق .

كان سلفي العقيدة لا يقول بالتكفير .

من مؤلفاته :- (محاسن التأويل) و (قواعد التحديث مسن
فنون مصطلح الحديث) و (دلائل التوحيد) وغيرها .
الاعلام ٢ / ١٣٥ ، ط . الخاصة .

(٢) محاسن التأويل : ج ١ ص ٤ ، الطبعة الثانية ١٩٨٠ هـ .

وقال الامام الفخر :- (أعلم أن الكفار لما قالوا :- لم لا يجوز
أن يقال ان الشياطين تنزل بالقرآن على محمد كما أنهم ينزلون بالكهانة
على الكهنة ، وبالشمر على الشمراء ؟ ثم انه سبحانه فرق بين محمد
صلى الله عليه وسلم وبين الكهنة ، فذكر ههنا ما يدل على الفسوق
بينه وبين الشمراء ، وذلك هو أن الشمراء يتبعهم الفاوون - أي
الضالون - ثم بين تلك الغواية بأمرين :-

الأول :-
مهممممممم

أنهم في كل واد يبهجون ، والمراد منه :- الطرق المختلفة ،
كقولك :- أنا في واد وأنت في واد ، وذلك لأنهم قد يمدحون الشيء
بعد أن ذموه ، وبالعكس وقد يعظموه بعد أن استحقروه ، وبالعكس ،
وذلك يدل على أنهم لا يطلبون بشمرهم الحق ، ولا الصدق ، بخلاف
أمر محمد صلى الله عليه وسلم ، فانه من أول أمره الى آخره بقي
على طريق واحد ، وهو :- الدعوة الى الله ، والترغيب في الآخرة ،
والاعراض عن الدنيا .

الثاني :-
مهممممممم

أنهم يقولون ما لا يفعلون ، وذلك أيضا من علامات الغواية ،

فانهم يرغبون في الحق ، ويرغبون عنه ، وينفرون عن البخل ،
ويصرون عليه ، ويقدمون في الناس بأدنى شيء صدر عن أسلافهم (١) .
قلت : وهذا هو الذي طمحه أكثر المفسرين في معنى الآيات
الكريمة .

ونقل (القاسمي) عن (الداني) قوله :- (روى بسند صحيح
أنها نزلت في شاعرين تهاجبا في الجاهلية مع كل واحد منهما
جماعة ، فالسورة على هذا كلها مكيه (٢) .

ولكني لم أجد من وافقه على هذا القول ، أو أشار إليه .
فحصل مما سبق ذكره أن المفسرين - رحمهم الله - على ثلاثة
آراء في سبب نزول الآيات :-

أولها :-
مهممممم

أن الآيات نزلت في شاعرين تهاجبا ، أحدهما من الأنصار ،
والآخر من قوم آخرين ، ومع كل واحد منهما غواة من قومه ، وطمس
هذا فالآيات نزلت في المدينة .

(١) مفاتيح الغيب - الرازي ج ٢٤ ص ١٧٥ ط . الأولى .
(٢) معاسن التساويل ج ١٣ ص ٤ . ط . الثاني .

الثاني :-

أن الآيات نزلت في شعراء المشركين الذين كانوا يهجون النبي صلى الله عليه وسلم ، ومن معه من المؤمنين ، وهمرضون بالاسلام ، كابن الزبير ، وأبوسفيان بن الحرث ، وأمّية بن أبي الصلت ، واستدل بهذا من يروى أن الآيات الكريمة نزلت بمكة ، وان كان يحتمل أيضا أن تكون مدنية .

الثالث :-

أنها نزلت في الرد على المشركين الذين اتهموا النبي صلى الله عليه وسلم بالشعر فنزلت الآيات للتفريق بينه صلى الله عليه وسلم وبينهم ، وقد استدل بهذا من يروى أن الآيات مكية النزول .

وأما قوله تعالى :- (إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ..)

الآية . فتقدمت رواية ابن جرير والحاكم عن أبي حسن البراء قال :- لما نزلت (وَالشُّعْرَاءُ) الآيات ، جاء عبد الله بن رواحة ، وكعب ابن مالك ، وحسان بن ثابت فقالوا :- (يا رسول الله والله لقد أنزل الله تعالى هذه الآية وهو يعلم أن شعراء ، هلكنا ! فأنزل

الله (الا الذين امنوا وعملوا الصالحات) فدعاهم رسول الله

عليه وسلم فتلاها عليهم .

وروى ابن ابي حاتم بسنده قال : - حدثنا ابي محمدنا ابو مسلم

حدثنا حماد بن سلمة عن هشام بن عروة عن عروة قال : -

لما نزلت (والشعراء يتبعهم الغاؤون) الى قوله (وانهم يقولون

ما لا يفعلون) . قال عبد الله بن رواحة : -

يا رسول الله قد علم الله انى منهم ، فانزل الله - (الا الذين
(١)

امنوا وعملوا الصالحات) الآية .

قال الحافظ ابن كثير - رحمه الله - : (وهكذا قال ابن عباس

وعكرمة ، ومجاهد ، وقتادة ، وزيد بن اسلم ، وغير واحد ، ان

هذا استثناء مما تقدم ، ولا شك انه استثناء ، ولكن هذه السورة

مكية ، فكيف يكثر سبب نزول الآية شعراء الانصار ؟

وفى ذلك نظر ولم يتقدم الامرات لا يعتمد عليها ، والله

اعلم (٢) .

(١) تفسير ابن كثير ج٣ ص ٣٥٤ ن . دار المعرفة .

(٢) المرجع السابق ج٣ ص ٣٥٤ .

قلت : - كون السورة مكية لا يمنع أن يكون فيها آيات مدنيمة ،
وهذا كثير في سور القرآن ، وهذه الروايات ، وان كانت مرسله ،
لها ما يقويها بأسانيد أخرى .

فقد روى الامام أحمد في مسنده قال : - حدثنا عبد الله ، حدثني
أبي ، حدثنا أبو اليمان قال : - أنبأنا شعيب عن الزهري قال : - حدثني
عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك أن كعب بن مالك حين أنزل
الله تبارك وتعالى في الشعر ما أنزل أتى النسبي - صلى الله عليه وسلم -
فقال : - (ان الله تبارك وتعالى قد أنزل في الشعر ما قد علمت
وكيف ترى فيه ؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم : - " ان المؤمن
بجاهد بسيفه ولسانه " (١)

وروى ابن سعد - رحمه الله - في الطبقات قال : - أنبأنا يزيد
ابن هارون ، أنبأنا حماد عن هشام عن أبيه (لما نزلت (والشعراء
يتبعهم الغاوون) . قال عبد الله بن رواحة : - قد علم الله
أنى منهم ، فأنزل الله : - (إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ)
حتى ختم الآية (٢) .

(١) سند الامام أحمد - ج ٣ - ص ٤٥٦ . ط . الثانية . وصححه ابن حبان
تحت الرقم ٢٠١٨ .

(٢) الطبقات الكبرى ، لابن سعد ج ٣ - ص ٥٢٨ .

وقال الامام ابن عبد البر - رحمه الله - في ترجمة عبد الله بن

رواحة :- (وفيه وفي صاحبيه نزلت :- (إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا
الصَّالِحَاتِ . . . الْآيَاتِ) (١) .

وهكذا قال الحافظ ابن حجر رحمه الله !

وقال ابن جرير - رحمه الله - :- (وقوله تعالى :- (إِلَّا الَّذِينَ
آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ) هذا استثناء من قوله تعالى :- (وَالشُّعْرَاءُ
يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ) (إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ) وذكروا
أن هذا الاستثناء نزل في شعراء رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
كعسان بن ثابت وكعب بن مالك ، ثم هو لكل من كان بالصفة التي
وصفه الله بها ، وبالنزدي قلنا في ذلك جاءت الأخبار) (٣) .

(١) الاستيعاب : ابن عبد البر ج ٣ - ص ٨٩٨ .

(٢) الاصابه : ج ٢ ص ٣٠٧ .

(٣) تفسير الطبري ج ١٩ ص ١٢٨ ، الطهمة الثالثة .

قلت :- وهذا هو الذي يظهر لى - والله تعالى أعلم .
يدل عليه قوله تعالى :- (^{٥٥} **وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا**) . فالآيات
الكريمة نزلت في ذم المشركين الذين كانوا يُمرضون بالاسلام وبأهله
ثم استثنى تعالى منهم - المشركين - من أصحاب النبي - صلى الله عليه
وسلم - الذين ناصروا الحق ، وناصحوا عن الاسلام بشركهم .

وورد في فضل السورة الكريمة ما رواه الامام أحمد في مسنده
عن واظلة بن الأسقع قال :- قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
" أعطيت مكان التوراة السبع الطوال ، وأعطيت مكان الانجيل
المثنى ، وفضلت بالمفضل (١) .

(١) أخرجه الامام أحمد في المسند ج ٣ - ص ١٢٤ ، والهيثمى فى
(مجمع الزوائد) ج ٧ - ص ١٥٨ وعزاه للطبرانى أيضا عن وائلة
ابن الاسقع ، وأبى أمامة .

موضوع السورة الكريمة :-
~~~~~

نزلت السورة الكريمة في فترة كان فيها الصراع بين الحق والباطل على أشده في مكة بين النبي - صلى الله عليه وسلم - ومن آمن معه ، والممارضين الكذابين من كفار قريش .

اتخذ الصراع طابعا فكريا فقاديا حول حقيقة هذا الدين العظيم ، وحقيقة القرآن الكريم ، وصحة تنزيله ، وصدق ماورد فيه من أخبار وقضايا كان على رأسها قضية الايمان بوحداية الله تعالى وانفراده - جل شأنه - بربوبية الكون وما فيه من مخلوقات ، ووجوب طاعة الرسل ، وأتباعهم فيما أرسلوا به من أوامر ونواهي .

ولهذا لا غرابة في أن نجد السياق في هذه السورة الكريمة متجها لمعالجة هذه القضايا الطحة في تلك الفترة المصيبة من تاريخ الدعوة المحمدية في مكة .

اشتركت معها في هذا جميع السور المكية تقريبا في هذا ، وان اختلف السياق والأسلوب .

فلقد كانت معارضة المشركين من أهل مكة للنبي - صلى الله عليه وسلم - مركزة في موضوعين أساسيين :-

أولهما :-  
~~~~~

التكذيب بالتوحيد ، ولما أمرهم به - صلى الله عليه وسلم -
من افراد العبادة لله تعالى وحده لا شريك له ونهض عبادة
الأصنام .

ولهذا قالوا :- (أَنَا لَتَارِكُوا آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَجْنُونٍ) (١) ؟
وقالوا :- (أَجْعَلُ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجَابٌ)
(مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْبَطْنِ الْأَخْيَرَةِ إِنَّ هَذَا إِلَّا اخْتِلَافٌ) (٢) .

الثاني :-
~~~~~

التشكيك في القرآن العظيم ، وفي صحة تنزيله .  
زعموا أولا : أنه من قول البشر فقالوا :- ( إِنَّ هَذَا إِلَّا قَوْلُ  
الْبَشَرِ ) (٣) .

وقال تعالى حكاية عنهم :- ( وَلَقَدْ عَلِمُوا أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا  
يَعْلَمُهُ بَشَرٌ ) (٤) .

---

( ١ ) الآية : ٣٦ الصافات .  
( ٢ ) الآياتان : ٧٠ ، ٥ سورة (ص) .  
( ٣ ) الآية : ٢٥ ، الطه .  
( ٤ ) الآية : ١٠٣ ، النحل .

فتحداهم سبحانه - بأن هذا القرآن الذي بين أيديهم انما نزل  
 بلسانهم وعلی لغتهم ، وهم أهل الفصاحة والبلاغة - بل هم أفصح  
 العرب - فان كان من قول البشور فلا بد أنكم تستطيعون الاثبات  
 بطله ، أو بحشر سورة ، أو بمسورة منه ، وهذا في مقدوركم ان كان  
 كما زعمتم .

فظهر عجزهم أمام عظمة القرآن وفصاحته فقالوا ( إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ  
 مُّبِينٌ ) (١) . (وَأَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُلَقَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا) (٢)  
 إلى غير ذلك من التهم الباطلة التي حاولوا الصاقها بالقرآن تهريرا  
 لعجزهم وقصورهم .

ونتج عن هذين الأمرين الاستهزاء بالنبي - صلى الله عليه وسلم -  
 والتكيل به وبمن آمن معه ، وصد الناس عنهم ، وسألوه - صلى الله  
 عليه وسلم - أن ينزل عليهم آية ظاهرة تدل على صدقه ، وصدق تلقيه  
 لهذا القرآن من الله تعالى .

فجاء الجواب عن هذا كله في هذه السورة المكية ، وغيرها مسنن  
 السور التي نزلت بمكة .

( ١ ) الآية : ٧ سورة هود .

( ٢ ) الآية : ٦ الفرقان .

وأبرز ما يظهر- في موضوع السورة - اتجاهها لمعالجة المقيدة

في أمورها الأساسية :-

( ١ ) توحيد الله تعالى : ( فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتُكُونَ مِنَ  
الْمُكَذِبِينَ ) ( ١ ) .

( ٢ ) التحدى بالقرآن : ( طَسِمَ . تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ) ( ٢ ) .  
واقامة الدلائل على صدقه وصحة تنزيله ( وَانَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ  
نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ . عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ . بِلسَانٍ  
عَرَبِيٍّ مُبِينٍ . وَانَّهُ لَنفِي زُبُرِ الْأَوْلِيَيْنِ ) ( ٣ ) .

( ٣ ) ماورد من سؤال المشركين آية ، فجاء الجواب :-

( إِنْ نَشَأْ نُغِثْ لَهُمْ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقَهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ ) ( ٤ ) . آية  
دالة على وجود الله تعالى وقدرته وعظمته .

وفي التعميق على مصارع المكذبين ( إِنْ فِي ذَلِكَ لآيَةٌ وَمَا كَانَ

أَكْثَرَهُمْ مُؤْمِنِينَ ) آية دالة على قدرة الله تعالى على نصرته أوليائه ،

واهلاك المكذبين لرسله .

( ١ ) الآيه : ٢١٣ ، الشعراء .

( ٢ ) فاتحة السورة الكريمة .

( ٣ ) الآيات : ١٩٢ الى ١٩٦ الشعراء .

( ٤ ) الآيه : ٤٠ سورة الشعراء .

وفي التعقيب على دلائل صدق القرآن وصحة تنزيله ( أولم يكن  
لهم آية أن يعلمه ظمأ بني إسرائيل ) ( ١ ) .

هذا الى جانب العناصر الأخرى التي ظهرت بشكل جلي مسن  
خلال قصص الانبياء السابقين مع أممهم :-

ففي قصة ( موسى ) مع ( فرعون ) برز نقاشه مع ( فرعون ) حول  
توحيد الربوبية .

في السورة الكريمة - كما لم يبرز في أى سورة أخرى من السور  
التي وردت فيها قصته - طيه السلام - ( قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ .  
قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنَّ كُنْتُمْ مَوْتِينَ ، قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا  
تَسْمِعُونَ . قَالَ رَبُّكُمْ رَبُّ آبَائِكُمْ الْأَوَّلِينَ . قَالَ إِنْ رَسُولُكُمْ السَّنَذِي  
أَرْسَلَ إِلَيْكُمْ لِمَجْنُونٍ . قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ  
تَعْقِلُونَ ) ( ٢ ) .

كما ظهر في قصة ( ابراهيم ) جداله مع قومه في توحيد الألوهية :-  
( إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ : قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظُلُّ لَهَا  
عَاكِفِينَ . قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ . أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ . قَالُوا  
بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ . قَالَ أَفَأَنْتُمْ تَعْبُدُونَ . أَنْتُمْ

( ١ ) الآية : ١٩٧ الشعراء .  
( ٢ ) الآيات : ٢٣ الى ٢٨ الشعراء .

وَأَبَاؤَكُمْ الْأَقْدَمُونَ . فَانْهَمْ هَدُو لِي يَا رَبِّ الْمَالِمِينَ . السَّنْدِي  
 خَلَقَنِي فَهُو يَهْدِينِ . وَالَّذِي هُوَ يُطْمِئِنِّي وَيَسْقِينِ . وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ  
 يَشْفِينِ ( ١ ) . . . الآيات .

كما ظهر من خلال هذه القصة قضية الايمان بالبعث بعد الموت

والجزاء والحساب والخوف من الآخرة :- ( وَلَا تَحْزَنْ يَوْمَ يَمْشُونَ .  
 يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ) .

( وَأَرْزَقْنَا الْجَنَّةَ لِّلْمُتَّقِينَ . وَبَرَزْنَا الْجَحِيمَ لِّلْفَاسِقِينَ . وَقِيلَ لَهُمْ  
 آمِنُوا مَا كُنْتُمْ تُكْفِرُونَ مِّنْ دُونِ اللَّهِ هَلْ يَنْصُرُونَكُم مَّا يَنْتَصِرُونَ ( ٢ ) .  
 أحوال أهل الايمان . وأهل الكفر يوم القيامة .

كما ظهر في السورة الكريمة - التشديد في أمر التقوى إذ هي

مصدر الخير ومجانبتها شر وفساد ، وعن طريقها يحصل الوازع الديني  
 لدى الأمم والافراد فيحول بينهم وبين التعرض لسخط الله ونقته .

فكل نبي - ورد ذكره في السورة - يخاطب قومه قبل مواجبتهم

بما هو من شأنهم - يخاطبهم قائلًا :- ( إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ . فَاتَّقُوا  
 اللَّهَ وَأَطِيعُوا ) .

( ١ ) الآيات ٢٠-٨٦ الشعراء .

( ٢ ) انظر الآيات : ٩٠-١٠٢ الشعراء .

وهذا الخطاب في مقدمة دعوات الانبياء في السورة ، دون غيرها .

كل هذا الى جانب تسليمة الرسول - صلى الله عليه وسلم - والتخفيف

عنه لما يلقي من أذى الشركين واعراضهم ( لَمَلِكٍ بَاخِعٍ نَفْسِكَ أَلَّا يَكُونُوا

مُؤْمِنِينَ ) (١) . وهذا نظير قوله تعالى ( فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَاتٍ ) (٢)

وقوله تعالى : ( وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ ) (٣) .

وكذلك طمأنة قلوب المؤمنين ، وتصبرهم على ما يلقونه ، وتشبثهم

على الحق كما ثبت من قلوبهم من المؤمنين ، وانتبهى بهم الامر السي

النجاة وهلاك الكافرين .

( والسباق في السورة الكريمة - كما يظهر من التأمل - ينقسم فسي

موضوعه الى ثلاثة أقسام :- مقدمة ، وتمقيب ، وقصص .

والقصص هو الغالب على السورة وهو جسمها الذي يشغل ثمانين

ومائة آية من مجموع آياتها .

والقصص ، والمقدمة ، والتمقيب ، تؤلف وحدة متكاملة متجانسة ،

تعبر عن موضوع السورة ، وتبرزه في أساليب متنوعة ، تلتقي عند هدف واحد ،

ومن ثم تمرغ من كل قصة الحلقة أو الحلقات التي تؤدى هذه الأغراض (٤) .

(١) الآية : ٣ الشعراء .

(٢) الآية : ٨ فاطر .

(٣) الآية : ١٢٧ النحل .

(٤) الظلال ج ٥ ص ٢٥٨٣ بتصرف ط . ١٣٩٦ هـ .

( ويغلب على القصص في هذه السورة كما يغلب على السورة كلها

جو الانذار ، والتكذيب والعذاب الذي يتبع التكذيب . (١)

ذلك أن السورة تواجه تكذيب المشركين للرسول - صلى الله

عليه وسلم - واستهزاءهم بمن آمن معه ، وتقولهم على القرآن ، ولذلك

كان الانذار في أولها :-

( فَقَدْ كَذَّبُوا فَسَيَأْتِيهِمْ أَنْبَاءٌ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ) (٢) . بالهلاك

في الدنيا كما وقع للأمم السابقة ، أو بعذاب الآخرة الذي ينتظرهم

بعد الموت وهو ما عبر عنه في ختام السورة بقوله تعالى : ( وَسَيَعْلَمُ

الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ) (٣) .

---

(١) الظلال ص ٢٥٨٤ .

(٢) الآية (٤) سورة الشعراء .

(٣) خاتمة السورة الكريمة .



الباب الأول

# الفصل الاول

- الباب الأول -

مقدمة السورة

الفصل الأول :-

فاتحة السورة - الأحرف المقطعة ودلالاتها على التحدى والاعجاز

==

ذكرت في ما سبق أن صدر هذه السورة الكريمة نزل بحكمة في  
الفترة التي كان الصراع على أشده بين النبي صلى الله عليه وسلم وكفار  
قريش حول القرآن الكريم ، وصدق النبوة وتوحيد الخالق عز وجل ،  
لهذا كانت مقدمة السورة متجهة الى معالجة هذه القضية ، فكان  
أول ما فيها التحدى المضمن الموجه الى كفار مكة من قريش ،  
وهم أفصح العرب لسانا ، وأبلغهم بيانا ، أن يأتوا بمثل هذا  
الكتاب ، الذي نزل بلغتهم وعلى رجل منهم ، فكذبوه ، وتخبطوا  
في الحكم عليه ، زعموا أنه افك مبین ، وأساطير الأولين ، وسحر  
مبین ، الى غير ذلك من التهم والأوصاف ، التي أرادوا أن يلصقوها  
بالقرآن .

ومع أن هذا التحدى جاء صريحا في مواضع أخرى من القرآن  
الكريم ، كما في قوله تعالى : ( فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ إِنْ كَانُوا  
صَادِقِينَ ) ( ١ ) .

وقوله تعالى : ( أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِمِثْرٍ مِّثْلِهِ  
مُفْتَرِيَاتٍ ) ( ٢ ) .

( ١ ) الآية : ٣٤ - الطور .

( ٢ ) الآية : ١٣ - هود .

وقوله تعالى : - ( وَأَنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا  
فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ ) (١) .

الا أن هذه الأحرف المتقطعة في أول هذه السورة في قوله  
تعالى : ( طَسَمَ . تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ) .

ومثلها : ( التَّم ) و ( المصن ) و ( السر ) ونحوها  
في بداية تسع وعشرين سورة في القرآن الكريم ، تضمنت تحديدا بليغا  
بأسلوب غير مباشر، ينبه الى أن آيات الكتاب المبين مؤلفة من مثل  
هذه الأحرف ، وهي في متناول أيديهم ، وهم لا يستطيعوا أن يصفوا  
منها مثل هذا الكتاب المبين ، الواضح البليغ الذي لا يأتيه الباطل  
من بين يديه ولا من خلفه ، والحديث عن هذا القرآن متداول  
في جميع السور التي بدأت بالأحرف المتقطعة .

ولا بد من الإشارة ههنا الى أن للملما - رحمهم الله تعالى -  
اجتهادات كثيرة في معنى هذا الأُحرف، وما تدل عليه خلاف ما ذكرت  
سابقا ، وهذا الاجتهاد مبني في الأصل على مذهبين :-

---

(١) الآية : ٢٣ البقرة .



الذهب الثاني :-  
 ~~~~~

أن هذه الأحرف معلومة المعنى ، واليه ذهب جمع كبير من
 العلماء وقالوا :- بل يجب علينا أن نتكلم فيها ، ونلتصم بالفوائد
 التي تحتها ، والمعاني التي تتخرج عليها (١) .

ولكنهم اختلفوا في معناها على أقوال كثيرة زادت على عشرين
 قولاً ، منها ما يشير إلى المعنى ، ومنها ما هو بعيد (٢) .

وما ذهب إليه السلف من الصحابة ، والتابعين ، من أن هذه
 الأحرف من التشابه الذي لا يعلمه إلا الله هو الذي يظهر - والله
 تعالى أعلم - وهذا لا يعني أن هذه الأحرف ليس لها معنى
 كما ذهب إليه بعضهم ، فإن هذا خطأ فادح ، وظل شنيع ، لأن الله
 تعالى لم ينزلها عبثاً ، ولا سدى ، ومن قال هذا فقد أضاف إلى الله
 تعالى أنه خطب عباده بما لا فائدة فيه ولا معنى ، وذلك إضافة
 العبث الذي هو منفي في قول جميع الموحدين من الله تعالى (٣) .

(١) القرطبي ج ١ ص ١٥٥ ط . الثالث .

(٢) انظر عرض هذه الأقوال ونسبتها إلى قائلها تفسير الامام السرازي ،

ج ٢ ص ٨٠٥ ط . الأولى .

(٣) انظر الطبري ج ١ ص ٨٧ الطبعة الثالثة .

فتمسك أن لها معنى في نفس الأمر ، فان صح فيها شيء عن
المعصوم عليه السلام صلى الله عليه وسلم قلنا به ، والا وقفنا حيث وقفنا وقلنا :
(آمنا به من عند ربنا) (١) .

قال أبو حاتم بن حبان : - (لم نجد الحروف المقطعة في
القرآن الا في أوائل السور ، ولا ندرى ما أراد الله بها) (٢) .

قال القرطبي - رحمه الله - : - (ومن هذا المعنى ما ذكره
أبو بكر الأنباري) - :

حدثنا الحسين بن حباب ، حدثنا أبو بكر بن أبي طالب ، حدثنا
أبو المنذر الواسطي عن مالك بن مثنى ، عن سعيد بن مسروق ، عن
الربيع بن خيثم قال : -

(ان الله تعالى أنزل هذا القرآن ، فاستأثر منه يعلم ما شاء ،
وأطلعكم على ما شاء ، فأما ما استأثر به لنفسه فستمن بناظيه ، فلا
تسألوا عنه ، وأما الذي أطلعكم عليه فهو الذي تسألون عنه ، وتخبرون به
وما بكل القرآن تعلمون ، ولا بكل ما تعلمون تعلمون) .

(١) الآيه : ٧ آل عمران .

(٢) تفسير القرطبي ج ١ ص ١٥٥ الطبعة الثالثة .

قال أبو بكر : - (فهذا يوضح أن حروفا من القرآن سترت

معانيها عن جميع العالم اختصارا من الله عز وجل ، واضحانا ، فسن

آمن بها أثيب وسعد ، ومن كفر وشك أثم ويحد (١) .

وقد روى عبد الرزاق في تفسيره : -

حدثنا الثوري عن ابن عباس ، أنه قسم التفسير الى أربعة

أقسام :-

قسم تعرفه العرب في كلامها .

وقسم لا يعذر أحد بجهالته - وهو - (الحلال والحرام) .

وقسم يعلمه العلماء خاصة .

وقسم لا يعلمه الا الله ، ومن ادعى علمه فهو كاذب .

قال الامام الزركشى :-

وهذا تقسيم صحيح ، فأما الذي تعرفه العرب في كلامها

فهو الذي يرجع فيه الى لسانهم ، وذلك شأن اللفظة ، والاعراب .

(١) المرجع السابق ص ١٥٦ .

ثم قال - رحمه الله - :-

الثالث :- ما لا يعلمه الا الله تعالى ، فهو يجرى مجرى الغيوب ،
نحو الآي المتضمنه قيام الساعة ، ونزول الفيث ، وما في الأرحام ، وتفسير
الروح ، والأحرف المقطعه .

وكل مشابه في القرآن عند أهل الحق فلا ساغ للاجتهاد فسى

تفسيره ، ولا طرميق الى ذلك الا بالتوقيف من أحد ثلاثة أوجه :-

اما نص من التنزيل ، أو بيان من النبي صلى الله عليه وسلم ، أو اجماع

الامة على تأويله .

فإذا لم يرد فيه توقيف من هذه الجهات طمنا أنه مما استأثر

الله بعلمه (١) . هـ .

وروى الامام أحمد في مسنده قال :-

حدثنا معمر عن الزهري عن عمرو بن شبيب عن أبيه عن جده

قال :- سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم قوما يتدارون ، فقال :-

انما هلك من كان قلبكم بهذا ، ضربوا كتاب الله بعضه ببعض ، وانما

أنزل كتاب الله ليصدق بعضه بعضا ، فلا تكذبوا بعضه ببعض ، فما طمتم

(١) البرهان في علوم القرآن - الزركشى - ج ٢ ص ١٦٤ ، الطبعة

الثانية .

منه فقولوا به ، وما جهلتم فكوه الى عالمه ^(١) .

وفي روايتين مردويه :-

(فما عرفتم منه فقولوا به ، وما تشابه منه فآمنوا به) ^(٢) .

قلت : وما ذكره العلماء - رحمهم الله - في معنى هذه الأحرف لو تأملناه لوجدنا أن غالب ما ذكر يشير الى سبب ورود هذه الحروف في مقدمة السور ، وعلقتها ، بالتحدي ، والاعجاز في القرآن أكثر منه اشارة الى المعنى ، وان كان هو المقصود ، وهذا ما ينبغي النظر فيه ، وتقضى الحكمة من ورائه لأن هذه الحروف لم ترد الا في أوائل السور فما هي الحكمة التي اقتضت ذلك ؟ .

فالقول المروي عن ابن روق وقطوب بأن هذه الحروف نزلت لتفتح لاستماعها آذان المشركين بمد أن تواصلوا على الأعراس من القرآن يشير الى الحكمة أكثر من المعنى ^(٣) .

وكذلك ما قاله المبرد ، واختاره جمع من المحققين : أن الله تعالى انما ذكرها احتجاجا على الكفار ، وذلك أن الرسول صلى الله عليه وسلم لما تحداهم أن يأتوا بمثل هذا القرآن ، أو بمشروع أو بسورة

(١) مسند الامام أحمد ج ٢ ص ١٨٥ الطبعة الثانية .

(٢) تفسير ابن كثير ج ١ ص ٣٤٧ دار المصنفة ٨٢ / م .

(٣) تفسير الرازي ج ٢ ص ٧ ط . الاولى .

واحدة ، فمجزأ عنه أنزلت هذه الاحرف تنبيها على أن القرآن ليس
الا من هذه الحروف ، وأنتم قادرون عليها ، وعارفون بقوانين الفصاحة ،
فكان يجب أن تأتوا بمثل هذا القرآن ، فلما عجزتم عنه دل ذلك
على أنه من عند الله تعالى لا من البشر^(١) . فهذا يدل على السبب والحكمة
أكثر منه دلالة على المعنى كما لا يخفى .

والى هذا يشير الحافظ بن كثير - رحمه الله - بقوله :-
(والذي يمكن النظر فيه ؛ الحكمة التي اقتضت ايراد هذه الحروف
في أوائل السور ماهي ؟ مع قطع النظر في معانيها في أنفسها .
فقال بعضهم ؛ انما ذكرت ليعرف بها أوائل السور . حكاه
ابن جرير رحمه الله .

وهذا القول ضعيف ، لأن الفصل حاصل بدونها فيما لم تذكر
فيه ، وفي السور التي ذكرت فيها (البسطة) تلاوة وكتابة .

وقال آخرون :- (بل ابتدئ بها لتفتح لاستماعها أسماء
المشركين ان تواصلوا بالاعراض عن القرآن ، حتى اذا استمعوا لسه
تلاطيمهم المولف منه) . حكاه ابن جرير أيضا .

(١) المرجع السابق .

وهذا ضعيف - أيضا - لأنه لو كان كذلك ، لكان ذلك في جميع

السور ، لا يكون في بعضها ، بل غالبها ليس كذلك .

والقول الثالث :-

وهو المختار ، أن هذه الحروف انما ذكرت في أوائل السور

التي ذكرت فيها بياناً لامجاز القرآن ، وأن الخلق عاجزون عمن

معارضته بطله ، هذا مع أنه مركب من هذه الحروف المقطعة التي

يتخاطبون بها .

وقد حكى هذا القول الرازي في تفسيره عن المبرد ، وجمع من

المحققين .

وحكى القرطبي عن الفراء ، وقطوب نحو هذا ، وقرره الزمخشري

في الكشاف ونصره أتم نصر ، واليه ذهب الشيخ الامام أبو المبرك

ابن تيمية ، والحافظ المجتهد أبو العجاج المزى ، وحكاه لي عمن

ابن تيمية (١) . هـ .

(١) تفسير ابن كثير ج ١ ص ٣٧ ن - دار المصرفة ٢٨٢ .

قلت :- ووجه الاعجاز في هذه الأحرف هو أن الحروف التي
 بنى عليها كلام العرب تسعة وعشرون حرفا ، وعدد السور التي افتتح
 فيها بذكر الحروف ثمان وعشرون سورة ، وجطة ما ذكر من هذه الحروف
 في أوائل السور من حروف المعجم نصف الجطة ، وهو أربعة عشر
 حرفا ، لمعرفوا أن هذا الكلام منتظم من الحروف التي ينظمون
 بها كلامهم .

وقسم أهل العربية هذه الأحرف إلى أقسام ، منها ما قسموه

إلى :-

مهموس ، ومجهور .

والمهموس ؛ كل حرف أضعف الاعتماد في موضعه حتى جرى من

النفس ، وذلك مما يحتاج إلى معرفته لتبني عليه أصول العربية .

والمجهور - معناه - أنه حرف أشبه الاعتماد في موضعه وصنع أن

يجرى معه النفس ، حتى ينقض الاعتماد ، ويجرى الصوت .

فالمهموسة منها :- عشق :- الحاء ، والهاء ، والخاء ، والكاف ،

والشين ، والتاء ، والفاء ، والشاء ، والصاد ، والسين . وما عدا هـ هذه

الأحرف فهو مجهور .

ونصف الحروف المهموسة مذكورة في جملة الحروف الواردة في
أوائل السور ، وكذلك الحروف المجهورة على السواء لا زهيمادة
ولا نقصان .

ومما يقسمون اليه الحروف يقولون : انها على ضربين :-

أحدهما :-
مهموسة

حروف الحلق ، وهي ستة أحرف : الميم ، والحاء ، والهمزة ،
والهاء ، والحاء ، والفاء ، ونصف هذه الحروف مذكور في جملة الحروف
التي ذكرت في أوائل السور .

وكذلك نصف الحروف التي ليست حروف الحلق .

وكذلك تنقسم هذه الحروف الى قسمين :-

أحدهما : شديدة ، وهي التي يتلح أن يجرى فيها الصوت .

وحروف غير شديدة وهي يجرى فيها الصوت .

والحروف الشديدة هي :- الهمزة ، والقاف ، والكاف ، والجيم ،

والظاء ، والذال ، والطاء ، والباء ، ونصف هذه الحروف مذكور في جملة

الأحرف المقطعة في أوائل السور .

وتنقسم حروف المرببة الى :-

مطبقة ، ومنفتحه ، والمطبقة أربعة :- الطاء ، والظاء ،
والصاد ، والضاد ، وما سواها منفتحه . ونصف هذه الحروف مذكور
أيضا في جطة الحروف المبدوء بها في أوائل السور^(١).

قال الزمخشري :-

(ولم ترد كلها مجموعة في أول القرآن وإنما كسرت ليكون أبلغ
في التحدي والتكبير ، كما كسرت قصص كثيرة ، وكسرت التحدي بالصريح
في أماكن قال :-

وجاء منها على حرف واحد كقوله (ص) (ن) (ق) وحرفين
مثل (حم) وثلاثة مثل (الم) وأربعة (المر) (المص)
 وخمسة مثل (كهيعص) و (حمصسق) لأن أساليب كلامهم على
هذا من الكلمات ما هو على حرف واحد ، وعلى حرفين ، وعلى ثلاثة
وعلى أربعة ، وعلى خمسة لا أكثر من ذلك^(٢) .

(١) انظر - اعجاز القرآن - الباقلائي - ص ٤٤ وما بعدها .

(٢) الكشف - ج ١ - ص ١٠٥ ن - دار المعرفة .

(وإذا كان أهل العربية الذين قسموا الحروف الى هذه
الاقسام لأغراض لهم في ترتيب اللفظة بعد زمن طويل من عهد النبي صلى
الله عليه وسلم ونزول القرآن ، ورأوا مآني اللسان على هذه الجهة الستى
نبت عليها هذه الأحرف ، دل ذلك على أن وقوعها الموقع الذى
يقع التواضع طيه بعد هذا العهد الطويل لا يجوز أن يقع الا من الله
- عز وجل - لأن ذلك يجزى مجرى علم الضيوب .

وان كان انما تنبهوا على ما بني عليه اللسان في أصله ، ولم
يكن لهم في التقسيم شيء ، وانما التأشير لمن وضل أصل اللسان ،
فذلك أيضا من البدع الذى يدل على أن أصل وضعه وقع موقع
الحكمة التى يقصر عنها اللسان .

فان كان أصل اللفظة توقيفيا ، فالأمر في ذلك أبين ، وان كان
على سبيل التواضع فهو عجيب أيضا ، لأنه لا يصح أن تجتمع همهم المختلفة
على نهنوا هذا الا بأمر من الله تعالى ، وكل ذلك يوجب اثبات
الحكمة في ذكر هذه الأحرف على حد يتملق به الاعجاز من وجه (١) .

(١) اجاز القرآن - للباطلاني - بتصرف .

ولهذا كل سورة افتتحت بهذه الأحرف ، فلا بد أن نجد فيها الانتصار للقرآن ، وبما اعجازه ، وعظمته ، ويظهر ذلك أيضا من الآية التي تلي ذكر هذه الأحرف في تسع وعشرين سورة ما عدا (كهيعص) و (ن) قال تعالى :-

(أ لم . ذلك الكتاب لا ريب فيه) (١) . (الم . اللذ لا اله الا هو الحي القيوم . نزل عليك الكتاب بالحق صدقا لعل بين يديه) (٢)
(المص) . كتاب أنزل اليك فلا يكن في صدرك حرج منه) (٣) .

(الر . كتاب أنزلناه اليك لتخرج الناس من الظلمات الى النور باذن ربهم) (٤) .

(الم . تنزيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين) (٥) .

(حم . تنزيل من الرحمن الرحيم) (٦) .

(حمسق . كذلك يوحى اليك والس الذين من قبلك الله

العزیز الحكيم) (٧) .

وهكذا باقى السور .

-
- (١) سورة البقره .
 - (٢) آل عمران .
 - (٣) الاعراف .
 - (٤) ابراهيم .
 - (٥) السجدة .
 - (٦) فصلت .
 - (٧) الشورى .

ولقد اعتمد المشركون في تشكيكهم في القرآن الكريم على أمرين :-

(١) أن الرسول صلى الله عليه وسلم تعلم القرآن من معلم أعجمي قال تعالى : (وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ) .

(٢) أن هذا القرآن من وضع البشر وليس من عند الله تعالى .

وينتج عن هذين الأمرين أن محمداً صلى الله عليه وسلم كاذب

في دعواه، ونقض القرآن هذه الدعوى بأمر ثلاثة :-

أولها :-
متممممممم

أن هذا القرآن جاء باللغة العربية الفصحى التي لا يشكون فصي

أصالتها ، وبلاغتها التي تأخذ بالألباب ، ولا يعقل أن يتكلم هذا

الغلام الأعجمي بمثل هذا الأسلوب . الذي يعجز عن مثل

أساطين الفصاحة ، والبيان ، وسيأتي مزيد إيضاح لهذا في خاتمة

هذه السورة الكريمة عند قوله تعالى : (وَإِنَّهُ لَنَزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ..)

الآيات ان شاء الله تعالى .

الأمر الثاني :-

أن دعواهم بأن القرآن من وضع البشر تقتضى أن يكونوا قادرين على الاتيان بمثله ، ولا سيما أنهم أرباب البلاغة ، ومسلوك العيان ، ولكن القرآن تحداهم فى مقامات متعددة تحديثا مصرحا به وضمنا ، تحداهم صراحة ^{فإن} (يأتوا بحديث مثله إن كانوا صادقين) (١) . فلم يأتوا .

وتحداهم فى سورة هود بعشر سور (أم يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور مثله مفريات) (٢) .

وتحداهم فى سورة البقرة أن يأتوا بسورة مثله (وإن كنتم فى ريب مما نزلنا على عهدنا فأتوا بسورة من مثله) (٣) .

والتحدى المضمن كما فى فواتح السور ، يقول الزمخشري : (وهكذا نجد أن هذه الأحرف وردت على نمط التعداد ، كالأيقاظ ، وقصر العاصم لمن تحدى بالقرآن ، وبخرابة نظمه وكالتحريك للنظر فى أن هذا المثلوا عليهم ، وقد عجزوا عنه عن آخرهم كلام منظم من عيون ما ينظمون منه كلامهم ، ليوهم بهم النظر الى أن يستيقنوا - ان لم تتساقط

(١) الآية : ٣٤ الطور .

(٢) الآية : ١٣ هود .

(٣) الآية : ٢٣ البقرة .

مقدرتهم دونه ، ولم تظهر معجزتهم على أن يأتيوا بمثله بعد
العراصات المتطاولة وهم أمراء الكلام ، وزعماء الحوار ، وهم
العراص على التساجل في اقتضاب الخطب والمتهالكون على الافتنان
في القصيد والزجر ، ولم يطلع من الجزالة ، وحسن النظم المبالغ
التي برزت بلاغة كل ناطق ، وشقت غبار كل سابق ، ولم يتجاوز
الحد الخارج عن قوى الفصحاء ، ولم يقع وراء مطامح أعين
المصرا ، الا لأنه ليس بكلام البشر (١) .

ثم أطن سبحانه تحديده العام للثقلين : - الجن والانس -

على أن يأتيها مثل هذا القرآن في سورة (الاسراء) بقوله تعالى : -
(قُلْ لِمَنِ اجْتَمَعَتِ الْاِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ اَنْ يَّاتُوْا بِمِثْلِ هٰذَا الْقُرْاٰنِ
لَا يَأْتُوْنَ بِمِثْلِهٖ وَلَوْ كَانُ بِعَضِبِهِمْ لِمَعْضٍ ظَهِيْرًا) (٢) .

تحداهم القرآن فمجزوا عن معارضته ، فثبت الاعجاز ، وظهرت
قدرة المعجز واتضح صدق صاحب الاعجاز ، فبطلت دعواهم
بأن القرآن من وضع البشر ، لأن التحدى قد جعل دليلا على
أن هذا القرآن من عند الله تعالى ، والدليل متى عوز بمثله

(١) الكشاف ج ١ ص ١٠٥ باختصار .

(٢) الآية : ٨٨ الاسراء .

بطل عطه ، فہسقط الاحتجاج به .

ولكن القرآن الكريم لا يزال معجزة خالدة تتحدى الأجيال

قرنا بعد قرن الى أن يوثق الله الأرض ومن طيها .

الأمر الثالث :-

أن الرسول صلى الله عليه وسلم رجل أمي ، وقد لبث في قومه
زهاء أربعين سنة قبل الرسالة لا يتحدث بشيء من القرآن ،
ولا يدعي النبوة ثم ظهر في مجتمع أمي تسوده الفوضى ، والعصبية
الهبوجاء ، ولم تكن له صلة بالملسوم والقوانين ، والأنظمة العالمية
الأخرى ، ومع هذا أتى بأخبار الماضين وما فيها من الملسوم
الغيبية التي ليست في مقدور البشر ، وأتى بهذا التشريع المحكم ،
والنظام العام الذي يتحدى كل نظام وضعي الى الأبد ، ثم آمن
به جماعة من جزيرة العرب كانوا رعاة اهل وفتيم ، فانطلقوا فسي
الآفاق ، فاذا هم ساسة شمو ب ، وقادة أمم .

ان هذا وحده اعجاز ، وبرهان طي أن هذا القرآن من
عند الله تعالى ، وقد أشار الله تعالى الى الحقيقة بقوله :-

(وَتِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْحَقِّينَ) (١)

ويقوله تعالى : (وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخِطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذَا لَارْتَابَ الْمُهْطِلُونَ) (٢)

ويسمى تعالى بعضا من معارضتهم ، ومعظمهم بقوله : (وَإِذَا تَقَالَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يُوْجِدُونَ لِقَاءَنَا آيَاتِ الْقُرْآنِ فَسِرُّوا هَذَا أَوْ بَدِّلُوهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أُنْتَهَى إِلَّا مَا يَوْحَى إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ حَصِيتُ رُؤْيَى ضُحَابٍ يَوْمَ عَظِيمٍ) (٣)

وقد كان الجواب عليه بقوله :-

(قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا طَوَّعْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أُدْرِكُكُمْ بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِنْ قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ) (٤)

وبهذا يتبين أن معارضتهم للقرآن باطلية ، وأنها منقوضة

من جهتين :-

-
- (١) الآية : ٤٩ هود .
 (٢) الآية : ٤٨ المنكوت .
 (٣) الآية : ١٥ يونس .
 (٤) الآية : ١٦ يونس .

(١) من جهة نقض أدلتها وادحاض شبهاتها .

(٢) من جهة قيام التحدى ، وانهم أمام مظنة هذا القرآن الكريم

(قُلْ لِسِنِّ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِحَدِّ هَذَا الْقُرْآنِ
لَا يَأْتُونَ بِحَدِّهِ وَلَوْ كَانُ بِعَضْبِ أَيْمَنِ ظَهِيرًا) .

ومن هذه الآيات نعلم أن القرآن معجز لسائر الأمم ، وكون القرآن

بليغة العرب لا يمنع أن تقوم به الحجة على جميع البشر ، فإن

الرسالة عامة وإذا عجز عن المعارضة أهل الصناعة ، وأصحاب

اللغة العربية فغيرهم من الاتيان أعجز ، فهو معجز للمسروب

بطريق الالتزام ، وغيرهم بطريق الالتزام (١) .

(١) انظر - مآهج الجدل في القرآن . د . د . زاهر اللمسى ص ٨١ .

وما بعدها - بتصرف .

الفصل الثاني

- الباب الأول -

مهممممم

الفصل الثاني : الدعوة في مكة في صدر السورة
مهممم

أ - تسلية النبي صلى الله عليه وسلم لما لقيه من أذى
المشركين واعراضهم .

ب - المنهج القرآني في اثبات الربوبية والوحدانية عن
طريق النظر والاستدلال .

١ - تسليمة الرسول صلى الله عليه وسلم والتخفيف عنه لما لقيه من أذى

الشركيين واعراضهم :-

وعقب هذا التحدى والاعجاز المتشمل فى الأحرف المقطعه ،
نقف مع الآيات التالية ، والتي تعالج موقفا من مواقف الدعوة فى
الفترة المبكرة ، كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعانى فيه الكثير من
تكذيب قومه واستهزائهم اضافة لما طلبوه من انزال آية تدل على
صدقته صلى الله عليه وسلم وصحة تلقى القرآن ، فكان الجواب عن كل
هذا فى هذه الآيات ان يقول جل شأنه مخاطبا نبيه صلى الله
عليه وسلم :-

(لَمَلِكٍ بِأَخِيحِ نَفْسِكَ إِلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ . إِنْ نَشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِمْ
آيَةً مِنَ السَّمَاءِ فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ . وَطَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنَ
السَّمْرِحَمَنِ مَحْدَثٍ إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ . فَقَدْ كَذَّبُوا فَسَاءَتْ لَهُمْ أَنْبَاءُ
مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ) (١)

و(لصلّ) تكون للترجى فى المحبوب ، وللإشفاق فى المحذور ،

ومن أساليب العرب استعمالها مضمّنة معنى النهي (٢)

(١) الآيات : ٢-٦ سورة الشعراء .

(٢) أضواء البيان - محمد الأمين الشنقيطى ج٤ ص ١٤٤ .

واستظهر أبو حيان في (البحر) أن (لعل) للاشفاق عليه

- صلى الله عليه وسلم- أن يخع نفسه لمدام إيمانهم ، وأخذ بهـذا

الزمخشري في (الكشاف) (١) .

وقال بعضهم : ان (لعل) في الآية للنهي ، ومن قال

به المسكري ، وهو معنى كلام ابن عطية كما نظه عنهما أبو حيان (٢) .

وبدل على هذه كثرة ورود النهي صريحا في آيات أخر كما في قوله

تعالى : (فلا تذهب نفسك عليهم حسرات) (٣) . وقوله تعالى : (ولا تحزن

عليهم ولا تك في ضيق مما يمكرون) (٤) . وقوله تعالى : - (فلا تأس طسى

القوم الكافرين) (٥) . الى غير ذلك من الآيات .

(والنجع) أن يبلغ بالذبح (النجاع) بالباء ، وهو عسرق

مستبطن الفغار وذلك أقصى حد الذابح (٦) .

وقال الأخفش والغراء : - (يقال : نجع ، بنجع ، بنجما ، وبنجوما)

إذا هلك من شدة الوجد (٧) .

(١) الكشاف : ج ٣ ص ١٠ .

(٢) أضواء البيان ج ٤ ص ١٣ .

(٣) الآية : (٨) سورة فاطر .

(٤) الآية : ١٣٧ سورة النحر .

(٥) الآية : ٦٨ - المائدة .

(٦) الكشاف : ج ٣ ص ١٠ .

(٧) روح المعاني ، الأوكسى ج ١٩ ص ٥٩ .

وقال الزمخشري : - معنى : - أشفق على نفسك أن تقتلها

حسرة على ما فاتك من اسلام قومك (١) .

وعلى كلا الممنيين - (ففي الآية الكريمة تصوير لما كان رسول الله

- صلى الله عليه وسلم - يعاني من تكذيب القوم ، وهو يوقن بما ينتظرهم

بعد التكذيب ، فتذوب نفسه عليهم ، وهم أهله وعشيرته وقومه ، ويضيق

صدره ، فيهون تعالى عليه الأمر ، ويقول له : - ان ايمانهم ليس

ما كلفت ، ولو شئنا أن نكرههم عليه لا كرهناهم ، ولأنزلنا من

السماء آية قاهرة لا يملكون معها جدالا ولا انصرافا عن الايمان ،

وبصور خضوعهم لهذه الآية صورة حسية (فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا

خَاضِعِينَ) طوية محنية حتى كأن هذه هيأه لهم لاتفارقهم فهم

عليها مقبون (٢) .

كما أن هذه الآية الكريمة ونظائرها في القرآن تقر قاعدة

أساسية ، ومبدأ عظيم من مبادئ الاسلام والدعوة اليه هي - أن

قضية الايمان انما هي اقتناع بحد البهان والادراك ، وليست قضية

اكراه وغضب ، كما تشدق بذلك أعداء الاسلام في مقولتهم البغيضة وهي

أن الاسلام انما انتشر بالاكراه وقوة السيف .

(١) الكشف ج٣ - ص ١٠ .

(٢) الظلال - سيد قطب ج٥ / ٢٥٨٣ دار الشروق .

فاله سبحانه وتعالى : لم يشأ أن يجعل مع هذه الرسالة الخاتمة
عنصر اكراه ، أو آية مادية تلوى الأعناق ، وتضطرها الى الايمان
والتسليم .

يقول العرحوم سيد قطب :- (وانا كان هذا الدين لم يواجه
الناس بالآية المادية القاهرة فهو من باب أولى لم يواجههم بالقوة
والاكراه بلا بيان ولا اقتناع ، وفي هذا المبدأ يتجلى تكريم الله
تعالى للانسان في هذه الرسالة الخاتمة ، واحترام ارادته ، وفكره ،
ومشاعره ، وتترك أمره لنفسه فيما يختص بالهدى والضلال في الاعتقاد ،
وحمله تبعاً لعهده وحساب نفسه ، وهذه هي أخص خصائص التمسك
الانسانى (١) .

ولم يشأ سبحانه أن يضطر البشرية الى الايمان ويوغمهم طميه
لأن المطلوب هو الايمان الاختيارى عن قناعة ويقين (وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ
لَأَمَنَّ مِنَ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تَكْفِرُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا
مُؤْمِنِينَ) (٢) .

(وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً) (٣) الآية .

(١) انظر الظلال سيد قطب ج ١ ص ٢٩١ بتصرف .

(٢) سورة يونس : آ ٩٩ .

(٣) سورة هود آ ١٨٨ .

فنفذ قدره ، وضت حكمته ، وقامت حجته البالغة على خلقه
 بإرسال الرسل اليهم ، وانزال الكتب عليهم (لئلا يكون للناس على
 الله حجة بعد الرسل) (١) .

وفي الآية التالية اشارة الى أن الله سبحانه وتعالى جعل آية
 هذه الرسالة الخاتمة هي (القرآن الكريم) وكما وردت بذلك الآيات
 في أكثر من موضع ، ولكن البشور لم يكونوا يقطنون الى هذه الحكمة
 الكبرى ، والرحمة العظيمة ، فكانوا يعرضون عما يتنزل عليهم من هذا
 القرآن العظيم .

قال تعالى :- (وما يأتيهم من ذكر من الرحمن محدث إلا كانوا
 عنه معرضين) (٢) .

وأشار الى هذا المعنى المرحوم - سيد قطب - بقوله :- (لقد
 جعل - سبحانه وتعالى - مع هذه الرسالة الخاتمة آية كبرى هي
 (القرآن) . منهاج حياة كاملة معجزا في كل ناحية :-

(١) الآية : ١٦٥ - سورة النساء .

(٢) الآية : ٥ - سورة الشعراء .

معجزا في بناء التعبير ، وتنسيقه الفني ، باستقامته على خصائص واحد في مستوى واحد ، لا يختلف ولا يتفاوت ، ولا تتخلف خصائصه كما هي الحال في أعمال البشر ، إذ يبدو الارتفاع والانخفاض والقوة والضعف في عمل الفرد الواحد ، المتغير الحالات ، بينما تستقيم خصائص هذا القرآن التعبيرية على نسق واحد ، ومستوى واحد ، ثابت لا يتخلف ، يدل على مصدره الذي لا تختلف عليه الأحوال .

معجزا في بناء الفكرى ، وتناسق أجزائه وتكاملها ، فلا فلتة فيه ولا مصادفة ، كل توجيهاته وتشريعاته تلتقى وتناسق وتتكامل وتحيط بالحياة البشرية ، وتستوعبها ، وتلبيها ، وتدفعها ، دون أن تتعارض جزئية واحدة من ذلك المنهاج الشامل الضخم مع جزئية أخرى ودون أن تصطدم واحدة منها بالفطرة الانسانية ، أو تقصر عن تلبيتها وكهسا مشدودة الى محور واحد ، والى عروة واحدة في اتساق لا يمكن أن تفتن اليه خبرة الانسان المحدودة ، ولا يد أن تكون هناك خبرة مطلقة ، غير مقيدة بقيود الزمان والمكان . هي التي أحاطت به هذه الاحاطة ، ونظمت هذا التنظيم .

معجزا في يسر مداخله الى القلوب والنفوس ، ولمس مفاتيحها ، وفتح مغاليقها ، واستجاشة مواضع التأثر والاستجابة فيها ، وعلاجه لمقدتها

ومشكلاتها في بساطة ويسر عجيبيين ، وفي ترتيبها وتصريفها وفق منهجه
بأيسر اللغات دون تمقيد ولا التواء ولا معاذلة .

لقد شاء الله أن يجعل هذا القرآن هو معجزة هذه الرسالة ،
ولم يشأ أن ينزل آية قاهرة مادية تلوى الأعناق ، وتخضعها ، وتضطرها
الى التسليم ، ذلك أن هذه الرسالة الأخيرة رسالة مفتوحة للامم كلها ،
وللاجيال كلها ، وليست رسالة مغلقة على أهل الزمان ، أو أهل مكان ،
فتناسب أن تكون معجزتها مفتوحة كذلك للبعيد والقريب ، لكل أمة
ولكل جيل ، والخوارق القاهرة لا تلوى الا أعناق من يشاهدونها ثم تبقى
بعد ذلك قصة تروى لا واقعا يشهد (١) .

(١) الظلال - سيد قطب جه ص ٢٥٨٤ - دار الشروق .

فالتفكير والعلم والتدبير من خواص العقل ، ولا عقل لمن لا يتفكر

ولا يعسى (إن شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون) (١) .

ان الظواهر الحسية لاتنقى الانسان شيئا ، فالانسان الفاقد اليد

أو الرجل هو مكلف مادام عاقلا ، وحين يغفل الانسان هذا العقل

يكون ممن قال تعالى فيهم : (ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والانس لهم قلوب لا يفقهون بها ، ولهم أعين لا يبصرون بها ، ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالانعام بل هم أضل أولئك هم الفاطلون) (٢) .

ومقابلة الذين لهم قلوب يفقهون بها ، وأعين يبصرون بها

أبصارا ليس حسما بل بصورة وادراك ، وهم المتفكرون في آلاء الله

الذاكرون الله كثيرا .

وحيثما نستمرغ القرآن الكريم نجد أن الآيات التي دارت حول

العقل واعماله في التفكير والتدبير بلغت ما يقارب من تسع وأربعين آية

في خمس وعشرين سورة ، وهي مفرقة على عدد السور ، ولكنها تدور حول

المعاني التي سبق ذكرها وهي (التذكر ، التدبر ، الخشية ، التفكير) .

(١) الآية : ٢٢ سورة الأنفال .

(٢) الآية : ١٧٩ سورة الأعراف .

ومن هذه الآيات ماورد في مقدمة هذه السورة الكريمة بحد ذكر
التحدى والاعجاز بآيات الكتاب المبين وقيام الحجة بإرسال الرسول ،
واظهار القدرة على انزال آية حسية قاهرة تجبر الناس على الايمان ،
والتذكير برحمة الله تعالى بانزال هذا القرآن ، فجاء التمقيب على
هذا بالدعوة الى استعجال العقل في النظر والاستدلال بمخلوقات
الله وعجائب صنيعه جل وعلا فقال تعالى مخاطبا أولئك الكفار
الجاحدين المكابرين :-

(أُولَئِكَ يَدْعُونَ إِلَى الْأَرْضِ كَمَا أَنْبَأْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ؟
إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّمَنْ كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (٢) .

فهم يطلبون آية تدلهم على ربوبية الله تعالى ووحدانيته ،
وصدق رسوله فيما أرسل به ، ويخفون عن أعمال عقولهم في تدبر آيات
الله الباهرة فيما حولهم ، وفيها الكفاية والدليل القاطع لمن كان له قلب
مفتوح وحسن بصير .

(ومعجزة اخراج النبات الحي من الأرض ، وجعله زوجا ذكرا وأنثى اما منفصلين كما في بعض أنواع النبات ، واما مجتمعين كما هو الغالب في عالم النبات ، حيث تجتمع أعضاء الذكر وأعضاء الأنثى في عدد واحد هذه المعجزة تتكرر في الأرض حولهم في كل لحظة (أولم يروا ؟) والأمر لا يحتاج الى أكثر من الرواية (١) .

وإذا كان هؤلاء الكفار الجاهدون ومن وافقهم من الماديين وأهل الطبيعة يتظاهرون بانكار وجود الله ، فان هذا الوجود الالهي يفرغ نفسه على أحاسيسهم وشاعرهم ، ويقولون به وهم لا يشعرون .

وأشار الى هذا الامام الخزالي بقوله : (فانهم يقولون بتفاعل الماديات وتأثير بعضها في بعض ، وهذا يعني أن الشيء لا يستقل بحركته دون موثر خارجي ، انهم يخضعون نظام هذا الكون لقوانين الجاذبية في تنظيم أبعاده بحيث يكون التناسب والتوازن بين الموجودات ، فلا يختل هذا النظام العام للكون ، فكأنهم يقولون بضرورة وجود قوة تدير هذه القوى الكونية وسواها أضافوا هذه القوة الى قوانين الملية والسببية للكون ، أو قانون التفاعل المادي

(١) الظلال - سيد قطب - ج ٥ ص ٢٥٨٤ دار الشروق .

وإذا أردنا أن نعرف الطريق التي دعا اليها القرآن الكريم
للاستدلال على وجود الله تعالى نجدها تنحصر في طريقين كما
ذكرهما (ابن رشد) :-

الأول :-

طريق الوقوف على المنية بالانسان ، وخلق جميع الموجودات
من أجله ولنسمِّ هذا بدليل المنية .

الثاني :-

ما يظهر من اختراع جواهر الأشياء الموجودات ، مثل : اختراع
الحياة في الجماد ، والادراكات الحية ، والمقل ، ولنسمِّ هذا دليل
الاختراع .

قال ابن رشد :- (ولذلك كان واجبا على من أراد معرفة
الله حق معرفته أن يعرف جواهر الأشياء ، ليقف على الاختراع
الحقيقي في جميع الموجودات لأن من لم يعرف حقيقة الشيء ، لم
يعرف حقيقة الاختراع ، والى هذا الاشارة بقوله تعالى :-

(أولم يتفكروا في طُكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ) .

(١) الآيه : ١٨٥ سورة الأعراف .

وكذلك أيضا من تتبع معنى الحكمة في وجود موجود - أعنى معرفة
السبب الذي من أجله خلق ، والغاية المقصودة به ، كان وقوفه على دليل
العناية أتم فهذان الدليلان هما دليل الشرع (١) .

ثم ذكر (ابن رشد) أن الآيات الواردة في القوآن المنبهة على
الأدلة المفضية الى وجود الصانع جل و علا تنحصر في هذين
النوعين من الأدلة .

ثم قال :- (وذلك لمن تأمل الآيات الواردة في الكتاب العزيز
في هذا المعنى ، وذلك أن الآيات التي في الكتاب العزيز في هذا
المعنى اذا تصفحت وجدت على ثلاثة أنواع :-

- (١) آيات تتضمن التنبيه على دلالة العناية .
- (٢) آيات تتضمن التنبيه على دلالة الاختراع .
- (٣) آيات تجمع الأمرين من الدلالة .

فأما الآيات التي تتضمن دلالة العناية فقط ، فمثل قوله تعالى :

(أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا . وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا . .) الى قوله : (وَجَنَّاتٍ
أَلْفَافًا) (٢) .

(١) الكشف عن مناهج الأدلة ص ٦٩ .

(٢) الآيات : ٦ : ٦٦ سورة النبا .

ومثل قوله : (تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَمَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا) (١) .

ومثل قوله : (فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ) (٢) الآيه، ومثل هذا كثير في القرآن .

وأما الآيات التي تتضمن دلالة الاختراع فقط فمثل قوله تعالى : (فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ . خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ رَافِقٍ) (٣) .

ومثل قوله تعالى : (أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ) (٤) .
ومثل قوله تعالى : (يَا أَيُّهَا النَّاسُ صُوبِ مِثْلَ مَا فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذَبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ) (٥) .

ومن هذا قوله تعالى حكايمة عن (ابراهيم) :-

(إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ) (٦) إلى غير

ذلك من الآيات التي لا تحصى .

-
- (١) الآية : ٦١ سورة الفرقان .
(٢) الآية : ٢٤ سورة هيم .
(٣) الآية : ٦٠٥ سورة الطارق .
(٤) الآية : ١٧ سورة الفاشية .
(٥) الآية : ٧٣ سورة الحجج .
(٦) الآية : ٧٩ سورة الأنعام .

وأما الآيات التي تجمع نوعي الدلالة فهي كثيرة أيضا ، هل هي الأكثر ، مثل قوله تعالى : (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اصْبِرُوا رِبِّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ) الى قوله : (فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أُندَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ) (١) .

فان قوله تعالى : - (الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ) تنبيه على دلالة الاختراع .

وقوله : (الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ فِرَاشًا) تنبيه على دلالة العناية .

ومثل هذا قوله تعالى : - (وَأَيُّكُمْ الْأَرْضِ الْمَيْتَةَ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ) (٢) .

وقوله تعالى : (وَتَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ) (٣) .

وأكثر الآيات الواردة في هذا المعنى يوجد فيها النون من الأدلة .

(١) الآيتان : ٢١ - ٢٢ سورة البقرة .

(٢) الآية : ٣٣ سورة يس .

(٣) الآية : ١٩١ آل عمران .

ثم بين (ابن رشد) أن هاتين الطريقتين من الاستدلال

وهما :-

دلالة العناية ودلالة الاختراع ، هما بمينهما طريقة الخواص

كما هي طريقة الجمهور ، وفسر الخواص بالعلماء ، ومعروف أن الجمهور

هم : العامة من الناس ، ثم قال :-

(انما الاختلاف بين المعرفتين في التفصيل ، أعني أن الجمهور

يقتصرون من معرفة العناية والاختراع على ما هو مدرك بالمعرفة الأولى

المبنية على علم الحس ، .

وأما العلماء فيزيدون على ما يدرك من هذه الأشياء بالحس

ما يدرك بالبرهان ، أعني من العناية والاختراع ، حتى لقد قال

بعض العلماء : ان الذي أدركه العلماء من معرفة أعضاء الانسان والحيوان

هو قريب من كذا وكذا آلاف منقصة ، وانما كان هذا هكذا فهذه

الطريقة هي الطريقة الشرعية والطبيعية ، وهي التي جاءت بها

الرسول ، ونزلت بها الكتب .

والعلماء ليس يفضلون الجمهور في هذين الاستدلاليين من قبل

الكثرة فقط بل ومن قبل التعمق في معرفة الشيء الواحد نفسه ، فان

مثال الجمهور في النظر الى الموجودات مثالهم في النظر الى المصنوعات التي ليس عندهم علم بصنعتها ، فانهم انما يعرفون من أمرها أنها مصنوعات فقط ، وأن لها صنما موجودا ، ومثال العلماء في ذلك مثال من نظر الى المصنوعات التي عنده علم ببعض صنعتها ، وبوجه الحكمة منها ، ولا شك أن من حاله من العلم بالمصنوعات هذه الحال هو أعلم بالمصانع من جهة ما هو صانع من الذي لا يعرف من تلك المصنوعات الا أنها مصنوعة فقط .

أما مثال الدهرية الذين جحدوا الصانع سبحانه وتعالى في هذا فقال من أحسن مصنوعات ظم يعترف أنها مصنوعات بل ينسب مارأى فيها من الصنعة الى الاتفاق والأمر الذي يحدث من ذاته^(١) .

(١) الكشف عن مناهج الأدلة في عقائد أهل الطه - لابن رشيد -

ويقول الدكتور : عبدالغنى الراجحي :-

(جاء القرآن الكريم بالأدلة الكونية فى الأنفس والآفاق

شاهدة على وجود الله تعالى متخلصة فى بدائع وأحكام تصرفه

لشؤون الخلق جاءت واضحة فى نظام الكائنات وسائر المخلوقات .

كما أن خلق الانسان نفسه فى تركيب بدنه وأجزائه وعجائب

تكوينه على هيئة تدعو الى الدهشة والحيرة كلها تدل على

أن هذه العناية والدقة فى سائر المخلوقات محال أن تكون

نفسها بنفسها ، ومحال أن تكون على سبيل المصادفة العمياء ،

ومن غير حكم وصانع مدبر أفاض عليها من عنايته وحكمته ، وهو

الله سبحانه وتعالى .

فى عالم الحيوان :- استخدم القرآن الكريم ما فيه من

عجائب فى خلقه وتكوينه ، وأجهزته الهضمية ، والدوية ، والعصبية ،

والتنفسية ، ونظام التوالد ، وتنوعه الى حيوانات برية وبحرية ،

وهوائية طائرة وحيوانات طويلة العمر ، وأخرى قصيرة الأجل

وحيوانات تبيض وأخرى تلد ، وحيوانات للأكل والحمل والالبان ،

ومنافع أخرى كثيرة .

ولو نظرنا الى كل هذا التنوع ، وكيفيات أخرى من التنوع
 كاختلاف الأنواع والأصوات ، وطريقة الحياة ، وتناول الطعام ونظام
 المعيشة ، لا دركنا أن ذلك التخصص ، والتمايز ، والتنوع لم يكن
 عفويا ، ولا مصادفة ، بل كان بصنع فاعل حكيم مختار من جنس
 العوالم ، بل هو خالق كل شيء سبحانه وتعالى ، وهذا ما أثبتته
 القرآن في قوله تعالى : - (وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ فَمِنْهُمْ
 مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي
 عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) (١) .

وفي قوله تعالى : (وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ
 بِجَنَاحِهِ إِلَّا أُنْزِلَ عَلَيْهَا مِنْ مَاءٍ حَمِيمٍ) (٢) .
 يحشرون (٤) .

وقوله تعالى : (وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا
 وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ) (٣) .

(١) الآية : ٤٥ سورة النور .

(٢) الآية : ٣٨ سورة الأنعام .

(٣) الآية : ٦ سورة هود .

وقال تعالى : (أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ صَخْرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاءِ
مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) (١) .

وقال تعالى : (أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَفَاتٍ وَيَقْبِضْنَ
مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ) (٢) .

ونظر القرآن في برهانه على وجود الصانع - عز وجل الى عالم الكواكب وما فيه من عجائب ، كيف أنها رفعت بلا عمد أو حساب تسير في الفضاء بدقة ونظام في سيرها ، لا يرتطم بعضها ببعض ، فعلم من حركتها عدد السنين والحساب ، والأيام ، واليالي ، والشهور ، وتتنوع بسبب سيرها الفصول السنوية من صيف الى شتاء الى ربيع الى خريف .

وكثيرا ما يشير القرآن الكريم في غير موضع الى هذه المعاني كما في سورة الرعد : - (اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَىٰ الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى) (٣) .

(١) الآية : ٧٩ سورة النحل .
(٢) الآية : ١٩ سورة الصلح .
(٣) الآية : ٢ سورة الرعد .

وقوله في سورة النحل : - (وَسَخَّرَ لَكُمْ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ
وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ وَسَخَّرَاتِ بِأَمْرِهِ) (١) .

وقوله في سورة الأنعام : (وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ النُّجُومَ
لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ) (٢) .

ويوجه القرآن في برهانه على وجود الله الأنظار الى الرياح
وتنوعها الى حارة ورطبة ، وشمالية وجنوبية ، وشرقية وغربية
وبطيئة في سيرها وعاصفة ، وعقيم لا سحب فيها ، ومطرة تحمل
السحاب والماء ، والى حمل الرياح مادة التلقيح من ذكور النباتات
الى انثاه ، والى جريان الفلك في البحار بواسطتها .

قال تعالى : (وَأَرْسَلْنَا الرِّيَّاحَ لَوَاقِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً
فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ) (٣) .

-
- (١) الآية : ١٢ سورة النحل .
(٢) الآية : ٩٧ سورة الأنعام .
(٣) الآية : ٢٢ سورة الحجر .

وقال تعالى : (وهو الذى يوسل الرياح بشرا بين يدي
رحمته حتى اذا اظلت سحابا ثقلا سقناه لبلد ميت فأنزلنا به الماء
فأخرجنا به من كل الثمرات كذلك نخرج الموتى لعلكم تذكرون) (١) .

وقال تعالى : (ومن آياته الجوار في البحر كالأعلام ان يمشأ
يسكن الريح فيظللن رواكيد على ظهروه ان في ذلك لآيات لكيل
صبار شكور) أو يوقهن بماكسبوا ويمف عن كثير (٢) .

ثم وجه القرآن الأنظار الى ما يتبع الرياح والهواء ويتفاضل
معه من السحاب والمطر والرعد والبرق ، وأن ذلك عجب الصنع دقيق
الحصول ، متنوع فى كنهه وكيفية ، وفى الآثار المترتبة عليه ، وفى
سبب حصوله وتكوينه ، وفى ارتفاع المباد والبلاد به ، وما يتبع
ذلك من اختلاف درجات الحرارة والسرودة ، وتأثير ذلك على سائر
الموجودات فوق الغلاف الأرضى ، لو نظرنا الى كل ذلك بتمعن
لأدركنا أن فاعل ذلك لا يبد أن يكون حكيما عظيما كما أشارت الى
ذلك سورة النور فى قوله تعالى :-

(١) الآية : ٥٧ سورة الأعراف .

(٢) الآية : ٣٣ - ٣٤ سورة الشورى .

(الم تر ان الله يزعجى سحابا ثم يولف بينه نسم يجعله
 ركاما فترى الودق يخسرج من خلاله وينزل من السما ء من
 جبال فيها من برد فيصيب به من يشاء ويمرفسه عن من يشاء
 يكاد سنا برقه يذهب بالابصار . يقلب الله الليل والنهار
 ان فى ذلك لعبرة لأولي الابصار) (١) .

وقوله تعالى في سورة الرعد : -

(هو الذى يريكم البرق خوفا وطمعا وينشئ السحاب
 الثقيل . ويسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته ويرسل
 الصواعق فيصيب بها من يشاء وهم يجادلون فى الله
 وهو شديد المحال) (٢) .

ثم وجه القرآن انظار المكابرين الى الارض وما فيها
 من بحار وانهار وجبال ، ووديان وصحارى وصخور ، ومعادن ومستخرجات
 من قشرتها السطحية ، ومستخرجات من باطنها ، والى ما فى الهدء
 من غدوبة وملوحة ، وجزر ومد ، وتيارات سطحية وسفلية ، واهواج
 كالجبال ، واخرى هادئة ، والى ملاحية الارض للحياة عليها

(١) الآيتان :- ٤٣-٤٤ . من مورت النور .

(٢) الاية :- ١٣ سورة الرعد .

والتقلب في مناكبها لطلب المعاش ، فلا هي بالرخوة بحيث يفض الناس فيها ولا هي بالصلبة بحيث يستمضى على الناس حفرها للانتفاع بما في باطنها ، ولا هي باردة بتجمد الناس فوقها ، ولا ملتهبة بحيث تنصهر المخلوقات فوقها ، بل جعلها الله تعالى مهادا وبساطا للمباد ، كما نطق بذلك القرآن في أكثر من موضع لو نظرنا الى ذلك بانصاف لعرفنا بدهاءة أن هذا التنوع لا يمكن أن يكون مصادفة واتفاقا (١) .

والى هذا يشير القرآن الكريم في مثل قوله تعالى : (وَالْأَرْضُ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَسْزُونٍ . وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ) (٢) .

وقوله تعالى : - (أَمْ نَجْعَلُ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلْ خِلَافَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلْ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلْ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَلَمْ نَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ بِأَعْيُنِنَا) (٣) .

(١) دراسات في علوم القرآن ، د . عبد الفنى الراجحي بتصرف يسير .

(٢) الأيتان : ١٩ - ٢٠ سورة الحجر .

(٣) الآية : ٦١ سورة النمل .

وقوله تعالى :-

(قُلْ أَنْتُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْمَلُونَ
لَهُ أَنْدَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ، وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيًا مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ
فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلنَّاسِ لِيَوْمِئِذٍ) (١) .

وقوله تعالى :- (وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيًا

وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُخْشَى اللَّيْلَ
النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ) (٢) .

وقوله تعالى : (أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا

بِهِ شَجَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيْضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا
وَغَرَابِيبُ سُودٌ . وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَأَلْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ
إِنَّمَا يُخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ) (٣) .

ونظر القرآن كذلك في عالم النبات ، وما فيه من عجائب وسسنة ،

شمار فيها المقول ، كيف توضع الحبة في الأرض الرطبة فلا تتلفها

(١) الآيتان ، (٩-١٠) سورة فصلت .

(٢) الآية : ٣ سورة الرعد .

(٣) الآيتان : ٢٧ - ٢٨ سورة فاطر .

الرتوبة ، كما يظن بادي الرأي ، ولكنها ترهوا وتنتفخ ، وتنشق
من أسفل عن جذور تمتد الى باطن الأرض ، ومن أعلى عن ساق
يصعد الى أعلى شاقا لنفسه طريقا من بين التراب ، وكيف
يتنوع عالم النبات ، ويختلف شكلا ، ونوعا ، وطعما ، ومذاقا ،
ولونا ، ورائحة .

وتختلف كذلك الثمار والفواكه ، بعضها يوكل ظاهره
ويرمى باطنه ، وبعضه بالعكس يوكل باطنه ويرمى ظاهره ، والسى
هذه المعانى تشير الآية الكريمة فى سورة الأنعام :-

(وهو الذى أنشأ جنات معروشات وغير معروشات والنخل
والسزغ مختلفا أكله والزيتون والرمان مشابها وغير مشابها) (١)

وقوله تعالى فى سورة الرعد :-

(وفى الأرض قطع متجاورات وكنات من أعناب وزرع ونخيل
صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض
فى الأكل) (٢)

(١) الآية : (١٤١) سورة الأنعام .

(٢) الآية : (١٤) سورة الرعد .

وقوله تعالى في سورة فاطر :-

(أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ
مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا) .

الى غير ذلك من الآيات التي تشير الى هذا المعنى .

كل هذه الآيات بتنوع أساليبها ، واختلاف موضوعاتها تلفت الأنظار الى أن هذا الكون وما يحتويه لم يكن وليد المصادفة والاتقان ، وإنما هو مخلوق من طم عظيم ، وقدره قادر ، وحكمة مدبر ، وهو الله تبارك وتعالى المستحق للمعبادة وحده لا شريك له ، .

وهذا هو منهج القرآن في تربية القلوب على العبادة والطاعة (فهو يربط بين القلب وشاهد هذا الكون ، وبينه العسر الخامد ، والذهن البليد ، والقلب المغلق الى بدائع صنع الله المشهوتة حول الانسان في كل مكان ، كي يرتاد هذا الكون الحي بقلب حي يشاهد الله في بدائع صنعه ، ويشعر به كلما وقمت عليه على بدائعه ، ويتصل به في كل مخلوقاته ، ويواقبه وهو شاعر

بوجوده في كل لحظة من لحظات الليل والنهار ، ويشمر أنه هو
واحد من عباده ، متصل بمخلوقاته ، مرتبط بالنواميس التي تحكمهم
جميعاً (١).

(ان في ذلك لآية وما كان اكثرهم مؤمنين) (٢)

في آيات الكون غنى ووفرة ، ولكن رحمته تقضى أن يبعث رساله

للتبصير والتنوير والتبشير والتحذير .

(١) الظلال ، سيد قطب ، ج ٥ ص ٢٥٨٥ - ٢٥٨٦) بتصرف يسير .

(٢) الآية : (٨) سورة الشعراء .

الباب الثاني

الفصل الأول

- الباب الثاني -

الفصل الأول :-

عرض لدعوات الأنبياء عليهم السلام الذين ورد ذكرهم في السورة

الكريمة هم :-

((موسى ، ابراهيم ، نوح ، هود ، صالح ، لوط ، شعيب عليهم الصلاة

والسلام)) .

الموضع الثاني :-

~~~~~

في سورة ( الفجر ) السورة العاشرة في النزول ، اشارة الى فرعون  
دون ذكر موسى مع عاد وشمود ( وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ ، الَّذِينَ طَغَوْا  
فِي الْبِلَادِ . فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفُسَادَ . فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ صَوْطًا  
عَذَابًا (١) .

## الموضع الثالث :-

~~~~~

في سورة (الأعراف) السورة (التاسعة والثلاثون) من
حيث النزول ، بدأ التفصيل الأول للقصة في معونى قصص مشترك
مع نوح ، وهود ، ولوط ، وشعيب ، اتحدث فيه صيغة الدعوة
وصيغة التكذيب ، والمقاب الذى أخذ المكذبين .

وقد بدأت القصة هنا برسالة موسى وهرون الى فرعون وطئيه
(ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ . الْكَا
فِرْعَوْنَ وَطِئِيهِ فَظَلَمُوا بِهَا فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ (٢) .

(١) الآيات : ١٠، ١١، ١٢، ١٣ سورة الفجر .

(٢) الآيات : ١٠٣ - ١٧٦ من سورة الأعراف .

ثم ذكرت معجزة المصا واليد البيضاء ، وجمع السحرة والمهارة
 بينهم وبين موسى ، وغلبته عليهم ، واطمانهم به ، وتمذيب فرعون
 لبني اسرائيل بعد ذلك ، وتسليط الجراد والقمل والضفادع والدم
 على فرعون وقومه ، واستفائتهم بموسى ، وكف الأذى عنهم ، وعودتهم
 الى تمذيب بني اسرائيل ، ثم خروج هؤلاء من مصر ، وبعد الخروج
 ذكر طلبهم من موسى أن يتخذ لهم الهة كما للمصريين الهة ،
 وتذكيره لهم بربهم ، ثم ميماد موسى معه ربه ثلاثين ليلة زادت
 الى أربعين ، وطلبه رؤيته ربه ، ودك الجبل وانصاق موسى
 وافاقته ، وعودته الى قومه حيث وجدهم قد اتخذوا لهم عجلا الهة
 وغضبه على أعينهم ، ثم اختيار سبعين رجلا منهم لميقات ربه ، وغشيتهم
 بالجبل لما طلبوا رؤيته الله تعالى جهرة وافاقته ، ثم دعاؤهم
 بطلب الرحمة فالرد عليهم بأن الرحمة قد كتبت للمؤمنين الذين
 يتبعون النبي الأمي .

الموضع الرابع :-
 ~~~~~

وردت فيه اشارتان للرسالة والتكذيب واهلاك المكذبين ففى  
 قصص مشتركى سورة الفرقان<sup>(١)</sup> (الثانية والأربعين فى النزول وفى سورة  
 مريم<sup>(٢)</sup> الرابعة والأربعين .

(١) الآيات : ٣٥ ، ٣٦ من سورة الفرقان .

(٢) الآيات : ٥٢ - ٥٣ سورة مريم .

الموضع الخامس :-  
 ~~~~~

في سورة (طه) الخامسة والأربعين في النزول ، يبدأ تفصيل آخر من حلقة أسبق من الرسالة التي ذكرت في الأعراف ، تلك هي رؤية موسى للنار من جانب الطور الأيمن (وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَمَلِيصٍ أَتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى) الآيات (١).

وبعد أن يكلف الذهب الى فرعون يحاور ربه ليرسل معه (هرون) يشد أزره ويكون وزيرا له ، فيذكره الله بنعمته فسي مولده وورده الى أمه ، في اشارة سريعة - ثم تسير القصة كما سارت في ، الأعراف مع حذف آيات الجراد والقمل والضفادع ، والدم وعهد فرعون لبني اسرائيل ونكسه مع زيادة أن السامري هو الذي صنع المجل ، وتفصيل قصة صنعه .

الموضع السادس :-
 ~~~~~

في هذه السورة الكريمة ( سورة الشعراء ) السابعة والأربعين من حيث النزول ، تبدأ القصة فن الرسالة وتسير في الخطوات الستى

( ١ ) الآيات ٩٠ : ٩٨ من سورة طه .

سارت فيها الى خروج بني اسرائيل من مصر ، ولكنها تزيد هنا  
أمرين :-

أولهما :-

ذكر موسى أنه قتل رجلا من القبط وهو يخشى أن يؤخذ به ،  
وتذكير فرعون له بأنه قد ربي فيهم ولجدا وفعل هذه الفعلة  
ومضى .

الثاني :-

ذكر انغلاق البحر كالطود العظيم ، وهذا وذاك مع تنويع في  
الحوار بين فرعون وموسى واثبات الله تعالى بصفاته ، وتنويع الحوار  
مع السحرة كذلك كما سيأتي ايضاحه ان شاء الله تعالى .

الموضع السابع :-

~~~~~

في سورة النمل - (الثامنة والأربعين) قصة التكذيب والمقاب

مع قصص مشترك (١) .

الموضع الثامن :-
 ~~~~~

في سورة القصص ( التاسعة والأربعين ) تبدأ القصة من أولها من مولد موسى عليه السلام في اهان اضطهاد قومه ، فوضعه في التابوت ، فالمقائه في البحر والتقاط آل فرعون له وتحريم المراضع عليه وأمره لأخته أن تقص أثره ، ومعرفة بائنتها بأمره ، وإشارتها على آل فرعون بموضع للطفل هي أمه ثم كبره ، ثم قتله للقبطى ، ومحاولته قتل آخر ، وتهديد يده اياه بافشاء سر القطة الاولى ، ونصح رجل له بالهروب وقد جاءه من أقصى المدينة يسمى ، وخروجه الى أرض مدين ، والتقاءه بابنتي شميم ، وسقيه لهما ، وحضها لأبيها طسى استخداما ، وعطه مع شميم ، وزواجه بابنته حسب شرطه ، ثم انفصاله عنه وذهابه بأهله ، ثم رؤيته النار التي بدت منها القصة في سورة ( طه ) .

ثم تسير القصة كما سارت هناك بزيادة قول فرعون ( تَأْتِي  
 يَا هَامَانَ عَلَى الطَّيْنِ فَاجْمَلْ لِي صُرْحًا كَمَلِي أُطْلِعُ إِلَى إِلِهِ مُوسَى )  
 وتنتهى عند فرق فرعون بعد خروج موسى . ( ١ )

( ١ ) انظر الآيات : ٤٦ : ٣ من سورة القصص .



الموضع التاسع :-  
~~~~~

في سورة الاسراء (الخمسين من حيث النزول) اشارة سريعة

الى اغراق فرعون والتمكين لبني اسرائيل (١).

الموضع العاشر :-
~~~~~

في سورة يونس ( الحادية والخمسين ) عرض قصير في وسط

قصص مشترك لبنيان عاقبة التكذيب ، وقد ذكرت فيه حلقة السحرة

باختصار ، وتجاوز بني اسرائيل البحر ، وأتباع فرعون لهم دعوته ، وفيها

زيادة قوله :- ( حَتَّىٰ إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنْتُ أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي  
آمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ) .

فكان الرد : ( الْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ مِن قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ؟

فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدْنِكَ لَئِن لَّمْ نَكُنْ لَكَ بَدْنًا لَّنِ كُنَّا بِاللَّهِ لَكَاذِبِينَ ) وهي زيادة لم ترد

الا في هذا الموضع . (٢)

الموضع الحادي عشر :-  
~~~~~

في سورة هود (الثانية والخمسين) اشارة سريعة الى الالهلاك بعد

التكذيب في صدد قصص مشترك (٣).

(١) انظر الآيات ١٠١ : ٤٠٤ من سورة الاسراء .

(٢) انظر الآيات ٧٥ : ٩٣ من سورة يونس .

(٣) انظر الآيات ٩٦ : ١٠١ من سورة هود .

الموضع الثاني عشر :-

فى سورة غافر (الستين من حيث النزول) تعرض حلقة
الحوار بين فرعون وموسى ولكن تزيد فى هذا الحوار قول فرعون
(ذرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رِبِّي) وظهور رجل موءمن من آل فرعون
بكتف ايمانه يشير عليهم ألا يقتلوه فقد يكون على صراط مستقيم ،وهي
زيادة لم ترد الا فى هذا الموضع . (١)

الموضع الثالث عشر :-

فى سورة فصلت (الحادية والستين) اشارة سرية . (٢)
وكذلك فى سورة الزخرف (الثالثة والستين) اشارتان سريعتان ولكن
يزيد هنا أن فرعون يقول (أَلَمْ يَسْرُلِي مَلِكًا صِرًا وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن
تَحْتِي أَفَلَا تَهْتَفُونَ ؟ أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يُكْسَرُ
بِعِينٍ) . وهي زيادة خاصة بهذه السورة . (٣)

(١) انظر الآيات : ٣٦ - ٥٤ من سورة غافر .

(٢) الآيه ٤٥١ سورة فصلت .

(٣) انظر الآيات : ٤٦ : ٥٦ من سورة الزخرف .

الموضع الرابع عشر :-
~~~~~

في سورة الذاريات ( السابعة والستين ) اشارة سريعة الى ارسال  
موسى الى فرعون بسُلطان مبين وتكذيبه واهلاكه (١).

الموضع الخامس عشر :-  
~~~~~

في سورة البقرة (السابقة والثمانين) في معرض تذكير بني اسرائيل
بنعم الله عليهم ، ومقابلتهم هذه النعم بالمماطلة والمجرد ، وفي هذا
المعرض تكررت بعض الحلقات التي سبق في قصة موسى ، ومن ذلك
اعطاؤهم المن والسلوى ، ولكن يزيد هنا بطرهم على هذه
النعم وطلبهم اطعمة متنوعة بدل المن والسلوى ، ثم البقرة التي
أمرهم الله بذبحها فجعلوا يتكأون ويسألون عن صفاتها ، ويتمهلون
فيها حتى استنفذوا المعادن (فذبحوها وما كادوا يفعلون)
وهي حلقة جديدة لم تعرض من قبل (٢).

الموضع السادس عشر :-
~~~~~

في سورة المائدة ( الثانية عشر بعد المائة ) قصة وقوفهم على أبواب  
الأرض المقدسة ولا يدخلون ( قالوا يا موسى ان فيها قوما جبارين واننا

( ١ ) انظر الآيات : ٣٨ : ٤٠ سورة الذاريات .

( ٢ ) انظر الآيات : ٤٠ : ٧٤ من سورة البقرة .

لَنْ نَدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ ) السى  
 قوله : ( قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّا لَنَدْخُلُهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَادْهَبْ أَنْتَ  
 وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ . قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي  
 فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ . قَالَ فَإِنَّهَا مَحْرَمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً  
 يَتِيمُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَىٰ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ) (١) .

ويتركهم هنالك في التيه فلا يأتي بعد ذلك ذكر لموسى .

ولا يذكر عن بني اسرائيل الا تفرقهم وعداوتهم للمسيح والمسلمين .

وورد في سورة ( الكهف ) (٢) عرض لمقابلة موسى لمعد من عاد الله  
 أوتي من لدنه رحمةً وعم طمًا ، وقد طلب اليه موسى أن يصحبه  
 ليستفيد من علمه ، فأخبره بأنه لن يصبر معه ليملمه ، وقد يوعد  
 موسى أن يصبر ، ثم يستطع معه صبراً ، لأن الرجل أخذ في  
 تصرفات لا يدرك كسبها موسى ولا يعوف لها مفزى ، فشرح له  
 الرجل المالم سرها وافتراقاً (٣) .

( ١ ) انظر الآيات : ٢٠-٢٦ من سورة المائدة .

( ٢ ) انظر الآيات : ٦٠-٨٢ من سورة الكهف .

( ٣ ) عن كتاب : التصوير الغني للقرآن سيد قطب ص ١٢٧ ط. الخامسة  
 بتصرف .

هذه هي أهم المواضع التي ذكر فيها موسى عليه السلام وقصته في القرآن الكريم . يتضح لنا منها عناية القرآن الكريم ببلغت الأنظار الى ما فيها من عبر ودروس ، وما تضمنته من عجائب تدبهر الله تعالى في أوليائه ورسله ، ونصرتهم لهم ، ولعل هذه العناية بهذه القصة ترجع الى أسباب منها :-

أولا :-  
مممممم

تسليم النبي صلى الله عليه وسلم ، وتخفيف حزنه مما يلقاه من أذى المشركين واعراضهم ، ولهذا نجد أن القصة وردت في السورة المكية - ماعدا سورة البقرة والمائدة - وليس فيها ذكر لقصة موسى ، وإنما ذكر فيها التوبيخ والتفريع لمبنى إسرائيل على كفرهم بنعم الله تعالى وتمردهم وعصيانهم لا نبيا ، الله تعالى وقتلهم بغير حق .

كما أن في القصة عبرة للمشركين بهلاك فرعون وطغى جزاء لهم على التكذيب واظهار قدرة الله تعالى على نصرة أوليائه ورسوله ، ولهذا ورد ذكر القصة في السور المكية التي نزلت في الفترة الصعبة التي واجهها النبي - صلى الله عليه وسلم - والمسلمون معه .

---

ثانيا :-  
متممممم

نقل العلامة القاسمي<sup>(١)</sup> عن شيخ الاسلام ابن تيمية في رسالة له

يقول :-

( وثني في القرآن قصة موسى مع فرعون لأنهما في طرفي نقيض  
في الحق والباطل، فان فرعون في غاية الكفر والباطل ، حيث كفر  
بالربوبية وبالرسالة ، وموسى في غاية الحق والايمان من جهة أن الله  
كلمه تكليما لم يجعل الله بينهما واسطة من خلقه ، فهو مثبت لكمال  
الرسالة، وكمال التكليم ، و مثبت لرب العالمين بما استحق من النمود ،  
وهذا بخلاف أكثر الأنبياء مع الكفار ، فان الكفار أكثرهم لا يجحدون  
وجود الله تعالى ، ولم يكن للمرسل أيضا من التكليم ما لموسى ، فصارت  
قصة موسى وفرعون أعظم القصص وأعظمها اعتبارا لأهل الايمان  
وأهل الكفر ، ولهذا كان النبي - صلى الله عليه وسلم - يقص على  
أمة عامة ليلة عن بني اسرائيل، وكان يتأسى بموسى في أمور كثيرة،  
ولما بشر بقتل أبي جهل يوم بدر قال : ( هذا فرعون هذه  
الامة )<sup>(٢)</sup> .

---

( ١ ) العلامة جمال الدين القاسمي - تقدمت ترجمته .

( ٢ ) معاصر التأويل - القاسمي ج ١ ص ٢٦٤ ط . الثانية .

ثالثا :-  
مهممممم

-وله تعلق بما تقدم - أن دعوة موسى عليه السلام تكليف أضخم شاق متعدد الجوانب والمعقات ، وفيه الكثير من المبر والتجارب واظهار قدرة الله تعالى على تصريف الأمور من حال الى حال والسبب هذا يشير المرحوم سيد قطب بقوله :-

( ورسالة موسى بالذات قد تكون أضخم تكليف تلقائى بشر - عدا رسالة محمد صلى الله عليه وسلم - فهو مرسل الى فرعون الطاغية المتجبر ، أعنى طوك الأرض فى زمانه ، وأهدمهم عرشا وأثبتهم طكا ، وأعرقهم حضارة ، وأشدهم تمبدا للخلق ، واستعلاء فى الأرض .

وهو مرسل لاستنقاذ قوم قد شربوا من كؤوس الذل حتى استمروا مذاقه فمردوا عليه واستكانوا دهرًا طويلًا ، والذل يفسد الفطرة البشرية حتى تأسن وتتصفن ، ويذهب بما فيها من الخير والجمال والتطلع ، ومن الأشمئزاز من المفن والنتن والرجس والدنس ، فاستنقاذ قوم كهؤلاء عمل شاق صير .

وهو مرسل الى قوم لهم عقيدة قد يمة انحرفوا عنها ، وفسدت صورتها فى قلوبهم ، فلا هي طوب خامة تتقبل العقيدة الجديدة بهراة وسلامة ،

---





النضر بن الحارث وبمئثوا معه عقبة بن أبي معيط الى أحبار يهود  
بالمدينة وقالوا لهما :-

سلاهم عن محمد ، وصفا لهم صفته ، وأخبر أنهم بقوله ، فانهم  
أهل الكتاب الأول وعندهم علم ليس عندنا من علم الأنبياء ، فخرجنا  
حتى قدما المدينة فسألا أحبار يهود عن رسول الله صلى الله عليه  
وسلم ، ووصفا لهم أمره ، وأخبرا هم ببعض قوله وقالوا لهم :-

انكم أهل التوراة ، وقد جئناكم لتخبرونا عن صاحبنا هذا ،  
فقلت لهم أحبار يهود :- سلوه عن ثلاث فأمركم بهن ، فسان  
أخبركم بهن فهو نبي مرسل ، وان لم يفصل فالرجل متقول  
فروا فيه رأيكم . . . الى آخر الخبر (١) .

فجاء القرآن الكريم لبيّن لهم حقيقة موسى - عليه السلام -  
وما هو عليه من الهدى والحق ، وحقيقة هؤلاء اليهود الذين يزعمون  
أنهم أتباعه ، وما هم عليه من الضلال والكفر ، وما وقع منهم من  
تحريف كتب الله تعالى المنزل عليهم ، وقتلهم الأنبياء بخير حق  
وحسد هم وضلالهم .

---

( ١ ) السيرة النبوية لابن هشام ج ١ ص ٣٢١ دار الفكر .

كما بين لهم كذلك أن ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم لا يخالف ما جاء به موسى وما بعثت به الأنبياء من قبل وما جاء به إبراهيم عليه السلام لا يخالف ما بعثت به موسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام ، وهذا ما أثبتته القرآن الكريم في أول موضع ذكر فيه موسى وإبراهيم عند اقترار حقيقة التوحيد في سورة الأُطى : - ( اِنَّ هٰذَا لَفِي الصُّحُفِ الْاُولٰٓئِ ،  
وَصُحُفِ اِبْرٰهٖمَ وَمُوسٰى ( ١ )  
صُحُفِ اِبْرٰهٖمَ وَمُوسٰى ) .

دعوة موسى عليه السلام في السورة الكريمة : -  
~~~~~

في هذه السورة الكريمة عرضت دعوة موسى عليه السلام (ضمن قصة شغلت ستا وخمسين آية من جسم السورة الكريمة جاء عرض القصة متناسقا مع موضوع السورة واتجاهها الى طمأننة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وتمزيته مما يلقاه من اعرافى المشركين وتكذيبهم ، والى بيان عاقبة المكذبين بالرسالة ، ورعاية الله تعالى لدعوته والمؤمنين بها ، ولو كانوا مجرد يمن من القوة وأعداؤهم سلطون عليهم بالأذى والتكيل ، وهذا هو الموقف الذى كان فيه المسلمون بمكة عند نزول السورة الكريمة (٢) .

(١) الآيتان : ١٨ ، ١٩ سورة الأُطى .

(٢) الظلال ج ٥ ص ٢٥٨٨ بتصرف .

وباستقراء ماورد في القرآن الكريم عن موسى - عليه السلام - ودعوته
وما ذكره المؤرخون يمكننا القول بأن موسى - عليه السلام -
موت في دعوته بمراحل ثلاث :-

أولها :-
مهممممممم

مرحلة ما قبل الرسالة - ويتميز آخر - مرحلة الاعداد للرسالة ،
وكيف أن الله تعالى تكفل به منذ أن حطت به أمه ، وحفظه من
شر فرعون الذى قتل بسببه من النفوس مالا يحصى ، وأراد لسه
تعالى - ولا راد لمشيئته - أن يوسى في دار فرعون ، وينشأ فى
حضانتة ليظهر كمال القدرة والممجة ، ولما شب عن الطرق ودخل
المدينة على حين غفلة من أهلها وقتل الرجل القبطى نصرته للاسرائيلى
ثم هرب من المدينة خائفا من بطش فرعون فقصد أرض (مدين) ، و
وأقام هناك ثم تزوج وقتل راجما ، كل هذا باختيار الله تعالى
له وتدبيره كما أخبر سبحانه فى قوله (وَلَتَصْنَعُ عَلَى عَيْنِي) (١)

المرحلة الثانية :-
مهممممممممم

مرحلة الرسالة والتكليف حين قفل راجما الى (مصر) فساداه
ربه بالوادى المقدس ، وبعثه الى فرعون ليستنقذ قومه بنى اسرائيل

من ذلهم وهوائهم، ويبلغهم رسالة الله تعالى، وأيده بمعجزة المصا
واليد، وأرسل معه أخاه هارون وزيرا، ثم واجهة لفرعون وما جرى
بينهما من مناظرات، ثم منازلته للسحرة وإيمانهم به، ثم غرق فرعون
وهلاكه حينما أراد أن يجمع موسى وبني إسرائيل ليمطش بهم، وخروج
موسى ببني إسرائيل من مصر .

المرحلة الثالثة :- ~~~~~

ما بعد هلاك فرعون وخروج موسى ببني إسرائيل من مصر، ثم
ما وقع منهم بعد ذلك من مخالفة موسى - عليه السلام - وعصيانه وتمردهم
على أوامر الله تعالى وشرعه وتنتهي هذه المرحلة بوفاء
موسى - عليه السلام - .

وقد اختلفت بعض سور القرآن في تفصيل وشرح هذه المرحلة
كما في سورة البقرة وسورة المائدة .

أما في هذه السورة الكريمة فقد عرض فيها المرحلة الوسطى من حياة
موسى عليه السلام ودعوته وهي (مرحلة الرسالة والتكليف وتكذب
فرعون وهلاكه عقابا له عن موامرتة بموسى - عليه السلام - ومن معه)
وهي المرحلة التي تتناسب مع موضوع السورة ومع قوله تعالى في مقدمتها :

(فَقَدْ كَذَّبُوا فَسَاءَ لَهُمْ جُزَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ) (١) . وفي ختامها :
(وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْظِبُونَ) (٢) .

وبداية القصة هنا خطاب من الله تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ليتذكر ذلك النداء العظيم الذي اختص به موسى عليه السلام حيث جاء التكليف منه تعالى مباشرة بلا واسطة من خلقه :-

(وَإِذَا نَادَى رَبُّكَ مُوسَىٰ أَنْ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ . قَوْمِ فَرعونَ
الَّذِينَ يَتَّبِعُونَكَ (٣) . استحقوا الوصف بالظلم من وجهين :-

ظلمهم أنفسهم بالكفر وعبادة غير الله تعالى ، وظلمهم لغيرهم وهم بنو إسرائيل بالقهر والذل والاستعباد .

(ويطلب موسى عليه السلام من الله تعالى أمرين يحصل بهما

المراد من بعثته) :-

أولهما :-
متممممممم

أن يرسل معه (هرون) ويذكر السبب الداعي لهذا السؤال وحاصله أنه لو لم يكن معه هرون لاختلعت المصلحة من بعثته ، وذلك أن فرعون ربما كذبه ، والتكذيب سبب لضيق القلب ، وضيق القلب سبب لتعسر الكلام

(١) الآية : ٦ - من سورة الشعراء .

(٢) الآية : ٢٢٧ سورة الشعراء .

(٣) الآياتان : ١٠-١١ من السورة الكريمة .

على من يكون في لسانه حبسة ، فهذا بدأ بخوف التكذيب ، ثم شنى
بضيق الصدر ، ثم ثلث بعدم انطلاق اللسان ، وأما هرون فهو أفصح
منه لسانا ظمير في حقه هذا المعنى ، ثم انه قد قتل منهم رجلا فيخاف
أن يواخذوه بذنبه ، ويأدروا الى قتله ، وحينئذ لا يحصل المقصود
من القصة . وأما هرون ظمير كذلك .

الأمر الثاني :-
~~~~~

طلب موسى عليه السلام من الله تعالى أن يدفع عنه شرهم

( وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنْبٌ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ ) ( ١ )

وفي موضع آخر :- ( قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يُفْرِطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْفِئُنَا ) ( ٢ )

وقد أجابه سبحانه وتعالى وأعطاه وأسأل ، فأذن له في اصطحاب

هرون ( فَانْهَبَا بِآيَاتِنَا إِنَّا مَعَكُمْ سَتِيمُونَ ) ( ٣ ) . وأجابه عن الثاني

بقوله ( كلا ) أب أرتدح باموسى عما تظن .

ولم يكن في طلبه عليه السلام صحبة أخيه هرون تكرها أو اعتذارا

عن التكليف فهرون أفصح لسانا ومن ثم هو أهدأ انفعالا ، فإذا

( ١ ) الآية : ١٤ - سورة الشعراء .

( ٢ ) الآية : ٤٥ سورة طه .

( ٣ ) الآية : ١٥ سورة الشعراء .

أدركت موسى حبيسة، أو غميق نهش هسرون بالجدال والمحاجة والبهان،  
فمقصوده عليه السلام فيما سأل أن يقع الذهاب على أقوى الوجوه فسي  
الوصول الى المراد (١) .

ثم اتجه موسى ومعه هسرون الى مصر لمقابلة فرعون وتبليغه ما أمر  
الله تعالى به، ويروى أنهما وقفا بهابه سنة لم يوهذن لهما حتى قال له  
البواب : - ان ههنا انسانا يزعم أنه رسول رب العالمين ، فقلل  
فرعون :- ائذن له لعلنا نضحك منه (٢) .

ولم يرد في السورة الكريمة ذكر لما قاله موسى عليه السلام عند دخوله  
على فرعون وهو ما ذكر في موضع آخر في سورة الاعراف : ( وَقَالَ  
مُوسَى يَا فِرْعَوْنُ اِنِّى رَسُولٌ مِّنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ حَقِيقٌ عَلَىَّ اَنْ لَاْ اَقُولَ طِسْرٌ  
بِاللّٰهِ اِلَّا الْحَقُّ قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِّنْ رَبِّكُمْ فَارْسِلْ مَعِىْ بَنِي إِسْرَائِيلَ ) (٣)  
وهذا ما أمره الله تعالى به في قوله تعالى في هذه السورة ( فَاتَّبِعْنَا  
فَقُولَا اِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ اَنْ اَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ) (٤) .

( ١ ) تفسير الرازى : ج ٢٣ ص ١٢١ طه . الأولى بتصريف كبير .

( ٢ ) تفسير الرازى : ج ٢٣ ص ١٢٢ طه . الأولى .

( ٣ ) الآياتان : ١٠٤ - ١٠٥ سورة الاعراف .

( ٤ ) الآياتان : ١٦ - ١٧ سورة الشعراء .

( ويتضح من هذا ومن أمثاله في القرآن الكريم ، أن موسى عليه السلام لم يكن رسولا الى فرعون وطنه ليدعوهم الى دينه وبأخذهم بمنهج رسالة ، وانما كان رسولا اليهم بأمرهم بتوحيد الله تعالى والتصديق برسالته ، واجابته لما يطلبه منهم وهو اطلاق بنى اسرائيل ليعبدوا ربهم كما يريدون ، وقد كانوا أهل دين منذ ألبهم ( اسرائيل ) وهو يعقوب والد يوسف عليه السلام ، فهبت هذا الدين في نفوسهم وفسدت عقائدهم فأرسل الله تعالى اليهم موسى لينقذهم من ظلم فرعون ويعيد تربيتهم على دين التوحيد ( ١ ) .

وطى هذا فموضوع المناقشة بين موسى وفرعون ينحصر في مطالب

ثلاثة :-

أولها : الاقرار بربوبية الله تعالى للكون ، وما فيه وألوهيته ووحدانيته .  
 وثانيها : التصديق برسالة موسى عليه السلام والاعتراف بأنه رسول من رب العالمين .

وثالثها : أن يطلق بنى اسرائيل مع موسى ليبلغهم رسالة الله تعالى وبأخذهم بشرعه ، وهذا ما أكدت عليه الآية السابقة .

( ١ ) الظلال - سيد قطب - ج ٥ ص ٢٥٩٠ بتصريف كبير .



وقد طارضه فرعون في دعواه ، وجاءت معارضته له على مراحل

بدأها بالتشكيك في رسالته وكونه أهلاً لها ، فقال يخاطبه :- ( اَلَسَمَّ  
نُرَبِّكَ فِينَا وَلَيْدًا ؟ وَلُبَّثْتَ فِينَا مِنْ عَمْرٍكَ سِنِينَ ؟ وَفَعَلْتَ فَعَلَّتْكَ السَّتَّى  
فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ؟ ) (١) .

( عرفه بنفسه أولاً وكأنه يقول له :-

ما بالك وقد لبثت فينا من عمرك سنين لم نتحدث بهذه الدعوى

التي تدعيها اليوم ؟ ثم ذكره بنعمه عليه وتربيته له ، واستأسأته

بقتله للرجل القهظي - الذي قيل انه من حاشية فرعون - فهل هذا

جزاء التربية والكرامة التي لقيتها عندنا وأنت وليد أن تأتني اليوم

لتخالف مانحن عليه من ديانة ، ولتخرج عن الطك الذي نشأت في

داره وتدعوه الى اله غيره ؟ ) (٢) .

ومحصل رد فرعون :-

أن موسى كافراً احسانه اليه بالاساوة ، اذن فهو كافر بالنعمة

ومن كانت هذه حاله فلا يستحق أن يقبل منه قول أو أن يصدق في

دعواه .

( ١ ) الأبيات ١٨-١٩ سورة الشعراء .

( ٢ ) عن - الظلال - سيد قطب ج ٥ ص ٢٥٩ الخامسة .

وهكذا جمع فرعون في جوابه كل ما حسبه ردا قاطلا لا يمكن  
 موسى عليه السلام معه جوابا ، ولا يستطيع مقاومة ، وبخاصة قضية قتل  
 الرجل وما يمكن أن يعقبها من قصاص يتهدده به من وراء الكلمات (١) .

وقد ذكر فرعون حق يقتين لا يمكن انكارهما ، ولا ريب أن موسى عليه  
 السلام لم ينكرهما ولكنه أجاب عنهما بما يقتضى أنهما لا تعد حان فسى  
 أهليته للرسالة .

بدأ عليه السلام بأهم هاتين الحق يقتين . وهي قضية قتل الرجل  
 القبطى وأخر الجواب عن الثانية ، وهي ما امتن به عليه فرعون من  
 النعمة والتربية والاحسان .

يقول الامام الرازى رحمه في تجرير هذا التصرف من موسى عليه

السلام :-

( اطم أن فرعون لما ذكر التربية وذكر القتل ، وقد كانت تربيته له  
 معلومة ظاهرة لا جرم أن موسى عليه السلام ما أنكرها ولم يشتغل بالجواب  
 عنها لأنه تقر في المقول أن المرسل الى الفسور اذا كان معه معجزة  
 وحجة لم يتغير حاله بأن يكون المرسل اليه أنعم عليه أولم يفعل ذلك ،  
 فصار قول فرعون لما قاله غير موثر البتة ، ومثل هذا الكلام

(١) الظلال ص ٢٥٩١ ط. الخامسة . بتصريف .

الاعراض عنه أولى ( ١ ) هـ .

وقد تضمن الرد الكريم منه عليه السلام ما يلي :-

أولا :-  
ممنمممم

أجاب عن قضيته قتل الرجل بما لا شيء . أبلغ منه في الجواب، وهو قوله :- ( فَعَلْتَهَا إِذَا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ ) ( ٢ ) . وهذا في مقابلة قول فرعون ( وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ) ( ٣ ) .

( ومراده عليه السلام بقوله " من الضالين " الداهلين عن معرفة ما يؤول اليه الضرب من القتل ولأنه فعل الوكزة على وجه التأديب ، ومثل ذلك ربما كان حسنا وان أدى الى القتل .

وأضاف عليه السلام :-

( فَفُورَتْ مِنْكُمْ لَمَّا خَفَيْتُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حِكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ ) ( ٤ )

أى أنى لما فعلت ذلك الغفل وأنا ذاهل عن كونه مهلكا وكان منى فسى حكم السهو لا أستحق التخويف الذى يوجب الفرار ومع ذلك فورت منكم .

( ١ ) مفاتيح الضيق - الرازى - ج ٢٣ ص ٢٥ ط . الأولى .

( ٢ ) الآية : ٢٠ سورة الشعراء .

( ٣ ) الآية : ١-١٩ سورة الشعراء .

( ٤ ) الآية : ٢١ سورة الشعراء .

ثم ذكر نعمة الله تعالى عليه بمد الغرار فكانه قال : - أسأتكم  
وأحسن الله الي بأن وهب لي حكما وجعلني من المرسلين (١) .

ثانياً :-  
ممممممم

أجابه عليه السلام عن الثانية تهكما يتهمكم ولكن بالحق وذلك  
عن قوله :-

( أَلَمْ نَرْبِّكُفِينَا وَلِيدًا . وَلَيْسَتْ فِينَا مِنْ عَمْرٍكَ سِنِينَ ) (٢) .

أجابه عنها بقوله :-

( وَتِلْكَ نِعْمَةٌ ثَمَّنَّا عَلَيْكَ أَنْ عَهَدْتَنِي إِسْرَائِيلَ ) (٣) .

ومراده عليه السلام من هذا أن تربية فرعون له في داره لم تكن الا  
من جراء استعباده لقومه وقتله أبناهم ما اضطر أمه أن تلقيه فسي  
ثابت وتقذفه في الماء ليلتقطه ويربيه في داره لا في دار أبويه ،  
فتربي بمهدا عنها ، فهل هذا يمد من النعم والفضل ؟ .

عند ذلك أظهر عدو الله الاقتناع ، أو أنه بهت بهذا الجواب ولم  
يجد مجالاً للقدح في أمانة موسى عليه السلام ومروته وأهليته للرسالة ،  
فمدل عن هذه المسألة وراح يجادل في صميم دعواه ، ولكن في تجاهل  
وهزء وسوء أدب في حق الله تعالى .

( ١ ) المرجع السابق .

( ٢ ) الآية : ١٨ ، سورة الشعراء .

( ٣ ) الآية : ٢٢ سورة الشعراء .

( قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ) ( ١ ) ؟ : فانتقل الحوار الى قضية

أخرى هي اثبات ربوبية الله تعالى وعظمته ، وذلك أنه - لمنه الله -  
كان ينكرو وجود الله تعالى ، وكان في الأصل على مذهب الصابئة كما  
قررهم جمع من أهل العلم ، ثم تجاوز ذلك الى ادعاء الربوبية فقال  
لقومه ( ما علمت لكم من إله غيري ) ( ٢ ) .

وذهب جمع من المفسرين الى أن فرعون كان من الممثلة لا يقصر

بخالق ولا يعترف بمعبود لظاهر قوله ( ما علمت لكم من إله غيري ) ( ٣ ) .

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله في تفسير هذه الآية ( قَالَ فِرْعَوْنُ

وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ) :- وذلك أنه كان يقول لقومه ( ما علمت لكم من إله غيري ) ( ٤ )

( فاستخف قومه فأطاعوه ) ( ٥ ) وكانوا يجحدون الصانع - جل وعلا -

ويعتقدون أنه لا ريب لهم سوى فرعون ، فلما قال له موسى ( اني رَسُولُ

رَبِّ الْعَالَمِينَ ) قال له فرعون ؛ - ومن هذا الذي تزعم أنه

رب العالمين غيري ؟ .

( ١ ) الآية : ٢٣ - سورة الشعراء .

( ٢ ) الآية : ٣٨ سورة القصص .

( ٣ ) انظر : معان التأويل ج ١٣ ص ١٠ .

( ٤ ) الآية : ٣٨ القصص .

( ٥ ) الآية : ٥٤ الزخرف .

هكذا فسره علماء السلف وأئمة الخلف .

وأضاف رحمه الله :- ( ومن زعم من أهل المنطق أن هذا سؤال  
عن الماهية فقد غلط ، فإنه لم يكن مقرا بالصانع حتى يسأل عن الماهية  
بل كان جاهدا له بالكلمة فيما يظهر وان كانت الحجج والبراهين قد  
قامت عليه ) . ١ . هـ . ( ١ )

والذى يظهر أنه كان من الوثنيين الخالمين ، وأنه له عدة  
معبودين طويين وسفليين كما دل عليه قوله تعالى حكاية عن قومسه  
( أَتَدْرُؤُوسَى وَقَوْمَهُ لِيَفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذُرُكَ وَالْهَيْتَكَ ) ( ٢ ) .

قال العلامة القاسمى - رحمه الله - ( الألهة جمع ( اله ) بمعنى  
المعبود ، وكان للمصرين آلهة كثيرة منها المسمى ( أوزيريس ) وكانوا  
يعتقدون أن روحه توجد في الشجر المسمى ( أبيس ) فيعبدوننه أيضا ،  
ويعبدون كثيرا من الحيوانات ، وكانوا يعبدون الظلام أيضا ، ويعبدون  
( بملزيوب ) صنم ( عقرون ) يعتقدون أن وظيفته طرد الذباب وبالجملة  
فقد قاموا كل من سواهم في الضلال ، فكانوا يسجدون للشمس والقمر  
والنجوم والأشخاص البشرية ، والحيوانات حتى الهوام وأدنى حشرات الأرض ،

( ١ ) تفسير ابن كثير ج ٣ ص ٣٢٢ ن - دار المصرفة .

هكذا حكى عنهم بعض الموقفين ( ١ ) .

وذهب ( الشهرستاني ) في ( الطل والنحل ) . الى أن فرعون كان في الأصل على مذهب الصابئة، ثم انصرف عنه الى ادعاء الربوبية حين رأى في نفسه قوة الاستعمال والاستخدام .

قال بعد تقرير مذهب الصابئة :-

( ولهذا الالتزام تفتن اللعين فرعون حيث ادعى الالهية والربوبية لنفسه ، وكان في الأصل على مذهب الصابئة ، نصبا عن ذلك ودعا الى نفسه فقال ( أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى ) ( وَمَا عَلَّمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي ) ان رأى في نفسه قوة الاستعمال والاستخدام ( ٢ ) .

قلت : ولكن فرعون يدرك أن ادعاءه للربوبية ليس أمرا ممهلا تقبله المقول ، وهو يعرف أن من أفراد مملكته من هو أكبر منه سنا ، ويعسرف ولادته ونشأته ، ولكنه أراد بهذا الادعاء التضليل لصد الناس عن الايمان بموسى عندما جاءه برسالة الله تعالى ، ولهذا نجده غير مستقر في دعواه ان يقول مثلا :-

( مَا عَلَّمْتُ لَكُمْ مِنْ الْغَيْرِي ) ( ٣ ) ولم يقل بطريق الجزم ( ليس لكم من الله

غيري ) .

( ١ ) محاسن التأويل - القاسمي - ج ٧ ص ٢٣٤ .

( ٢ ) الطل والنحل - الشهرستاني - ج ٢ ص ٣٤ .

( ٣ ) الآيه : ٣٨ القصص .

ويقول :- ( وَاِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ ) ولم يجزم بكذبه، لأنه لا يقدر أن يدعى خلق السموات والأرض، وتسير هذه القوى الكونية فسى هذا المالم ، ونلمس في تظلمه في الكلام ومراوغته في الجسدال ما تنطوى عليه نفسه من المخادعة لصرف الناس عن الحق واستمهادهم وتقصه أثواب الأكوهية ليرهب من حوله ويستميلهم ان شمر بفجوة بينه وبينهم .

وقد يلجأ في التمهد للاستدلال على الوهيتد الى أشياء ماد به حكى الله تعالى عنها شيئا من لذلك بقوله :-

( وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا تَبْصُرُونَ . أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ . فَلَوْلَا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّنْ ذَهَبٍ أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَأِكَةُ مُقْتَرِنِينَ ) ( ١ )

فقد جعل فرعون ميزان الحق والصدق أمرا ماد يا يوجع الى قوة السلطان ، وطغيان المادة ، ولكنه في قواراة نفسه بشمر بخبيسة الأمل وبصرف ما عليه موسى - عليه السلام - من الحق والصدق وما هو مؤيد به من الممجزات التي تضمن انتصاره على الباطل مهما طال الزمن .

( ١ ) الآيات : ٥١ - ٥٣ الزخرف .



والقرآن الكريم صريح في ذلك حين يتحدث عن فرعون وطئه .  
فقد أوضح أنهم قد عرفوا الحق ولكنهم تكبروا ظلما وطمعوا ،  
وانتهجوا دروب الفساد في الأرض . ( ١ )

قال تعالى : - ( ظَلَمُوا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُهْصِرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ  
مُبِينٌ . وَجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا فانظر كيف كان  
عاقبة المفسدين ) ( ٢ ) .

وقال تعالى : - ( وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَمَا قَالَ بَنُو إِسْرَائِيلَ  
إِذَا جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَى مَحْجُورًا . قَالَ لَقَدْ عَلِمْتُمْ  
مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بِضَائِرٍ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ  
مَحْجُورًا ) ( ٣ ) .

وعلى هذا فرعون لم يكن من المعظلة الذين لا يؤمنون بالله ،  
ولا يعترفون بمعبود وانما كانت له آلهة يصعدونها ثم عدل عنها ادعاء  
الربوبية وكان العامل له على هذا الطفيلان والملو والجبروت .

وسؤله لموسى ( وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ؟ ) معناه : -

( أى شيء يكون رب العالمين الذى تزعم أنك من عنده رسول ؟ )

( ١ ) انظر مناهج الجدل في القرآن د . زاهر الالمى ص ١٤٧-١٤٨ .

( ٢ ) الآية : ١٣-١٤ سورة النمل .

( ٣ ) الآية : ١٠٢ الاسراء .

وهذا هو الذى عول جمع من أهل العلم والنظر .

قال الامام ابن حزم فى ( الطل والنحل ) فى الكلام على المائة :  
( ذهب طوائف من المعتزلة الى أن الله تعالى لا مائة له ، وذهب  
أهد السنة وضوار بن عمرو الى أن لله تعالى مائة .

قال ضوار : لا يعلمها غيره .

قال ابن حزم : والذى نقول به وبالله التوفيق أن له مائة هي  
ابنته نفسها ، وأنه لاجواب لمن سأل : ما هو البارى الا ما أجاب به  
موسى - عليه السلام - ان سأل فرعون ( وَمَا رَبُّ الْمَالِمِينَ ؟ ) . ونقول  
أنه لاجواب هبنا لافى ظم الله تعالى ولا عندنا الا ما أجاب به موسى  
- عليه السلام - لأن الله تعالى حمد ذلك فهو صدق فيه ، ولو لم يكن  
جوابا صحيحا تاما لانقض فيه لما حمده الله تعالى ( ١ ) .

وما ورد فى القرآن الكريم يدل على أن فرعون فى الأصل لم يكن  
مقرا بوجود الله تعالى قبل بعثة موسى - عليه السلام - فلما بعث اليه  
موسى وأقام الحجج والبراهين على وجود الله تعالى ما لا يتطرق اليه  
الشك كفر فرعون به ، وهو يعلم فى قرارة نفسه صدق موسى - عليه السلام -  
فلما جاء به من عند الله ، ولكنه أنكر ذلك مفاطمة ومكابرة وهذا

( ١ ) الفصل فى الملل والأهواء والنحل - ابن حزم ج ٢ ص ١٧٤-١٧٥ ،

باختصار - الطبعة الثانية ١٩٧٥ م .

ما يدل عليه قوله تعالى : - ( وَجَعَدُوا بِهَا وَأَسْتَيْقَنَتَهَا أَنْفُسَهُمْ  
ظَلَمًا وَعَطْوًا ) ( ١ ) .

وقوله تعالى : ( وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا يَا مُوسَى ادْعِ لَنَا رَبَّكَ  
بِمَا عَاهَدْتَ عِنْدَكَ لَنَا إِذْ نُوهِيتُنَا مِنَ الرِّجْزِ لَنُؤْمِنَ لَكَ وَلِنُرْسِلَنَّ مَعَكَ  
بَنِي إِسْرَائِيلَ . فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الرِّجْزَ إِلَى أَجَلٍ هَمَّ بِالْفُتُوهِ إِذَا هُمْ  
يَنْكُورُونَ ) ( ٢ ) .

وقوله تعالى حكاية عن فرعون لما أدركه الضيق : - ( قَالَ آمَنْتُ  
أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتَ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ) ( ٣ ) .

وسواءه ( وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ؟ ) أراد أن يدرك به حقيقة الرب  
( جل وعلا ) وما هيته ولذلك لما عدل موسى - عليه السلام - فسى  
جوابه عن الماهية والحقيقة الى الأشو والفعل اتهمه بالجنســــــــــــــــون  
( قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ) ( ٤ ) .

( ١ ) الآية : ١٤ النحل .

( ٢ ) الآيات : ١٣٤ - ١٣٥ الاعراف .

( ٣ ) الآية : ٩٠ يونس .

( ٤ ) الآية : ٢٧ الشعراء .

قال الامام الفخر : - ( .....ثبت انه لا جواب اليه لقول فرعون

( وما رب العالمين )؟ الاما قاله موسى - عليه السلام - : - وهو

انه رب السموات والارض وما بينهما ..

فاما قوله ( ان كنتم موقنين ) فمعناه : - ان كنتم موقنين باسناد

هذه المحسومات الي موجود واجب الوجود فاعرفوا انه لا يمكن تعريفه الا بما

ذكرته ، لانكم لما علمتم انها هذه المحسومات الي الواجب لذاته وثبت

ان الواجب لذاته فرد مطلق هو ثبت ان المطلق لا يمكن تعريفه الا بما<sup>الذد</sup> تارة

وثبت ان تلك الآثار لابد ان تكون اظهر آثاره وابعدا عن الخفاء هو ما ذاك

الا السموات والارض وما بينهما ، فان ايقنتم بذلك لزمكم ان تقطعوا

بانه لا جواب عن ذلك السؤال الا هذا الجواب .

ولما ذكر موسى عليه السلام هذا الجواب الحق قال فرعون لمن حوله : -

( الا انتم ممن ؟ ) وانما ذكر ذلك علي سهيل التميمي من جواب موسى يعني

انا اطلب منه الماهية وخصوصية الحقيقة وهو يجيبني بالفاظية ،

( ١ )

والموثرة ( ١٠٠ هـ .

قوله تعالى : ( قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ ) (١)

هذا جواب موسى - عليه السلام - عن قول فرعون ( وَمَا رَبُّ الْمَالِكِينَ )  
 أجابه موسى - عليه السلام - عن تساؤله بالصفة المشتطه على ربهيته  
 تعالى للكون المنظور كله وما فيه ( قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا  
 إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ ) (٢)

( وهذا الجواب يغطي تجاهل فرعون ويكافئه ، بين له فيه أن  
 الله تعالى هو رب هذا الكون العظيم كله الذي لا يسلع اليه سلطانسه  
 ولا طمه ، وليس هو الا ملك ضئيل صغير بجانب ملكوت السموات والأرض  
 وما بينهما ) (٣)

فالتفت فرعون الى ملكه يعجبهم من هذا القول :-

( قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ) (٤) ولا ينظر موسى عليه السلام

منهم جوابا ، فيضى بواجهه بصفة أخرى من صفات - رب المالين :-

( قَالَ رَبِّكُمْ رَبُّ آبَائِكُمُ الْأُولِينَ ) (٥)

(١) الآية : ٢٤ الشعراء .

(٢) الآية : ٢٤ سورة الشعراء .

(٣) الظلال - سيد قطب - : ج ٥ ص ٢٥٩٢ ط . الخامسة .

(٤) الآية : ٢٥ سورة الشعراء .

(٥) الآية : ٢٦ سورة الشعراء .

وهذا قدح آخر في الوهية فرعون ، ظميس هو الا واحد من عبده  
لا اله كما يدهى بين قومه ، وهو رب قومه ، ظميس فرعون ربهم كما يزعم ،  
وهو رب العالمين ، فدعوى الوراثة التي تقوم عليها الوهية فرعون باطللة  
فما كان قبل الا الله ربا للعالمين ، ولم يطق فرعون سكوتا على هذا  
فرمان في تهكم بالجنون ( قَالَ اِنرَسُولكُم الَّذِي اُرْسِلَ إِلَيْكُم لَمَجْنُونٌ ) (١)  
ولم يرد بقوله ( رَسُولكُم الَّذِي اُرْسِلَ إِلَيْكُم ) اعترافا بالرسالة ، ولا اقاربا  
بها ، ولكنه أراد أن يتهكم على مسألة الرسالة في ذاتها ، فيبعد القلوب  
عن تصديقها (٢) .

ولكن هذا التهكم يفتفى ضد موسى عليه السلام فضى بصدع بكلمة

الحق :-

( قَالَ رَبُّ الْحَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا اِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ) (٣)

(أراد عليه السلام بالمشرق - طلوع الشمس وظهور النهار ، وأراد

بالمغرب - غروب الشمس وزوال النهار ، وهما مشهدان معروضان للأنظار

كك يوم ، ولكن القلوب لا تنتبه اليهما لكثرة تكرارهما وشدة الفتها .

(١) الآية : ٢٧ سورة الشعراء .

(٢) الظلال جه ٥ ص ٢٥٩٢ طه الخامسة .

(٣) الآية ٢٨ سورة الشعراء .

وهذا العرثان العظيمان لا يجروا فرعون ولا غيره أن يدعى

تصرفهما (١) .

والأمر ظاهر في أن هذا التدبير المستمر على هذا الوجه  
المجيب لا يتم الا بتدبير مدهر ، وهذا عين ما استدل به ابراهيم  
عليه السلام في مجادلته للنمرود ، فانه استدل أولا بالاحياء والاطانة  
وهو ما أراد موسى عليه السلام بقوله :-

( رَبُّكُمْ رَبُّ آبَائِكُمُ الْأُولِينَ ) (٢) - فأجابه نمرود بقوله ( أَنَا  
أَحْيِي وَأُمِيتُ ) (٣) . فقال ابراهيم عليه السلام : ( فَأَن لِّلَّهِ مَا تَبَالِغُ  
مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ ) (٣) .

وقد بهت فرعون أيضا باستدلال موسى عليه السلام وأعيان  
الحال أمام هذه الحجج الواضحة ، والبراهين الساطعة الدالة على  
وحدانية الله تعالى وعظمته ، وخاف أن تميل قلوب الناس من  
حوله الى موسى - عليه السلام - فأنهى معه هذه المحاورة بالتهديد  
الخليط ( قَالَ لَئِن لَّاتَّخَذَتِ الْهَاءُ غَيْرِي لِأَجْمَلْنِكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ ) (٤) .

- 
- (١) المرجع السابق ص ٢٥٩٣ .  
(٢) الآية : ٢٦ سورة الشعراء .  
(٣) الآية : ٢٥٨ سورة البقرة .  
(٤) الآية : ٢٥٨ سورة البقرة .  
(٥) الآية :- ٢٩ سورة الشعراء .

قال الامام السرازي رحمه الله :-

( معناه أنى أجعلك واحدا ممن عرفت حالهم فى سجونى وكان من عاداته أن يأخذ من يريد أن يسجنه فيطرحه فى بئر عميقة فردا لا يبصر فيها ولا يسمع ، فكان ذلك أشد من القتل ) (١) .

عند هذا تبين لموسى عليه السلام أن الحجج والبراهين المقوية والمنطق السليم لاتجدى شيئا فى اقناع هذا الخصم المكابر المماند فعدل عنها الى الحجج المادية المتمثلة فى المعجزة التى أيدته الله تعالى بها فقال له على سبيل المعنى :- ( أَلَوْلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ ) (٢) . دليل مادى واضح ظاهر يدل على صدقى فيما جئت به من عند الله تعالى ؟ .

فرد فرعون على سبيل التحدى :-

( فَأْتِ بِآيَةٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ) (٣) .

عند ذلك ألقى موسى عصاه فاذا هي ثعبان مبون ، ونزع يده فاذا هي بيضاء للناظرين فأراد فرعون تهمية هذه الحجة المادية أيضا على من حوله ( فذكر أمورا ثلاثة :-

أحدها : قوله :- ( إِنَّ هَذَا سَاحِرٌ كَذِبٌ ) (٤) . وذلك أن الزمان كان

( ١ ) مفاتيح الغيب - الرازى ج ٢٣ ص ١٣١ الاولى .

( ٢ ) الآية : ٣٠ سورة الشعراء .

( ٣ ) الآية : ٣١ سورة الشعراء .

( ٤ ) الآية : ٣٤ سورة الشعراء .



زمان سحرة وعند كثير من الناس أن الساحر قد يجوز أن ينتهي بسحره الى هذا الحد ، فوج طيبهم هذا القول .

وثانيها : قوله ( **يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ سِحْرَهُ** ) (١) . وهذا يجسرى مجرى التنفير عنه لئلا يقلوا قوله ، ذلك أن مفارقة الوطن أصعب الأمور على الانسان ، وهذا نهاية ما يفعله المبطل فسي التنفير من الحق .

وثالثها : قوله لهم :- ( **فَإِذَا تَأَمَّرُونَ** ) (٢) .

أظهر من نفسه أنه متبع لرأيهم ، ومنقاد لقولهم ، ومثل هذا الكلام يوجب جذب القلوب وانصرافها عن الخصم .

عند هذا اتفقوا على جواب واحد وهو قولهم :- ( أرجه ) أى أخره وقيل احبسه والمعنى واحد ، وأشاروا عليه بانفاز حاشريين يجمعون السحرة ظنا منهم أنهم اذا كثروا غلبوه ، وكشفوا حاله ، وعارضوا قوله ( لساحر عليم ) بتقونهم :- ( **يَأْتُونَكَ بِكُلِّ سِحْرٍ عَظِيمٍ** ) (٣) فجاؤوا بكلمة الاحاطة وبصيغة المبالغة ليطيروا قلبه ، ويسكنوا بعض قلبه ) (٤) .

---

( ١ ) الآية : ٣٥ سورة الشعراء .  
( ٢ ) الآية : ٣٥ سورة الشعراء .  
( ٣ ) الآية : ٣٧ سورة الشعراء .  
( ٤ ) تفسير الرازى ج ٢٣ بتصرف كبير .

فأظهر فرعون الرضى والموافقة وقال مخاطبا موسى : ( فَاجْمَلْهُ

بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَّا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا سِوَى ) (١) .

فاختار موسى طيه السلام يوم العيد - وهو يوم الزينة - وقست الضحى لتظهر حجته عليهم فى وضوح النهار أمام الخلق العظيم ، ووافق فرعون على ذلك آملا أن يظهر ما يدعيه من بطلان دعوة موسى أمام الخلق العظيم أيضا .

وانتهت بينهما هذه المحاوره وهما على موعد مع مناظرة عظيمة أخرى ومع مشهد آخر من مشاهد الصراع بين الحق والباطل .

مناظرة موسى مع فرعون وسحرته بالحجة المطمية فى اثبات صدق الرسالة :-  
 وذلك بمد اقامة الحجة القولية وعدم قناعتهم وتسليمهم واتفقوا على أن يجمعوا له السحرة ليظهر كذبه أمامهم كما يدعون ، ولتسقط بذلك الحجة المطمية التى عرضها موسى عليهم المتضلة فى معجزة الجصا واليد ، فضى فرعون يسمت فى أرجاء مصر يحشد السحرة لذلك اليوم الموعود ( وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنْتُمْ مُجْتَمِعُونَ . لَمَلْنَا تَتْبِعُ السَّحْرَةَ إِنْ كَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ ) (٢) .

(١) الآية : ٥٨ سورة طه .

(٢) الآيتان : ٣٩-٤٠ سورة الشعراء .

ولما اجتمع الصحرة واستعدوا للنزال ابتدوا بطلب الاجر  
وهو المال ، فبذل لهم فرعون المال والجاه معا ، واكده بقوله ( وانكم  
اذا لمن المقربين ) ( ١ ) . لان نهاية مطلوبهم منه البذل ورفعته المنزلة  
فبذل لهم كلا الامرين . . .

ثم ينتقل المشهد الي خارج المدينة حيث احتشد الناس ليشهدوا هذا اليوم  
العظيم ، ويدعو موسى الصحرة الي ان يبدوا المبارزة بكل ما معهم ، فقال  
يخاطبهم : - ( القوا ما انتم ملقون ) ( ٢ ) فلقوا ما معهم من حبال وعمي  
شكلوها علي صفات خاصة ، حتي اذا القوا بها اضطربت اضراب الاعمى والحيات  
واطلقوا وراها مشاعر ايمانهم بفرعون ، واستمدادهم القوة من قوته ، وكانهم  
بهذا الشعور لابسحرم سيفلبون .

وقد كان لهذه العمي والحبال وقعها في مشاعر الناس ، وفي موسى نفسه  
كما قال تعالى : -

( فلما القوا سحروا اعين الناس واسترهبوهم وجاوا بسحر  
عظيم ) ( ٢ ) .

---

( ١ ) الاية : ٤٢ سورة الشعراء .

( ٢ ) الاية : ٤٣ سورة الشعراء .

( ٣ ) الاية : ١١٦ سورة الاعراف .

﴿١٣٢﴾

واخبر سبحانه عما وقع في نفس موسى - عليه السلام - من ذلك :

( فاوجرني لعمه خيفة موسى ) ( ١ ) .

وفي لحظة خاطئة يتهدد هذا الصراب بوتخلفي اعجاب الخلال هوذا

موسى قد ملك الموقف ( فالقي عماء فاذا هي تلقف ما يافكسون

فالقي الحرة ساجدين . قالوا امنا بررب العالمين . ربموسى

وهـرون ) ( ٢ ) .

قال الامام الفخر رحمه الله : -

( المراد : خروا سجدا لانهم كانوا في الطبقة المصلية من علم

الصخر فلا جرم انهم كانوا عالمين بمنتهى الصخر فلما

راوا ذلك وشاهدوه خارجا من حد الصخر ظموا انه ليس بصخر

ثم انهم بعد ذلك لم يتمالكوا ان رموا بانفسهم الي الارض كانهم

اخذوا لطرخوا طرحا ) ( ٣ ) .

---

( ١ ) الآية - ٦٧ . سورة طه .

( ٢ ) الآية - ٤٥ ، ٤٦ ، ٤٧ ، ٤٨ . سورة الشعراء .

( ٣ ) تفسير الرازي - ج ٢٢ . ص ١٣٤ ط . الاولى .

فقولهم : ( رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ ) عطف بيمان لرب العالمين ، لأن فرعون كان يدعى الربوبية ، فأرادوا عزله ، فلما رأهم فرعون وقد آمنوا بأجمعهم لم يأمن أن يقول الناس ان هؤلاء السحرة - طى كرتهم وتظاهروا - لم يؤمنوا الا عن معرفة صحيحة بأمر موسى - طيه السلام - فيسلكون طريقهم ، فعند ذلك لبس على القوم ، وبالذم في التنفير عن موسى - طيه السلام بقوله أولا :- ( آمَنْتُمْ بِهِ قَبْلَ

أَنْ آذَنَ لَكُمْ ) (١)

منه

وهذا ايها أن سارعتهم الى الايمان به دالة على أنهم كانوا ماطنين اليه سابقا وذلك بطرق التهمة اليهم أنهم كانوا ماطنين اليه سابقا ، فعملهم قصروا في السحر جهالة .

وثانيا : بقوله : ( إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي طَمَعُ السِّحْرِ ) (٢) . وهذا تصريح

بما رمز اليه سابقا ، وغرضه منه أنهم فعلوا ذلك من مواطاة بينهم وبين موسى طيه السلام ، وقصروا في الصبر ليظهر أمره ، والا ففي قدرة السحرة أن يفعلوا مثل ما فعل موسى ، وهذه شبهة قوية في تنفير من يميل اليهم ويقبل قولهم .

( ١ ) الآيه : ٤٩ سورة الشعراء .

( ٢ ) الآيه : ٤٩ سورة الشعراء .

وثالثا : بقوله :- ( فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ) وهو وعيد شديد ، وتهديد  
 مطلق فصله بقوله : ( لَا تُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافِ ظُهُورِكُمْ  
 لِأَصْلَابِكُمْ أَجْمَعِينَ ) (١) .  
 وليس في الاهلاك أقوى من هذا (٢) .

ولم يذكر في السورة الكريمة ما يدل على أنه فعل ذلك أولم يفعل  
 ولكنهم أجابوه على هذا التهديد بقولهم ( لَا ضَرَرَ ) والضرر  
 والضرر واحد يدل على عدم مهالاتهم ، وعدم اكترائهم بما توعدهم  
 به ، وأضافوا : ( إِنَّا نَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَايَانَا إِنَّ كِتَابَ  
 الْإِيمَانِ ) (٣) وهذه اشارة منهم الى الكفر والسحر وغيرهما .

وبهذا الايمان يقابل السحرة تهديد فرعون لهم ووعدهم  
 باستخفاف ولا مهالة ماداموا قد حصلوا على الايمان ، وأنزل سوره  
 هذا المنزل الحكيم من قلوبهم .

(١) الآية : ٤٩ سورة الشعراء .

(٢) تفسير الرازي ج ٢٣ ص ١٣٥ ط . الاولى - بتصرف .

(٣) الآية : ٥١ سورة الشعراء .

## الماقبة :-

ويضئ السياق في السورة الكريمة بمجل بماقبة التكذيب، ويختصر المسافة الزمنية بين التكذيب والهلاك نظرا لخضوع القصة في السورة الكريمة لقوله تعالى في مقدمتها :- ( فَكَذَّبُوا  
 فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنبَاءٌ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ) (١).

فلم تكن تلك المناظرة المطيبة التي أقامها فرعون بين موسى عليه السلام والسحرة لتحسم الموقف بينه وبين موسى عليه السلام ، فما زاد بعد هذا الا كفرا وتكديبا وكبرا واستملاا في الأرض ، والا ضراوة وبغيا على بني اسرائيل ، وقد سلط الله تعالى بحد ذلك على فرعون وطمسه ألوانا من الهلاك ، وصيب عليهم مرسلات من النقم ، وأخذهم بها حالا بعد حال ، وواحدة بعد أخرى ، فما استكانوا ولا تضرعوا ، ولا لانت منهم القلوب ، ولا استنارت البصائر ، وفي هذا يقول جل شأنه :-

( وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقَّصْنَا مِنَ السَّمَاءِ لِمَلِهِمْ  
 بِذِكْرِهِمْ . فَإِذَا جَاءَتْهُمْ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِنْ تُصِيبِهِمُ سَيِّئَةٌ

(١) الآية : ٦ سورة الشعراء .

يَطْرُقُوا بِمُوسَىٰ وَمَنْ مَعَهُ إِلَّا إِنَّمَا طَافَرْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ  
 أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ، وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِنَتَّحِرْنَا بِهَا  
 فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ فَاَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجُرَادَ وَالْقُمَّلَ  
 وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ (١) .

وكان فرعون كلما نزلت به نازلة طلب الى موسى أن يدعو اليه  
 أن يرفع عنه البلاء ، وفي مقابل هذا سيؤمن له ، ويوسل معه  
 بنى اسرائيل ، وفي هذا يقول جل شأنه :-

( وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا يَا مُوسَىٰ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ  
 عِنْدَكَ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ) (٢) .

ولكن ما أن يرفع البلاء حتى يعود فرعون الى سيرته الأولى ،  
 ويصعب على بنى اسرائيل نقضه ، ويزيد في قهرهم واذلالهم ( فلما  
 كَشَفْنَا عَنْهُمْ الرِّجْزَ إِلَىٰ أَجَلٍ هُمْ بِالْفُؤَادِ هُمْ يَنْكُشُونَ ) (٣) فاستد  
 بهذا البلاء على بنى اسرائيل وتزداد محنتهم .

(١) الآيات : ١٣٠ ، ١٣١ ، ١٣٢ ، ١٣٣ سورة الاعراف .

(٢) الآية : ١٣٤ ، سورة الاعراف .

(٣) الآية : ١٣٥ سورة الاعراف .



وكان فرعون في أثناء هذه البلايا التي صبت عليه بعد المسعدة  
 لضرب بني اسرائيل ضربة أخيرة يستأصلهم بها ، فأرسل رسله في  
 البلاد يفرعون الناس ببني اسرائيل ، ويحذرونهم الشر الذي ينجم  
 عن وجودهم بينهم ، وأن هذه الجماعة وان كانت شرذمة قليلة  
 متفرقة متناثرة الا أنه يجب الحذر منها ، والانتباه الى خطرها .

ونترك الآيات الكريمة تبين لنا نهاية هذا الصراع الطويل المرير

بين فرعون وبني اسرائيل ( فَأَرْسَلُ فِرْعَوْنَ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ . إِنْ  
 هُوَ إِلَّا لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ . وَإِنَّهُمْ لَنَا لِفَائِظُونَ . وَأَنَا لَجَمِيعِ حَذِرُونَ  
 فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ، وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ . كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا  
 بَنِي إِسْرَائِيلَ . فَاتَّبَعُوهُمْ شُرِقِينَ ، فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ  
 أَصْحَابُ مُوسَى ( إِنَّا لَمُدْرِكُونَ ، قَالَ كَلَّا إِنْ مَعِيَ رَبِّي سَبَّحْتُمْ بِسْمِ  
 فَؤُجِنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانفَلِقْ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ  
 كَالطُّوْدِ الْعَظِيمِ . وَأَزَلَفْنَا ثُمَّ الْآخِرِينَ . وَأَنْجَيْنَا مُوسَى وَمَنْ  
 مَعَهُ أَجْمَعِينَ . ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخِرِينَ ) (١) .

( ١ ) الآيات : من ٥٣ الى ٦٦ - سورة الشعراء .

ويسدل الستار على صورة من أعظم صور الصراع بين الحق والباطل  
في تاريخ الانسانية وفي تاريخ الدعوة الى الله تعالى لتبقى تذكرة  
وعبرة لمن جاء بعده الى يوم القيامة كما قال جل شأنه : - ( ان في  
ذلك لآية وما كان اكثرهم مؤمنين . وان ربك لهو العزيز الرحيم ) (١)

---

( ١ ) الآياتان : ٦٧ - ٦٨ سورة الشمراء .



والهياكل وغيرها من الوثنيات .

وفي هذا الموقف نجد ما يأتي :-

أولا : حوار ابراهيم عليه السلام مع قومه في معتقد هم ، واعلانه مخالفته لهم في هذا المعتقد ، وبيجاهرهم - عليه السلام - بالعداوة لكل ما يعبدون دون الله تعالى الذين يدعون له بالمعبادة وحده لا شويكله ، ويمدد - عليه السلام - نعم الله تعالى عليه الظاهرة والباطنة كالخلق والهداية ، والسرزق ، والاحياء ، وغير ذلك من النعم التي توجب افراده عزوجل بالمعبادة ، ثم يذكر قومه باليوم الآخر .

ثانيا : بيان أحوال أهل الايمان والتقوى ، ومصير الشرك وأهله بسوم القيامة . حين يتنكر الكفار لألهتهم ، ويظهرون الندم على الشرك ، وكأنهم فعلا قد صاروا الى ما صاروا اليه ، وهذا موطن العبرة للمشركين من قوم محمد صلى الله عليه وسلم . كل هذا في أسلوب شيق مؤثر يجذب القلوب ، ويدعوها الى التأمل والتدبر .

ويظهر منه للمشركين فساد معتقد هم ، وسفاهة أعلامهم حين

يعبدون أصناما لا تملك ضرا ولا نفعا ، وليس لها حول ولا قسوة ،  
كما يروا فيه الصير الذي ينتظرهم اذا ما هم أقاموا على عبادة الأوثان  
على لسان من سبقهم ، وكانهم هم الذين يخاطبونهم ويسدون اليهم  
النصح بتجنب طريق الشرك الذي أوصلهم الى هذه الحال .

وهذا الموقف في السورة الكريمة يمثل جانبا قليلا من جوانب  
دعوة ابراهيم عليه السلام وهو - مجادلة ابراهيم عليه السلام مع أبيه  
وقومه بالحجة القولية على بطلان عبادة الأصنام ، ان لم يتمسروا  
السياق الى الجوانب الأخرى من دعوتيه - عليه السلام - وقد رأيت  
أن أتطرق الى هذه الجوانب التي لم تذكر في السورة الكريمة رفيسة  
في اظهار منهجه عليه السلام وسلكه القويم في الدعوة الى  
الله تعالى بالحكمة والبصيرة والموعظة والمجادلة التي هي أحسن  
ضمن المنصرين التاليين :-

### الأول :-

المذاهب والمعتقدات السائدة في زمن ابراهيم ( عليه السلام ) .

### الثاني :-

منهجه في ابطال هذه المعتقدات ، والدعوة الى الحنيفية

السماء .

المعتقدات السائدة في عصر ابراهيم عليه السلام :-  
~~~~~

نشأ ابراهيم - عليه السلام - في مدينة (بابل) ضمن أرض
المراق على الصحيح والمشهور عند أهل السير والتاريخ (١) .

ويصف المؤرخ (ياقوت الحموي) أرض بابل فيقول :-

انها بين دجلة والفرات وهي التي يقال لها

(السولد) (٢) .

وروى الحافظ بن صاكر رحمه الله عن طريق هشام بن عمار عن

عمار بن عباس رضي الله عنهما قال :-

ولد (ابراهيم) بخرطبة دمشق في قرية يقال لها (برزة) في

جبل يقال له (قاسيون) .

ثم قال رحمه الله :-

والصحيح أنه ولد ب (بابل) وانما نسب اليه هذا المقام لأنه

صلى فيه ان جاء مدينا للوط عليه السلام (٣) .

(١) البداية والنهاية - الحافظ ابن كثير ج ١ ص ١٤٠ ، دار الفكر

٠ ٢٨٢

(٢) معجم البلدان ياقوت الحموي مادة (بابل) .

(٣) البداية والنهاية الحافظ ابن كثير ج ١ ص ١٤٠ .

وكان يسكن بابل في ذلك الوقت (الكلدانيون) وهم قوم
 ابراهيم (عليه السلام) وهو^١ القوم على مذهب (أصحاب
 الروحانيات من فرق الصابئة) ويعرفون أيضا بـ : (أصحاب
 الهياكل) وهم يقولون :-

(ان للمالم صنما فاطوا حكيما مقدسا عن سمات الحدثان ،
 والواجب علينا معرفة العجز عن الوصول الى جلاله ، وانما يتقرب
 اليه بواسطة المقربين لديه ، وهم الروحانيون المطهرون المقدسون
 جوهرنا وفعلا وحالة)^(١) .

ويعرف هو^١ بـ (أصحاب الهياكل) كما تقدم ، وهم عبدة
 الكواكب .

كما وجد ابراهيم عليه السلام - أقواما يعبدون الأصنام ، وهم
 (أصحاب الأشخاص) - من فرق الصابئة أيضا - كما يسميهم
 الشهرستاني في (الملل والنحل) وهم يتفقون مع أصحاب الهياكل
 في أنه لا بد من متوسط يتوسل به ، ويتقرب اليه ، والروحانيات
 وان كانت هي الأسباب ، ولم يتحقق التقرب اليها الا بالهياكل ، ولكن
 الهياكل قد ترى في وقت ولا ترى في وقت آخر ، لأن لها طلوعا

(١) الملل والنحل للشهرستاني - ج ٢ - ص ٦ - ٧ - ٨٢ - بتصريف

وأفولا ، وظهروا بالليل واختفوا بالنهار - قالوا :-

فمبصفا لنا التقرب بها والتوجه اليها ، فلا بد لنا من
صور وأشخاص موجودة قائمة منصوبة نصب أعيننا ، فعكف عليها ،
ونتوسل بها الى الهياكل ، فنثقب بها الى الروحانيات ، ونتقرب
بالروحانيات الى الله تعالى فنصدهم (١) .

فاتخذوا أصناما أشخاصا على مثال الهياكل السبعة ، على
شخص في مقابلة هيكل وراعوا في ذلك جوهر الهيكل الخاص
به من الحديد ، وغيره ، وصوروه بصورته على الهيئة التي تصدر
بها أفعاله عنه ، وراعوا في ذلك الزمان والوقت والساعة
والدرجة الدقيقة ، وجميع الاضافات النجومية من اتصال محمود
يوثرفي نجاح المطالب التي تستدعي منه ، فيتقربوا اليه في
يومه وساعته ، ويقولون :- انه كان يقضى حوائجهم بمد رطبة
هذه المطالب ، والاضافات محلها .

(١) المرجع السابق ص ٥٠ بتصرف يسير .

فأصحاب الهياكل هم عبدة الكواكب ، ان يقولون بألوهيتها ،
وأصحاب الأشخاص هم عبدة أصنام وأوثان ، ان سموها آلهة فسى
مقابل الآلهة السماوية ، وقالوا : (هَوَلَاءُ شَفَعَاؤُنَا عِنْدَ
اللَّهِ) (١) .

كما عاصر ابراهيم - عليه السلام - طكهايل (نمرود) الذى
خرج عن طة قومه الى ما هو ادهى ، فأراد أن ينازع الرب الكريم
فى ربوبيته وألوهيته للخلق ، فادعى أنه رب الخليفة المتصوف
بها كيف شاء ، وجرت بينه وبين ابراهيم مناظرة فى ادعائه
هذا (فَهَبْتِ الذِّى كَفَرُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) (٢) .

ثم ارتحل (ابراهيم عليه السلام) عن أبيه وقومه قاصدا
بلاد (الكنعانيين) وهى (بلاد بيت المقدس) ، فأقام
ب (حران) وهى أرض (الكشدانيين) فى ذلك الزمان ،
وكذلك أرض الجزيرة والشام ، وكانوا على مذهب (أصحاب
الهياكل) ان كانوا يعبدون الكواكب السبعة ، وهذا الدين
هو السائد فى تلك البلاد .

(١) انظر : الطل والنحل للشهرستاني ج ٢ ص ٥٠ وما بعدها .

(٢) البقرة آية ٢٥٨ .

قال الحافظ ابن كثير - رحمه الله - : - (والذين عمروا مدينة دمشق) كانوا أيضا على هذا الدين يستقلون القطن السنب والشمالى ، ويميدون الكواكب السبعة بأنواع من الفعالي والمقال ولهذا كان على كل باب من أبواب دمشق السبعة القديمة هيكل لكوكب منها ، ويمطون لها أعيادا وقرايين ، وهكذا كان أهل (حران) يميدون الكواكب والأصنام وكل من كان على وجه الأري كانوا كفارا سوى ابراهيم الخليل وامراته ، وابن أخيه (لوط) وكان الخليل عليه السلام هو الذى أزال الله به تلك الشرور ، وأبطل به ذلك الضلال (١) .

هذه لمحة عن المعتقدات التى كانت سائدة عند ظهور الخليل عليه السلام ، قدمت بها لأننا سنشهد معارك فكرية وعظيمة بينه - عليه السلام - وبين أصحاب هذه المعتقدات ، والتى تتجلى فيها السياسة الجدلية المحكمة التى اتبعها - عليه السلام - معهم لضيق وإبطال معتقداتهم ، والتى شهد له القرآن الكريم بها فى قوله تعالى : -

(١) انظر : البداية والنهاية - الحافظ ابن كثير ج ١ ص ١٤٠ .

(وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مِّنْ
نَّشَأُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ) (١) .

وبرأه من الشرك وأهله (مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا
وَلَكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ) (٢) .

(١) الآية : ٨٣ ، سورة الأنعام .

(٢) الآية : ٦٧ آل عمران .

منهجه عليه السلام في دحض هذه المعتقدات والدعوة الى الحنيفية

السمعا :-

~~~~~

اتخذ ابراهيم - عليه السلام - من الجدل الحمر ، والموعظة  
الحسنة ، والتعليم والتوجيه وسيلة ، ومنهجاً في اقناع أمة  
وقومه بفساد اعتقادهم ، وهذا ما اعتنى القرآن الكريم  
بإظهاره في دعوة ابراهيم - عليه السلام - .

وقد بدأ - عليه السلام - بنقض مذهب ( أصحاب الأشخاص )  
الذي كان سائد بين قومه ، وهو دين أئمة أيضا .

ولما كان والده ( آزر ) أعلم القوم بهذا المعتقد ، وبمصطلح  
الأشخاص ، والأصنام ، ان كان هو القائم عليها ، ويقسمون  
بصنمها وببمعها فقد بدأ ابراهيم - عليه السلام - بمناقشته  
في عطفه هذا ، واقامة الحجة عليه ، وضرب عليه السلام في  
هذا مثلاً أعلى لكل مجادل بالحق ، حيث جمع بين  
قوة الحجة وأدب الحديث .

---

وقد حكى سبحانه وتعالى هذه المجادلة في سورة ( مريم )

في قوله جل شأنه :-

( وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِذْ كَانَ صَدِيقًا نَبِيًّا . إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ  
يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا . يَا أَبَتِ  
إِنِّي قَدْ جِئْتُكَ مِنَ الْمَلِيعَاتِ يَا أَبَتِ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا  
سَوِيًّا . يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ  
عَصِيًّا ) ( ١ )

يتجلى في هذه الآيات الكريمة أسلوب النبوة المخلص فسى

التلميح والتوجيه ، يحذر في لسن وينذر في اشفاق ، ويحفظ

للأهوية مكانها وحققها من الأدب والوقار ( ٢ ) .

( ١ ) الآيات : ٤١ - ٤٨ سورة مريم .

( ٢ ) انظر - منا هج الجدل في القرآن - د . زاهر الأشعري

أما الجانب الالزامي في هذه المجادلة فيشتل في قوله  
عليه السلام :-

( يَا أَيُّهَا الْمُتَعَبِدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يَبْصُرُ وَلَا يَفْهَمُ عَنْكَ شَيْئًا ) .

ومراده عليه السلام :-

أن العبادة قربة ووسيلة الى من يملك الضر والنفسح ،  
ويتصف بمقامات الحياة كالسمع والبصر والارادة ، وقد أجهت  
نفسك كل الجهد ، واستمطت كل العلم حتى عطت هذه  
الأصنام ، فما بلغت قوتك العلمية والعظيمة الى أن تحدث فيها  
سما ، أو بصرا ، أو أن تفنى عنك ، أو تضر ، أو تنفع ، بل  
هي لا تملك هذا لنفسها فكيف تطكه لغيرها ؟ وأنت أكمل  
مرتبة وأشرف درجة منها لأنك خلقت سميما بصيرا ، نفاضا  
ضارا ، فكيف يكون الماهد أكمل وأشرف من معبوده ؟ ( ١ ) .

وأضاف :-

( يَا أَيُّهَا أَنِيَّ قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي  
أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا ) .

( ١ ) انظر : الطل والنحل للشهرستاني ج ٢ ص ٥١ وما بعدها .

ومعنى هذا :-

(أنى مؤيد بالوحي من الله تعالى يهدينى ويدلنى السبيل  
الطريق الصحيح والصراط السوى ، وليس عندك شيء من هذا ،  
والذى عنده علم أحق بالاتباع ممن لا علم عنده ولا هداية) (١)

ولقد كانت الاجابة جائزة من معرفة ، اجابته والده اجابته  
جاهل مكابر ، قابل النصيحة بالرجم ، والهداية بالهجر  
فقال :-

(أَرَاغِبُ وَأَرْغَبُ أُنْتِ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنْتَهَ لِأَرْجَمْنَاكَ  
وَأَهْجَرْنَا عَلَيْكَ) (٢)

ويقابله ابراهيم على هذا بالاحسان فيقول :-

(سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا .  
(وَأَعْتَدُ لَكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَى  
أَنْ لَا أَكُونَ بِدَعْوَةِ رَبِّي شَقِيًّا) (٣)

(١) مفاتيح الجدل في القرآن د . زاهر الأحمى ص ١٦٥ .

(٢) الآية : ٤٩ سورة مريم .

(٣) الآيتان : ٥٠ - ٥١ سورة مريم .

فـ فهذا مشهد من جدال ابراهيم عليه السلام مع والده تعثـل  
 فيه الأدب الكريم ، والحجة الواضحة ، فكان الأدب والبرهان  
 يجريان في مجادلة ابراهيم كفرسي رهان ، وهذا المشهد  
 يمثل الحجة القولية والبرهان القاطع على بطلان عبادة  
 الأصنام .

وفي هذه السورة الكريمة مشهد آخر لحواره عليه السلام -  
 مع أبيه وقومه لاقامة الحججة عليهم بالقول ، ولنقض مذهب  
 ( الأشخاص ) السائد بينهم بطريق الجدال الطزم بسدا  
 عليه السلام بسوءالهم سؤال مقهور ( ما تصيدون ؟ ) ( ١ ) وكان  
 عليهم السلام يعلم أنهم عبدة أوثان ، ولكنه سألهم ليرهبهم  
 أن يعبدونه لقمس من استحقاق العبادة في شيء ( ٢ ) . والسؤال  
 منه عليه السلام يتضمن تحقيق أحد أمرين :-

اما اقامة البرهان على كون تلك الالهة صالصة  
 للمباداة .

واما اعترافهم ببطلان الوهيتها وعدم صلاحيتها للمباداة .

( ١ ) الآية : ٧٠ سورة الشعراء .

( ٢ ) تفسير الرازي ج ٢٣ ص ١٤٢ طه الاولى .



فكان جوابهم ( نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَنْظُرُ لَهَا عَافِيَةً ) (١) لأجابه

بما يدل على ما في نفوسهم من الابتهاج ، والارتياح لمبادتها .

فقال - طيه السلام - سائلا ومنها لهم على فساد معتقدهم

( هَلْ يَسْمَعُونَكَ إِذْ تَدْعُونَ ؟ أَوْ يَنْفَعُونَكَ أَوْ يَضُرُّونَ ؟ ) (٢) وهذا

أقل ما يجب أن يكون في اله بعيد ، أن يكون له سمع يسمع به

دعاء عابده ، فيحقق له شيئا مما يطلبه منه من جلب

نفع ، أو دفع ضرر ، فإذا كانت هذه الأصنام حجارة صماء لا تطك

السمع أو البصر ، ولا يتوفر لها شيء من مقومات الحياة ، ولا تطك

الضر والنفع تبعا لهذا فمبادتها والتوجه إليها ، والتقسرب

إليها ، إنما هو ضروب من العبث الذي يدل على فساد

العقل ، وانحطاط التفكير .

وقد أحس القوم بما تضمنه السؤال من توبيخ وتقريص

لا يلكون الحجة التي تدفق عنهم ، فأجابوا طيه بما يدل

على أنهم لم يتدعوا هذه المباداة ، ولم يبتكروها ، وإنما هم

مقدون لما كان يفعله آباؤهم من قبل ، وكانهم بهذا الجواب

يدفعون اللوم عنهم ، ويهربون من الواقع الصريح الذي أوقفهم

( ١ ) الآيه : ٧١ سورة الشمره .

( ٢ ) الآيتان : ٧٢ ، ٧٣ سورة الشمره .

فيه سؤال ابراهيم - عليه السلام - .

( قَالُوا هَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ) ( ١ ) .

فحجتهم - التظلم الأعمى لما كان يفعله الآباء والأجداد من قبل ، ولقد وقف هذا التحجر عقبة في وجه دعوات الإصلاح منذ عهد نوح عليه السلام الى أن تقوم الساعة فلا زالت هذه الاعتيادات قائمة في وجه دعوات الحق (فيوثرها الناس على الحق في فترات التحجر المظى والنفسى، والانحراف التي تصيب الناس فيحتاجون معها الى هزة قوية تودهم الى التحرر والانطلاق والتفكير .

وهكذا لم يجد ابراهيم - عليه السلام - طى حله وأناته الا أن يهزمه بصنف ، ويملن عداوته للأصنام ، وللمقيمة الفاسدة التي تسمح بمهادتها لئلا تلك الاعتيادات ( ٢ ) .

( ١ ) الآية : ٧٤ سورة الشعراء .

( ٢ ) الظلال - سيد قطب - ج ٥ ص ٢٦٠٢ بتصرف يسير .

( قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ . أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ الْأَقْدَامُونَ .

فَأَنْتُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبُّ الْمَالَمِينَ ) ( ١ ) .

( وقد وجه - عليه السلام - عداوته للأصنام دون القوم ، لأنها صارت سببا في انقطاعهم عن السعادة ، وانحرافهم عن عبادة الله تعالى ، لما عبدوها ، وعظموها ورجوها فسي طلب النفع ، ودفع الضر ، فنزلت منزلة الأحياء في اعتقادهم ، فأطلق عليها لفظ المدو ) ( ٢ ) .

( واستثنى إبراهيم ( رب المالمين ) فقد يكون من آباءهم الأقدمين من عبادة الله تعالى قبل أن تفسد عقيدتهم وتتحرف ، أو أن يكونوا قد عبدو الله تعالى وأشركوا معه الأصنام فسي العبادة ، وهنا يظهر احتياط إبراهيم - عليه السلام - فسي القول ، ودقته في التمييز ويضرب في هذا مثلا أعلى للدعاة الى الله تعالى ) ( ٣ ) .

( ١ ) الآيات : ٧٥ ، ٧٦ ، ٧٧ ، سورة الشعراء .

( ٢ ) مفاتيح الغيب - الرازي - ج ٢٣ ص ١٤٣ . الاولى بتصرف .

( ٣ ) الظلال ص ٢٦٠٣ بتصرف .

ثم شرع - عليه السلام - يصف الله تعالى بما يستحق من صفات الجلال والكمال وجميع نعم الله تعالى عليه من أول الخلق الى نهايته ، ثم السمت والحساب يوم القيامة .  
وأدل هذه النعم قوله :-

( الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ) ( ١ ) .

( والخلق والهداية بهما تحصل جميع المنافع ، وقد أثنى سبحانه وتعالى على نفسه بهذين الأمرين فقال :-  
( سُبْحَانَ اسْمِكَ الْاَظْمَى . الَّذِي خَلَقَ فُسْوَى . وَالَّذِي قَدَّرَ  
فَهْدَى ) ( ٢ ) .

وثانيتها :-

قوله : ( وَالَّذِي هُوَ يَطْعَمُنِي وَيَسْقِينِي ) ( ٣ ) .  
ويدخل في هذا كل ما يتصل بمنافع الموزق .

---

( ١ ) الآية : ٧٨ سورة الشعراء .

( ٢ ) الآيات ٣ ، ٢ ، ١ سورة الأظمى .

( ٣ ) الآية : ٧٩ سورة الشعراء .

وثالثها :-

قوله ( وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ) (١) . نسب المرض السي

نفسه تأديها مع الله تعالى ، وهو يعلم أنه يمرض بحشيته ، كما أنه

في سياق تعداد النعم ولما لم يكن المرض نعمة لم يصفه اليه

سبحانه .

ورابعها :-

قوله : ( وَالَّذِي بَعَثَنِي مِنْ بَحْرَيْنِ ) (٢)

والمراد الامامة في الدنيا ، والتخلص من آفاتها ، والايمان

بالبعث والنشور بعد ذلك (٣)

وهكذا جمع ابراهيم ( عليه السلام ) عناصر العقيدة الصحيحة

في صفات ربه عز وجل :-

توحيد الله رب العالمين ، والاقوار بتصرفه للبشر في

أدق شؤون الحياة والايمان بالبعث والحساب بعد الموت ، وفضل

الله تعالى ، وتقدير العبد ، وهي العناصر التي ينكرها قومه

وينكرها قومه وينكرها المشركون .

( ١ ) الآية : ٨٠ سورة الشعراء .

( ٢ ) الآية : ٨١ سورة الشعراء .

( ٣ ) مفاتيح الغيب - الرازي ج ٢٣ ص ١٤٣ وما بعدها - بتصرف

ويختتم عليه السلام محاورته معهم بمشهد من مشاهد القيامة ،  
 يصوره لهم وكأنه حاضر ينظر اليه ويواه ، ويشمل هذا المشهد  
 نهاية قومه ، ونهاية الشرك كافة ، وهذا موضع العبارة فسي  
 قصص السورة جميعا ، وهو عوض عن مصارع المكذبين في الدنيا  
 التي ختمت بها باقى قصص الأنبياء (١) .

( وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ . وَبُرِزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ .  
 وَقِيلَ لَهُمْ آيِنَ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ هَلْ يَنْصُرُونَكُمْ أَوْ  
 يَنْتَصِرُونَ . فَكَبَّيَّرُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ . وَجُنُودَ ابْلِيسَ  
 أَجْمَعُونَ . قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ . تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي  
 ضَلَالٍ مُّبِينٍ . إِنْ نُسْأَلُكُمْ رَبِّ الْمَالِمِينَ . وَمَا أَضَلْنَا إِلَّا  
 الْمُجْرِمِينَ . فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ ، وَلَا صِدِيقٍ حَمِيمٍ . فَلَوْ أَنَّ  
 لَنَا كُوَّةً فَنُكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ) (٢) .

(١) الضلال - سيد قطب - ص ٢٦٠٣ وما بعدها . بتصريف

يسير .

(٢) الآيات : ٩٠ - ١٠٢ سورة الشعراء .

ثم يأتي التعقيب الممهور في السورة الكريمة بعد عرض

مصارع المكذبين :-

( ان في ذلك لآية وما كان اكثرهم مؤمنين . وان ربك  
لهو العزيز الرحيم ) ( ٢ )

( وشاهد القيامة في القرآن الكريم تمرغ وكأنها واقعة ،  
وكأنما تشهدها الأبصار حين تنسى ، وتهتز بها الشاعر ،  
كالمصارع التي تمت على أعين الناس وهم يشهدون ) ( ٢ )

وهذا الموقف في دعوة ابراهيم - عليه السلام - يمثل الحجة  
القولية على بطلان عبادة الأصنام ، فلما لم تجد هذه  
الحجة في أقناع قومه لجأ عليه السلام الى الحجة مقرونة  
بالحجة القولية ، وقد سلك - عليه السلام - في هذا  
ملكا عجيبا ، حين أراد أن يبرهن برهانا عظيما على بطلان  
عبادة الأصنام ، ولكنه لم يجد اليها طريقا ليخلو بها وينفذ  
خطته لما كان القوم يحوطونها به من رعاية وعناية .

( ١ ) الآيتان ١٠٢ - ١٠٣ سورة الشمراء .

( ٢ ) الظلال - سيد قطب ج ٥ ص ٢٦٠٥ .

( ولما كان القوم يعتقدون بأن للأفلاك والكواكب تأثيراً في  
الصحة والمرض فقد لجأ عليه السلام الى مجاراتهم ظاهرها  
فيما يعتقدون ( فَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ . فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ ،  
فَتَلَّوْا عَنْهُ مَدِينًا . فَوَاحٍ إِلَى آلِهِتِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ؟  
مَالَكُمْ لَا تَنْطِقُونَ ؟ فَوَاحٍ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ ) ( ١ )

هياً - عليه السلام - الحجر ليخلوا بهذه الأصنام ، ويسألها  
سؤال تهكم واحتقار ( لماذا لا تأكل ما لدنيا من القرايين ؟  
ولماذا لا تنطق فتبدي شيئاً مما له أدنى مرتبة من مراتب  
الضر أو النفع ، أو حتى أدنى مرتبة من مراتب الحيوانية ؟  
فانابها جماد لا يعقل ، وحجارة لا تنطق ) ( ٢ )

وقد حكى سبحانه هذا الصراع الفكري والمطى بصورة  
أشمل في سورة الأنبياء في قوله تعالى :-

( وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلِ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ . وَإِذْ قَالَ  
لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاهِيكُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا كَاِفُونَ ؟ ) الآيات

( ١ ) الآيات : ٨٨ ، ٩٣ سورة الصافات .

( ٢ ) مناهج الجدل في القرآن د . الاطى ص ١٦٦ يتصرف يسير .



الى قوله تعالى : ( قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ ) قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ (١) .

نقد ابراهيم عليه هذا ، ثم جاء أبوه وقومه يهرعون الى آلهتهم فوجدوها على تلك الحال المخزية ، فدار بينهم هذا النقاش والحوار حول الحادث : - ( قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِالْهَيْتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ ) قَالُوا سَمِعْنَا فَتَى يَذُكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ . قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ (٢) .

فلما أتى بابراهيم ، واجتمعوا حوله ، وظنوا أنهم تكلموا بتميز من الغيظ ، بدأوا بتوجيه السؤال اليه : -

( أَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِالْهَيْتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ ؟ ) (٣) .

وذكر بعض المفسرين أنه - عليه السلام - بعد أن نفى عظمته وضع الفأس في عنق الصنم الكبير الذي أبقى عليه زيادة نص التنكيل والتسفيه لتلك الآلهة ، ولهذا قال في جوابه لقومه : ( بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ ) (٤) .

- 
- ( ١ ) الآيات : ٦٩-٥١ سورة الانبياء .  
 ( ٢ ) الآيات : ٦١-٥٨ سورة الانبياء .  
 ( ٣ ) الآية : ٦٢ سورة الانبياء .  
 ( ٤ ) الآية : ٦٣ سورة الانبياء .

( وهذا المنهج الذى سلكه ابراهيم - عليه السلام -  
 فى عظه هنا هو منهج الجدل الحى المتفاضل مع كواامن  
 الضمير وطوايا النفس ، حيث ساق جوابه لا يهيه وقومه طمسى  
 طريق الالتزام والافحام ، ولم يكن كاذبا فى قوله كما زعم  
 بمعنى من لا علم له بمصمة الانبياء ، فان ابراهيم - عليه السلام -  
 ساق جوابه من واقع معتقداتهم ليبرهن لهم على أن تسلك  
 المعبودات لاتصلح للعبادة ، والاتيان بالدليل من واقع  
 ما يعتقد ، الخصم أبلغ فى الالتزام والافحام ، وفوق بين سوق  
 الدليل لمن يطلب الرشيد ويبحث عن الحقيقة ويسوق  
 سوقه للمعارض المماند المصروض عن الحق ، فساق لقطع لجاجته  
 وابطال شبهاته .

فكان سلك ابراهيم فى جوابه المتقدم من هذا القبيل ،  
 لكن يلزمهم الزماما عطيا .

وهذا أسلوب من الأساليب الجدلية ، ووسيلة من وسائل  
 قمع الباطل وازهاقه فكيف يظن بأهى الانبياء - عليهم  
 السلام - غير هذا ؟ .

أما الطريق الالزامى الذى يتضمنه جواب ابراهيم - طيه

السلام - فهو ما يلى :-

١ - نسبة العقل الى كبير الأصنام فى قول ابراهيم ( بَلْ فَعَلَهُ  
كَبِيرُهُمْ هَذَا ) ومن المعلوم لديهم أنه جاد لا يتحرك  
ولا يفعل شيئا من العدوان ، فاللزام أنه مادام لا يملك  
الحركة ، ولا الارادة ، ولا يقدر على الفعل بنفسه ، ولا يدفع  
عنه الفعل من غيره فأى مظهر من مظاهر الألوهية  
فى هذا الصنم ؟ .

٢ - أمرهم بتوجيه القهوال إلى الأصنام المكسرة من فعمل  
بها هذا العمل ؟ أكان ابراهيم ؟ أم هو كبير الأظنام ؟  
ومن المعلوم أيضا أنها لاتنطق فبى عاجزة عن الدفاع  
عن نفسها وبالتالي لاتملك الافصاح حتى عن الشخص  
الذى حطمها .

فهل لقي لها ميزة من ميزات الألوهية تستحق

بها العبادة ؟ وهذا ما عناه ابراهيم - طيه السلام -

بقوله :- ( فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ ) .

---

وكان قول ابراهيم هذا بمنزلة صيحة طيبهم بددت أفكارهم

فبقى الحوار دائرا في قرارات أنفسهم فقالوا : - ( إِنَّكُمْ

أَنْتُمْ الظَّالِمُونَ . ثُمَّ نَكِسُوا عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتُمَا هَٰؤُلَاءِ

يَنْطِقُونَ ) ( ١ ) .

فألزمهم - عليه السلام - بالحجة والبرهان ، ووبخهم على

سفاهة أحلامهم ، وتفاهية معبوداتهم قائلا :-

( أَفَ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ) ( ٢ ) .

وأمام هذا التحدي لمعبوداتهم ، وقطع الأمل فسى أن

يكون - عليه السلام - تبعا لهم في اعتقادهم ما كان منهم الا أن

جمعوا له أكوام الحطب ليعرقوه نصرة لآلهتهم ، وانتقاما

لمعبوداتهم ، وقد فعلوا ما في استطاعتهم أن يفعلوه من جمع

الحطب ، وإيقاد النار والقائه ( ابراهيم ) في تلك النار المتأججة

ولكنهم لم يقدروا على محو دعوته الحق بقيقة أو ازهاق نفسه

الكريمة الطاهرة لأن الله تعالى كان معه فقال لتلك النار : -

( كُونِي بَرًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ) ( ٣ ) فكانت كذلك إذ

وجدوه بعد أيام من القائه قائما بصلى في تلك النار

( ١ ) الأنبياء : ٦٤ ، ٦٥ و

( ٢ ) الأنبياء : ٦٨ .

( ٣ ) الأنبياء : ٦٩ .

كما ورد في بعض الآثار (١) .

وهكذا يكون التصميم في الدعوة ، وصدق التوجه إلى

الله تعالى .

( وكما أراه الله تعالى الحجة على قومه في عبادة الأصنام

أراه تعالى الحجة عليهم في عبادة الكواكب ، قال تعالى :

( وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ

الْمُوقِنِينَ ) (٢) . أراه تعالى مَكُوتَ الكونين تشريفاً له على

الروحانيات وهيكلها ، وترجيحاً لمذهب الحنفاء على مذهب

الصائبة (٣) .

وقد رأينا في مناظرته - عليه السلام - السابقة مع قومه

الغلاة التي رسمها حتى توصل إلى الأصنام فحطمها ، وفي

مناظرته لابطل مذهب ( أصعاب الهياكل ) يسلك - عليه

السلام - معهم مسلك المجارى الموافق لهم في النقطة ، لكسي

تلمون عريكتهم ، وتتفتح صدورهم وقلوبهم لسماح ما يدلى به من

برهان قاطع ضمن سياسة جدلية محكمة .

(١) مناهج الجدل في القرآن الكريم ، د. زاهر الأحمى ص ١٦٢ .

وطاعدها . يتصرف يسير .

(٢) الأنعام : ٧٥ .

(٣) الطل والنحل - الشهرستاني ج ٢ ص ٥٢ .

وقد حكى سبحانه وشمالي هذه المناظرة في قوله :-

( فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّيَ فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآظِلِينَ . فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِعًا قَسَّ قَالَ هَذَا رَبِّيَ فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَيْسَ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ . فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِعَةً قَالَ هَذَا رَبِّيَ هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ إِنِّي وَجْهَتُ وَجْهِي لِلذِّى فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ( ١ ) .

أدرك - عليه السلام - نفس الكوكب وعيه ، لأن الأقوال تغير

والتفسير حدوث ، والكامل لا يجوز عليه الحدوث ، لأنه صانع

الحدوث ، وطرد القياس في الاثبات والنفي استدلالاً على

بقية الكواكب .

قال الشهرستاني في توضيح استدلال ابراهيم - عليه السلام -

( ثم استدلال بالأقول الزوال والتغير والانتقال - على أنه

لا يصلح أن يكون ربا الهيا ، فان الاله القديم لم يتغير ، واذا

تغير احتاج الى تغير ، هذا لو اعتقدتموه ربا قديما ، والهيا

أزليها ولو اعتقدتموه واسطة وقبلة ، وشفيما ووسيلة ، فكان

الأقوال ( الزوال ) يخرجها أيضا عن حد الكمال ، ومن هذا ما استدل عليهم بالطلوع ، وان كان الطلوع أقرب السى الحدوث عن الأقوال ، فانهم انما اقتلوا الى عمل الأشخاص لما عراهم من التحير بالأقوال ، فأتاهم الخليل - عليه السلام - من حيث تحيرهم ، فاستدل عليهم بما اعترفوا بصحته ، وذلك أبلغ في الاحتجاج .

ثم لما ( رأى القمر بازفاً قال هذا ربي ، فلما أفل قال لئن لم يهدني ربي لا كونس من القوم الضالين ) (١) روية الهداية من الرب تعالى غاية التوحيد ، ونهاية المعرفة والواصل الى الغاية والنهاية كيف يكون في مدارج البداية ؟ .

دع هذا كله خلف ( فان ) وارجع بنا الى ما هسو شاف كاف ، فان الموافقة في العبارة على طريق الالتزام على الخصم من أبلغ الججج وأوضح المناهج وعن هذا قال : ( فلما رأى الشمس بازفة قال هذا ربي هذا أكبر ) لاعتقاد القوم أن الشمس تلك الظك ، وهو رب الأرباب الذي يقتبسون منه الأنوار ، ويقبلون منه الآثار ( فلما أظت قال يا قوم اني برى )

مِمَّا تَشْرِكُونَ ) . إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ  
حَنِيفًا وَمَا كُنَّا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ( ١ ) .

وقد استدل - عليه السلام - بالأفول دون الطلوع مع أنها  
بشتركان في الدلالة على الحدوث لأن الدليل الذي يحتج به  
الأنبياء في معرض دعوة الخلق كلهم الى الله تعالى لا بد أن  
يكون ظاهرا جليا بحيث يشترك في فهمه الذكي والفهي ،  
ودلالة الحركة على الحدوث ( في الطلوع ) وان كانت يقينية  
الا أنها ذقيقة لا يلاحظها الا صاحب فطنة وبصيرة .

أما دلالة الأفول فانها ظاهرة يعرفها كل أحد ، فان  
الكوكب يزول سلطانه وقت الأفول فكانت دلالة الأفول على  
هذا المقصود أتم ( ٢ ) .

أما وجه الاستدلال بهذا على بطلان الوهية الكوكب ،  
فهو كونها محدثة بدليل الأفول ، والمحدث يقتضئ أن يكون  
ربا والها ، وهذا ما أراد - عليه السلام - بقوله : ( لا أُحِبُّ  
الآتِلِينَ ) ( ٣ ) .

( ١ ) الطل والنحل الشهرستاني ج ٢ ص ٥٢ ٥٣٤ .

( ٢ ) مفاتيح الغيب الرازي ج ١٣ ص ٥٢ الاولى بتصرف يسير .

( ٣ ) المرجع السابق .



فقصر عليه السلام ( مذهب الحنفا ) ، وأهطل مذهب  
 أصحاب الهياكل ، وسين أن الفطرة هي ( الحنيفية ) وأن  
 الشهادة بالتوحيد مقصورة عليها ، وأن النجاة والغلاص  
 متملق بها وأن الأنبياء والرسل مبعوثون لتقريبها وتقديرها  
 ( ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ) (١) .

وننتقل الى مناظرته - طبه السلام - مع ( النمرود )  
 ملك بابل ، وقد ذكر بعض العلماء - رحمهم الله تعالى - أنه  
 لم يكن منكرا لوجود الله تعالى ، وإنما كان منكرا لوحدانيته  
 في الألوهية والربوبية ، وتصريف الكون ، وتدبير ما يجري فيه  
 - كما كان بعض الضحرفيين في الجاهلية يمتزفون بوجود الله  
 تعالى ، ولكنهم يجعلون له أندادا ينسبون اليهم قاطبة  
 وعلا في حياتهم ، وكذلك كان ينكر حاكمية الله تعالى وحده ،  
 فلا حكم الا حكمه - كما يدعى - على الأرض .

وزهب الحافظ بن كثير - رحمه الله - الى أنه كان  
 جاسرا لربوبية الله تعالى ، وأنه طلب من ابراهيم دليلا

---

(١) الروم : ٣٠ .

على وجود الله تعالى ، حيث كان ينكسر أن يكون هناك اله  
غيره كما قال فرعون لطلبه ( مَا عَظَمْتُ لَكُمْ مِنَ آلِهَةٍ غَيْرِي ) ( ١ ) .

وكان الحامل له على هذا التجبر والطفهان وطول العدة  
حيث يقال انه مكث أربعمائة سنة في ملكه ( ١ ) .

( وعلى هذا القول يكون موضوع المناظرة ( دعوى  
ابراهيم أن الله تعالى هو الرب ) .

وقد استدل - عليه السلام - بأن الله تعالى هو الذى  
يحيى ويميت فقال :

( رَبِّ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ ) أى انما الدليل على وجوده  
حدوث هذه الأشياء المشاهدة بعد عدمها ، وعدمها بعد  
وجودها ، وهذا دليل على وجود الفاعل المختار ضرورة  
لأنها لم تحدث بنفسها ، فلا بد لها من موجد أوجدتها  
وهو الرب الذى أدعو الى عبادته وحده لا شريك له . ( ٣ )

( ١ ) القصص : ١ - ٣٨ .

( ٢ ) تفسير ابن كثير ج ١ ص ٣١٣ .

( ٣ ) انظر مناهج الجدل فى القرآن د . اللمى ص ١٤٥ .

وقد عارضه ( نصرود ) بدليل مماثل لما على زعمه -  
فقال : ( اَنَا أَحْيِي وَأُمِيتُ ) لأنى أعفو عن استحقاق  
القتل فأكون قد أحييته ( أى وهبته الحياة ) .

وأعدم من أشياء من الناس فأكون قد أمتته ( أى سلبت  
منه الحياة ) .

ولم يشأ - عليه السلام - أن يدخل فى ابطال دليل خصمه ،  
لأنه يعرف أن هذه المعارضة فاسدة ، لأن حقيقة الأحياء  
والامانة التى فسرها ( نصرود ) غير تلك التى يقصدها  
- عليه السلام - ، فانتقل للزامه وافحامه ، وقطع لجاجته  
الى مقام آخر ، ان حال النصرود لا يخلو اما أن يكون لم  
يفهم حقيقة الأحياء والامانة ، أو أنه فهم ذلك ، ولكنسه  
قصد المصادمة والمباهنة وكلاهما يوجب العدول الى دليل  
آخر أقرب الى الفهم وأظن للسجدة ( ١ ) .

---

( ١ ) انظر : منهاج الجسد فى القرآن د . اللمعى ص ١٤٦ .

وذكر الحافظ - ابن كثير رحمه الله - أن ( النمرود ) أراد  
 أن يدعى لنفسه مقام الأحياء والأمانة عنادا ومكابرة ،  
 ويوهم أنه الفاعل لذلك ، وأنه هو الذي يحيى ويميت  
 كما افترى بذلك ( فرعون ) من بعده بقوله : ( مَا طَمَّتْ لَكُمْ  
 مِنَ الْغَيْرِ ) ( ١ ) .

ولهذا قال إبراهيم لما ادعى هذه المكابرة ( فَإِنَّ اللَّهَ  
 يَأْتِ بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ ) ( ٢ ) أى اذا كنت  
 كما تدعى من أنك تحيي وتميت ، فالذى يحيى ويميت  
 هو الذى يتصرف فى الوجود ، وفوق خلق ذراته ، وتسخير  
 كواكبه وحركاته ، فهذه الشمس تبدو كل يوم من الشرق ،  
 فان كنت الها كما ادعيت تحيي وتميت فأنت بها من المغرب  
 فلما علم عجزه وانقطاعه وأنه لا يقدر على المكابرة فى هذا  
 المقام ( بُهِتَ ) أى : أخوس فلم يتكلم وقامت عليه الحجة .

وأضاف رحمه الله : ( وهذا التخزيب على هذا المصنف  
 أحسن مما ذكر كثير من المنطقيين ، أن عدول إبراهيم عن المقام  
 الأول الى المقام الثانى انتقال من دليل الى أوضع منه ، ومنهم من

( ١ ) القصص : ٣٨ .

( ٢ ) البقرة : ٢٥٨ .

قد يطلق عبارة ترد به ، وليس كما قالوه ، بل المقام الأول يكون  
كالمقدمة للثاني ، ويسمى بطلان ما ادعاه نعروود في الأول والثاني  
ولله الحمد والمنه .

وقد ذكر السدي أن هذه المناظرة كانت بين ابراهيم والنعروود  
بعد خروج ابراهيم من النار ، ولم يكن قد اجتمع بالطك في ذلك  
اليوم فجرت بينهما هذه المناظرة (١) .

ونأتى بهذه المناظرة على ختام الصراع الفكري والمطى الذي  
خاضه ابراهيم - عليه السلام - في سبيل دعوة التوحيد ، وتجريد  
الألوهية لله وحده ، وابطال المعتقدات الوثنية ، وصلاة  
الكواكب والهيكل ، واثبات الحاكمية لله وحده لا شريك له .

---

(١) تفسير ابن كثير ج ١ ص ٣١٣ .

٣ - ( دعوة نوح - عليه السلام - في السورة الكريمة )

~~~~~

ثم ينتقل السياق في السورة الكريمة من قصة ابراهيم مع أبيه وقومه ، الى قصة نوح وما كان بينه وبين قومه من جدل حول عقيدة التوحيد .

والسياق في السورة الكريمة لا يلتزم الحظ التاريخي لقصص

الأنبياء - عليهم السلام - لأن المراد من ذكرها - كما تفهم -

العبارة من نهاية الشرك وأهله المكذبين بالرسالات ، وتسليمه

النبي صلى الله عليه وسلم عندما يلقاه من أذى الشركيين

واعراضهم .

(و نوح - عليه السلام -) هو أول رسول بعثه الله

تمالى الى أهل الأرض ليهدمهم الى عقيدة التوحيد بمسند

أن انعرفت دياتهم عن الفطرة السليمة التي فطر الله

الخلق عليها الى عبادة الأصنام .

كما أنه - رابع الأنبياء - بعد آدم وشيث ، وادريس

عليهم السلام - وهذا على القول بأن التحي من أوحى الله

تمالى اليه وحيا ولم يأمره بتبليغه ، والرسول من أمر بالتبليغ .

وكما ثبت في الصحيحين من حديث أبي حيان عن أبي زرعة
عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم في حديث
الشفاعة : (.....) قال : فيأتسون آدم فيقولون : يا آدم
أنت أبو البشر ، خلقتك الله بيده ، ونفخ فيك من روحه وأمر
الملائكة فسجدوا لك ، وأسكنك الجنة ألا تشفع لنا إلى ربك ؟
ألا ترى مانعاً فيه وما بلخنا ؟ فيقول :-

ربي قد غضب غضباً شديداً لم يغضب قلبه مثله ،
ولا يغضب بعده مثله ، ونهاني عن الشجرة فصويت ، ونفسي
انتهت إلى غيري انتهت إلى نوح ، فيأتون نوحاً
فيقولون :-

يا نوح أنت أول الرسل إلى أهل الأرض ، وسماك الله عبداً شكراً
ألا ترى إلى مانعاً فيه ألا ترى إلى مانعاً لنا ؟ ألا تشفع لنا
إلى ربك عز وجل ؟ فيقول :-

ربي قد غضب اليوم غضباً شديداً لم يغضب قلبه مثله ، ولا يغضب
بعده مثله نفسي نفسي الحديث (١) .

(١) صحيح البخاري ج ٦ - كتاب التفسير ص ١٠٥ ن . احياء التراث .

ويقال لقومه (بنو راسب)^(١) وهم أول من عبد الأصنام
على ظهر الأرنج ، ورد في سبب ذلك ما رواه البخاري رحمه الله من
حد يث ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس -رضي الله تعالى عنهم -
عند تفسير قوله تعالى : (وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًا
وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا)^(٢) .

قال : هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح ، فلما هلكوا
أوحى الشيطان الى قومهم أن انصبوا الي مجالسهم التي كانوا
يجلسون فيها أنصابا، وسموها بأسمائهم ففعلوا ، فلم تعبد حتى
إذا هلك أولئك وتنسخ العلم عدت)^(٢) .

(١) البداية والنهاية ج ١ ص ١٠١ دار الفكر ١٩٨٢ م .

(٢) الآية : ٢٣ سورة نوح .

(٣) صحيح البخاري ج ٦ ص ١٩٩ ن . دار احياء التراث .

وقال ابن جرير الطبري - رحمه الله - في تفسيره :-

(حدثنا ابن حميد حدثنا مهران بن سفيان عن موسى بن محمد

ابن قياس قال :-

كانوا قوما صالحين بين آدم ونوح ، وكان لهم أتباع يقتدون

بهم ، فلما ماتوا قال أصحابهم الذين كانوا يقتدون بهم :

لو صورناهم كان أشوق لنا الى العبادة اذا ذكرناهم ،

فصوروهم فلما ماتوا وجاء آخرون دب اليهم ابلهين فقال :

انما كانوا يعبدونهم وبهم يستون المطر فميد وهم (١) .

فبعث الله تعالى اليهم عبده ورسوله نوحا - عليه السلام -

يدعوهم الى اخلاص العبادة لله وحده ، وجرت له - عليه

السلام - معهم مناظرات ، وحوار في مواقف كثيرة ذكرت في

مواضع متعددة من القرآن الكريم منها هذا الموضع في هذه

السورة الكريمة (وأظهر ما فيه : دعوته - عليه السلام -

لقومه الى تقوى الله عز وجل - وطاعته وأتباعه فيما جاء به

من عند الله تعالى ، واطلانه أنه لا يطلب منهم أجرا على

(١) تفسير الطبري ج ٢٩ ص ٩٩ ط . الثالثة ١٦٨ م .

الهدى ، وامتناعه عن أن يطرد فقراء المؤمنين الذين يستنكف منهم كبراء قومه وهذا ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يواجهه في مكة . ثم دعاؤه لربه عز وجل أن يفتح بينه وبين قومه ، واستجابته له باغواق المكذابين ، وهذا هو موطن المبرة للمشركين من قوم محمد صلى الله عليه وسلم (١) .

وتختلف بداية القصة عن سابقها ، حيث بدأت بنهايتها (كذبت قوم نوح المرسلين) (٢) وهذا ابراز للقصة ، وفيه لفت للانتظار الى أهميتها ، فقد كان نبؤه - عليه السلام - مع قومه أعظم من غيره ، إذ لبث يدعو قومه الى التوحيد زمنا طويلا ومع ذلك كذب قومه وما آمن معه الا القليل كما أخبر بذلك سبحانه في قوله (ولقد أرسلنا نوحا الى قومه فلبث فيهم مائة الف سنة الا خمسين عاما فاخذهم الطوفان وهم ظالمون) (٣) .

(١) الظلال - سيد قطب ج ٥ ص ٦-٢٦ ط. الخامسة .

(٢) الآية : ١٠٥ سورة الشعراء .

(٣) الآية : ١٤ سورة المنكوت .

وحكى سبحانه وتعالى عن قوم نوح أنهم كذبوا المرسلين
مع أنهم لم يكذبوا إلا نوحا وحده ، ولكن رسالة الأنبياء فسى
أصلها واحدة هي :-

الدعوة الى توحيد الله تعالى واخلاص العبودية والألوهية
له وحده سبحانه ، فمن كذب بها فقد كذب جميع المرسلين
وهذا أحسن الوجوه التي ذكرها الملطاء فى هذا المعنى .

ثم يأتي ذكر المطالب التي توجه بها - عليه السلام -

الى قومه وهي :-

تقوى الله عزوجل ، وطاعته واتباعه فيما جاء به من عند الله
سبحانه وتعالى وبطمئنتهم - عليه السلام - من ناحية الدنيا
وأطأها ، وبين لهم أنه لا يطلب أجرا على الهدى ، وانما
أجره على رب العالمين الذى يمتهه وكلفه تبليغ الأمانة اليهم .

(وهذا التنبيه على عدم طلب الأجر أمر ضرورى للدعوة
الصحيحة ، وربما وقف عدم التنبيه على هذا الأمر حائلا دون
قبول الدعوة الصادقة ، وذلك بسبب ما عهدته الناس من الكهان
وسدنة الأصنام من ابتزاز أموال الناس بهشتى الأالسب فربما

ظنوا أنه واحد منهم اتخذ دعوته سبيلا لجمع المال وخلافه
من أعراف الدنيا كما فعل كفار قريش مع النبي صلى الله عليه
وسلم (١) .

ومقصوده - عليه السلام - هدايتهم الى طريق الحق ،
وارشادهم الى الطريق الذي يقودهم الى السعادة ، ومع
هذا فقد عارضه قومه في دعوته ، وذكروا أمورا اعتبروها مانعة
لقبولهم ، منها أمر واحد ذكر في السورة الكريمة في قوله تعالى
حكاية عنهم (قَالُوا أَنْتُمْ مِّنْ لَّكَ وَاتَّبِعْكَ إِلَّا تُزَلُّونَ) (٢) .

وورد ذكرها بالتفصيل في موضع آخر في سورة هود في قوله

تعالى حكاية عنهم :-

(مَا نُرَاكَ إِلَّا بَشْرًا مِّثْلَنَا وَمَا نُرَاكَ أَتَّبِعُكَ
إِلَّا الْمُنَافِقِينَ هُمْ أَرَادْنَا بِأَدْيِ الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ
عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ) (٣) .

(١) انظر : الظلال جه ص ٢٦٠٧ بتصريف .

(٢) سورة الشعراء الآية : ١١١ .

(٣) سورة هود : الآية ٢٧ .

فذكروا ثلاثة أمور اعتبروها موجبة للاعراض والتكذيب ،

وما نفعه عن القبول :-

أولها : قولهم (وَمَا نُرَاكُ إِلَّا بَشْرًا مِثْلَنَا) .

ومعنى هذا : أنه من البشر ، ولو أنه رسول الله كان

كذلك ، ولكنه بشر ظهين برسول .

وثانيها : قولهم : (وَمَا نُرَاكَ إِلَّا أَتْبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا لِنَسَا

بَادِي الرَّأْيِ) . وفي السورة الكريمة : (قَالُوا

أَنُؤْمِنُ بِكَ وَأَتَّبِعَكَ الْأَرْدَلُونَ) .

ومعنى هذا :-

أنه لو كان رسولا لاتبه القادة ووجهاء القوم ، وفي اتباع

ضعفاء الناس الذين يستجيبون للأمر بلا روية ولا تفكير لنسوح

- عليه السلام - مدعاة الى تكذيبه واطلاق دعواه ، وقد ناقشهم

- عليه السلام - في معارضتهم هذه ، وفند شبهاتهم ، وسلك

- عليه السلام - في هذا أفضل الطرق وأوضح السبل ، وتضمن

الرد الكريم ما يلي :-

ثانيا :-
ممنمممم

كانتشبهتهم أن أتباع نوع هم ضعفاً الناس ، الذين هم
العامة والفقراء الذين لا يشبتون في الأمور ، بل يستعملون فيها
دون تفكير ولا روية ، فرد عليه السلام بقوله :-

(وَمَا عَمِنِي بِمَا كَانُوا يَمْطُونُ . إِنَّ حَسَابَهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّي
لَوْ تَشْعُرُونَ) (١) .

وبقوله : (وَيَأْقُومُ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا إِنْ أَجْرِي إِلَّا عَلَىٰ
اللَّهِ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّهُمْ لُلِقَاؤِ رَبِّهِمْ وَلَكِنِّي
أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ، وَيَأْقُومُ مَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ طَرَدْتَهُمْ
أَفَلَا تَذَكَّرُونَ) (٢) . بين لهم - عليه السلام - في رده هذا
أمرين :-

أولهما :-

أنه ليس بطالسب مال حتى يقرب الأغنياء ، ويطرد الفقراء
الذين يسمونهم (أراندل) لضعفهم وفقوهم ، وإنما هو مبلغ رسالة

(١) الآيتان : ١١٢ - ١١٣ سورة الشعراء .

(٢) الآيتان : ٢٩ - ٣٠ سورة هود .

ربه للناس جميعا أغنياهم وفقرائهم وسوءوليمة الفقراء نحو
الايان والالتزام بشرائع الله تعالى كصوءولية الأغنيا سوا
سوا ، فهم أيضا ملاقوا ربههم فساظهم ومحاسبهم على
أعمالهم .

ويختتم حجة هذه بكشف جهلهم بمناصر التكليف الرباني
للناس ، ويشعرهم بأن فروق الفنى والشرف ، والفقو والضمف
لا تدخل فى عناصر التكليف بالايان والالتزام بشرع الله .

الأمر الثانى :-

أن الله تعالى سوءأخذه وبماقه ان هو اصطفى الأغنيا
والشرفا وطرد الفقرا والضمفا ، فمن ينصوه ويدفع عنه
عقاب الله تعالى ان هو فعل شيئا من ذلك ؟ .

ثالثا :- مهممممم

كانت شبهتهم الثالثة أنهم لم يروا لنوح ومن آمن معه
ميزات مادية دنيوية فضلهم الله بها بسبب ايانهم على الذين
لم يؤمنوا كالمال والجاه أو الخيرات الكثيرة حيث قالوا (وما نرى
لكم ظئنا من فضل) (١) .

(١) الآء : ٢٧ سورة هود .

فرد - عليه السلام - بقوله (وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ
وَلَا أَظْمُ الْغَيْبِ) (١) .

ويتضمن هذا الرد تعريفهم بأن الدنيا هي مجال الابتلاء
المأمور والمؤمنون والكافرون فيه على السواء ، ولم يستخزائن
الله تعالى بيده حتى يفيض منها على من آمن برسالته ، ولم يست
الدنيا في الأصل دار تفضيل بالمال والجاه والخيرات بحسب
الايان وصالح الأعمال ، فخزائن الله تعالى بيده يفيض منها على
من يشاء من عاده لسكمة الابتلاء التي يعلمها سبحانه ، وطسم
الغيب الذي يرتبط به تحصيل المنافع المادية الدنيوية هو
أيضا من خصائص الله تعالى ، وليس ما وضعه الله بين يدي
حتى استعمله في جلب المنافع الدنيوية لمن آمن به .

وهكذا دفع نوح - عليه السلام - عن نفسه وعن رسالته كسل
قيمة زائفة ، وكل هالة مصطنعة يتطلبها الملأ من قومه
في الرسول والرسالة ، ويتقدم بها اليهم مجرودة إلا من حقيقتها
العظيمة التي لا تحتاج الى مزيد من تلك الأعراف السطحية

(١) الآية : ٣١ سورة هود .

ويودهم في نضاعة الحق وقوته مع سماحة القول ، وورده السي
الحقيقة المجردة لمواجهةها ، فيمطى أصحاب الدعوة فسي
أجبالها نموذجاً للداعية ودرسا في مواجهة أصحاب السلطان
بالحق المجرد دون استرخاء أو معالاة لهم مع المودة
التي لا تنحنى معها الروءوس (١) .

ولكنهم قوم قد عميت بصائرهم عن قبول الحق ، وركبوا
روءوسهم في المماندة والمكابرة فجاهدهم نوح - عليه السلام -
وصبر على أذيتهم ، وهو يأمل في انقاذهم من الضلال ومع
ذلك لم يؤمن معه الا الطييل وقالوا : (لَا تَذَرُنَّ آلِهَتِكُمْ
وَلَا تَذَرُنَّ وُدًّا وَلَا سِوَاهَا وَلَا يَفُوتَ وَيَسُوقُ وَنَسْرًا) (٢) .

وحين يئس - عليه السلام - من صلاحهم ، ولقي منهم
آذانا صماء وطوبى عميا عن قبول الخير والانتفاع به توجه السي
الله تعالى قائلا :

(رَبِّ إِنِّي قَوْمٌ كَاذِبُونَ . فَافْتَحْ لِي فِيهِمْ قُلُوبًا وَنَجِّنِي
وَمَنْ مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ) (٣) .

(١) انظر : مناهج الجدل في القرآن ، د. زاهر الأحمسي
ص ١٥٤ وما بعدها .

(٢) الآية : ٢٣ سورة نوح .

(٣) الآيتان : ١١٧-١١٨ سورة الشعراء .

القرآنية

فانتقلت بذلك المعركة الجدلية الى معركة تدخلت

فيها القدرة الالهية واستجاب اللهداء نبيه (فأنجيناه ومن

معه في الظلم المشعور ، ثم أغرقنا بمد الباقين ، إن في ذلك

لاية وما كان أكثرهم مؤمنين (١) .

(١) الآيات : ١١٩ - ١٢٩ سورة الشعراء .

٤ - دعوة هود (عليه السلام)

قال تعالى : (كَذَّبَتْ عَادُ الْمُرْسَلِينَ . إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ
هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ) (١) .

وهي قبيلة كانت تسكن (الاحقاف) وموقعها بين (عمان)
(حضر موت) بأرض مطلية على البحر يقال لها (الشعر) . (٢)
وهم أول من عبد الأصنام بعد هلاك قوم نوح بالطوفان كما يدل
عليه قول (هود) - عليه السلام - يذكرهم بنعم الله تعالى
عليهم (وانكروا ان جعلكم خلقاً من بعد قوم نوح) (٣) .

فبعث الله تعالى اليهم عبده ورسوله (هوداً) - عليه السلام -
يدعوهم الى عبادته وحده لا شريك له ، ويذكرهم نعم الله
تعالى عليهم و يحذرهم عقابه ، ووجرت له معهم مناظرات وجدال
ورد ذكرها في القرآن الكريم في أكثر من موضع .

(١) الآيتان : ١٢٣ - ١٢٤ سورة الشعراء .

(٢) البداية والنهاية ابن كثير ج ١ ص ١٢٠ .

(٣) الآيه : ٦٩ سورة الأعراف .

ولما كان سبب عتو القوم وانحرافهم بانتهم ما أنعم الله تعالى
 به عليهم من قوة في البدن وسعة الرزق ، وحسن الصنعة مما
 جعلهم ينفخون في المجدات ، ويقومون القلاع والحصون ، وأصبح
 ظاهمهم البطش والفساد في الأرض بغير الحق ، فقد سارع
 (هود) عليه السلام في دعوته لهم الى معالجة هذا السبب
 الذي أدى بهم الى هذه الحال ، فذكرهم بأن ما هم فيه من نعمته
 وسور وورغد عيش انما هو من عند الله تعالى المستحق للمباداة
 وحده لا شريك له ، وأن شكر النعمة انما يكون بشكر الضم فذكر
 - عليه السلام - أمورا ثلاثة :-

الأول : قوله لهم (أَتَنْتَوْنَ بِكُلِّ رِيحٍ آيَةٌ تَمْتَهُونَ) (١) .

والريح - بالكسر - المكان المرتفع ، والآية : العلامة ،
 وفي معنى الآية وجوه :-

أحدها : أنهم كانوا يهتدون بالنجوم في السفر ، فبنوا

على الطريق أمثالا طولا يهتدوا بها ، يدل

عليه قوله تعالى (آية) أي علامة ، روى هذا

عن عكرمة .

(١) الآية : ١٢٨ سورة الشعراء .

الوجه الثاني :-

الريح - بنيان الحمام ، دليله قوله تعالى (تمبشون)
أى - تبشون بكل مكان مرتفع آية طما تمبشون بها طى معنى
أهنية الحمام وبروجها ، روى هذا عن مجاهد .

الوجه الثالث :-

عن ابن عباس - رضي الله عنه - تمبشون بمن يعرف الطريق
الى هود عليه السلام .

الوجه الرابع :-

وهو الذى يظهر - والله تعالى أعلم - أنهم كانوا يبنون فى
الأماكن المرتفعة ليمسرف بذلك ففاهم تفاخرا ، فنبها عنه
ونسبوا الى المبت .

الأمر الثاني :-

مما ذكره (هود) - عليه السلام - :- قوله (وَتَخْتَدُونَ

مَصَانِعَ لِمَلِكٍ تَخْلُدُونَ) .

والمصانع : مأخذ الماء ، وقيل : الحصون المشيدة وغيرها مما

يدل طى حب البناء وطول الأمل والغفلة .

الأمر الثالث :-

قوله لهم (وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ) .

والبطش : السطوة والأخذ بعنف ، والجبار ، المتسلط
الماتى ، وهذا الوصف مدح فى حق الله تعالى ، وذم فى حق
المباد .

وحاصل ما أنكره - عليه السلام - على قومه فى هذه الأمور
الثلاثة أن اتخاذ الأبنية المالية بدل على حب الملبس ،
واتخاذ الصانع بدل على حب البناء ، والجبروت بدل على
حب التفرد بالملو ، وهذه صفات الألوهية ، وهي متضمنة
الحصول للمؤمن ، فبدل هذا على أن حب الدنيا قد استولى
عليهم ، واستفروا فيه ، حتى خرجوا عن حد العبودية ، وحاموا
حول ادعاء الربوبية ، وكل هذا يدل على أن حب الدنيا
رأس كل خطيئة ، وعنوان كل كفر ومعضية (١) .

(١) مفاتيح الغيب - الرازى - ج ٢٤ ص ١٥٧ بتصرف .

ويكرر - عليه السلام - دعوته الى تقوى الله تعالى وطاقته ،

وذكرهم نعم الله تعالى عليهم فأجمل أولا بقوله (وَاتَّقُوا الَّذِي

أَمَدَكُم بِمَا تَعْمَلُونَ) ثم فصل هذا بقوله :-

(أَمَدَكُم بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ . وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ . إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ

عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ) (١) . فليخ - عليه السلام - في دعوته لهم بالوعظ

والترغيب والترهيب النهاية .

ولكن ردهم على هذا كان رد جاهل مستهتر أعتة النعمة

وأفسده الترف ان قالوا :-

(سِوَاهُ طِينًا أَوْ عَظَتْ أُمَّ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ) .

أظهروا عدم اكرامهم بكلامه ، واستخفافهم بما أورده ،

وظلوا هذا بقولهم :-

(إِن هَذَا إِلَّا خَلْقُ الْأَوَّلِينَ) أى اختلاق الأوليين

وتخرصهم ، أو كما قالوا (أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ) وقيل - الخلق :-

المادة أى ما خلقنا هذا الا خلق الأولين نحيا كحياتهم ، ونموت

مما تمهم ، وما نحن بمموتين ولا معاصيين . ويدل عليه قولهم :-

(وَمَا نَحْنُ بِمُحْدِثِينَ) .

(١) الآيات : ١٣٢ - ١٣٥ سورة الشعراء .

وفي موضع آخر قولهم (أَيْمِدِكُمْ أَنْكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَابًا
وَعِظَامًا أَنْكُمْ مُخْرَجُونَ . هَيِّبَاتٌ هَيِّبَاتٌ لِمَا تُوعَدُونَ . إِنَّ هِيَ إِلَّا
حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ) (١) .

فأضافوا الى جرائمهم المتعددة جريمة انكار البعث والجزاء .

وتأتى نهاية القصة باختصار (فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلِكْنَاهُمْ إِنَّ فِي
ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرَهُمْ مُؤْمِنِينَ) (٢) .

ولم يرد هنا تفصيل لكيفية الاهلاك ، ولما لما جرى

لهود معهم قبل الهلاك من جدل ونقاش ، لأن العبرة من ذلك

القصة التكدب بتم الاهلاك واظهار قدرة الله تعالى على نصره اوليائه

وتد مير أعدائه المكذبين برسالات الله تعالى .

(١) الآيه : ١٣٩ سورة الشعراء .

(٢) الآيه : ٣٤ - ٣٧ سورة المؤمنون .

هـ - دعوة صالح (عليه السلام)

قال تعالى (كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ إِذِ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ
أَلَا تَتَّقُونَ (١)) .

و(ثمود) قبيلة كانت تسكن (الحجر) كما نسبهم تعالى
إليه في قوله جل شأنه :-

(وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحِجْرِ الْمُرْسَلِينَ (٢)) وتقع بين الحجاز
والشام ، وآثارها لازالت باقية الى الآن .

واختلف المؤرخون في أصل هذه القبيلة وزمن وجودها ،
فقال بعضهم : انهم بقية من (عاد) . وقيل انهم بقية
المماليق .

انتقلوا الى ذلك المكان من غرب الفرات زعم بعض المستشرقين
أنهم قوم من اليهود سكنوا تلك الناحية ولم يدخلوا فلسطين ،
وهذا الرأي باطل لأن اليهود انما ظهروا بعد ذلك وهم نسل
يعقوب بن ابراهيم - عليه السلام - ، ولم يعرفوا بهذا الاسم الا بعد
خروج موسى - عليه السلام - من مصر ببني اسرائيل (٣) .

(١) انظر الآيات : ١٤١ - ١٥٩ سورة الشعراء .

(٢) الآية : ٨٠ سورة الحجر .

(٣) انظر : النبوة والانبيا : محمد طي الصابوني ص ٢٢٩ .

والقول الصحيح أنهم قوم من بقايا (عاد) كما دل عليه
قوله تعالى على لسان نبيه الكريم (صالح) - عليه السلام ،
وهو يذكرهم نعم الله عليهم (وَأَذْكُرُوا إِذْ جَمَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ
عَادٍ وَهَارِثَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سَهُولِهَا قُصُورًا) (١) .

وأما زمن وجودهم فلم يصرف منه الا أنهم كانوا بمسجد
(عاد) قوم هود - عليه السلام - كما أشارت الآية الكريمة
السابقة وقبل زمن (موسى) عليه السلام قطعا بدليل قول
موسى من آل فرعون (وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ
مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ ، مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَطَاٍ وَشُعُوبٍ وَالْفِرْعَوْنِ مِثْلَ
بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ بِبَرِيدٍ ظَلَمًا لِلْبَيِّنَاتِ) (٢) .

وكانت هذه القبيلة تعبد الأوثان ، وتنكر وجود الخالق
عز وجل ، وقد حضهم الله تعالى برزق واسع ، وخصب ،
وعرين جارية كما دلت عليه الآيات الكريمة في السورة .

(١) الآية : ٧٤ سورة الأعراف .

(٢) الآية : ٣٠-٣١ سورة غافر .

وظاهر هذه الآيات يدل على أن الغالب على قوم (هود) اللذات المعنوية وهي طلب الاستملاء ، والبقاء ، والتفرد بالجبروت ، وأما (ثمود) قوم صالح فالغالب عليهم اللذات الحسية ، وهي طلب المأكل ، والشرب ، والساكن الطيبة الفارسة الحصينة .

وبعث الله تعالى اليهم عبده ورسوله (صالحا) يدعوهم الى عبادة الله تعالى ، ويذكرهم نعمه عليهم ، ويخوفهم عقابه فقال مخاطبهم (أَلَا تَتَّقُونَ ؟ إِنْ لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ . فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا . وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَطَعْتُمُ اللَّهَ وَالرَّسُولَ . أَتُكْفِرُونَ . أَتُكْفِرُونَ فِي مَا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى . وَتَضَعُونَ ثِقْلَكُمْ عَلَى الْمِيزَانِ . إِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَالَّذِي كَفَرُوا هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ . فَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسْتَعِينُونَ . وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَخْشَوْنَ كُنُوزَهُمْ . وَالَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَعَبَّدْتُمُ اللَّهَ . فَأَقْرُبُوا وَجوهَكُمْ لِلدِّينِ وَقُرْبَانَكُمْ حَقِيقًا . فَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسْتَعِينُونَ . وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُشْرِكِينَ . الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ) (١) .

تضمنت دعوته - عليه السلام - لقومه في الآيات الكريمة

ما يلي :-

(١) الآيات : ١٤١ - ١٥١ سورة الشعراء .

(١) الأمر بتقوى الله تعالى وطاعته واتباعه فيما جاء به من عند الله تعالى .

(٢) ثم عرفهم أنه مرسل من عند الله تعالى يأمرهم بمهادته وحده ، لا شريك له ويهدي رسالته بأمانة لا يكذب ولا يخون ، ويكرر مطلبه بتقوى الله تعالى . وأنه لا يطلب منهم أجرا طسى الهدى وإنما أجره على الله تعالى .

(٣) ثم أنكروا عليهم ركونهم الى الدنيا ، وتعلقهم بطذاتها فقال

(أَتَرْكُونَ فِيهَا هَهْنًا آمِنِينَ . فِي جَنَاتٍ وَعُيُونٍ ، وَلَلْوَعِ
وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ . وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا
فَارِهِينَ) وأن ما يجب عليهم مقابل هذه النعم هو

الشكر للنعمة عز وجل كما ورد في سورة (هود) (وَالِيسَى

ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ

غَيْرِهِ هُوَ أَنشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ

تُوبُوا إِلَى اللَّهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ) (١) .

ويختتم - عليه السلام - دعوته لقومه بالأمر بتقوى الله تعالى
مرة أخرى ويحذرهم اتباع أمور الصرفيين الموجب لنقمة الله
عز وجل وعقابه .

وقد عارضه قومه في دعواه وذكروا أموراً ينوون عليها
مما رضت لهم :-

أولها : قولهم (**إِنَّا أَنْتَ مِنَ السَّحَرِينَ**) (١) جمع (مسحور)
وهو الذي يظلب السحر على عقله فأصبح يهذى بأشياء
لا معنى لها ولا فائدة ترجى منها .

وقيل : (**المسحور**) منزله سحر وهو أظلم البطن ،
أرادوا أنك ممن يأكل الطعام ويشرب الشراب (٢) . وطى
كلا الممنيين فمقصودهم الطمن في أهليته للرسالة .

وثانيها : قولهم (**مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا**) (٣) .

(١) الآية : ١٥٣ سورة الشعراء .

(٢) تفسير الرازي ج ٢٤ ص ١٦٠ ط . الأولى .

(٣) الآية : ١٥٤ سورة الشعراء .

وهذه هي الشبهة التي يتخذها مكذبو الرسل ذريعة لتكذيبهم للرسل عليهم السلام (فَكَيْفَ كَانَتْ الْبَشَرِيَّةُ تَتَصَوَّرُ الرِّسُولَ خَلْقًا آخَرَ غَيْرَ الْبَشَرِ ، أَوْ هَكَذَا يَنْهَى أَنْ يَكُونَ مَا دَامَ يَأْتِي إِلَيْهَا بِخَيْرِ السَّمَاءِ ، وَخَيْرِ الْغَيْبِ ، وَخَيْرِ الْعَالَمِ الْمَحْجُوبِ عَنِ الْبَشَرِ وَذَلِكَ أَنَّهَا مَا كَانَتْ دَرَكَ سِرِّ هَذَا الْإِنْسَانِ الَّذِي كَرَّمَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ ، وَهُوَ أَنَّهُ مَرْهُوبُ الْقُدْرَةِ عَلَى الْإِتِّصَالِ بِالْمَلَأِ الْأَعْلَى وَهُوَ عَلَى هَذِهِ الْأَرْضِ مَقِيمٌ ، يَأْكُلُ وَيَنَامُ ، وَيَتَزَوَّجُ وَيَحْشَى فِي الْأَسْوَاقِ ، وَيَعَالِجُ مَا يَمَاجُجُهُ سَائِرُ الْبَشَرِ مِنَ الشَّاعِرِ وَالنَّوَّازِعِ ، وَهُوَ مُتَّصِلٌ بِذَلِكَ السِّرِّ الْعَظِيمِ) (١) .

وثالثها :-

بعد أن أنكروا رسالته ، طلبوا منه آية معجزة تدل على صدقه فقالوا : (فَسَأَلَتْ بِآيَةٍ إِنْ كُنْتُمْ مِنَ الصَّادِقِينَ) (٢) طلبوا منه آية معجزة لا يقدر على مثلها بشر تشهد على صدقه فيما جاء به من عند الله .

ويروى في تفصيل ما طلبوا - أنهم طلبوا أن يخرج لهم ناقة عشراء من صخر فخرجواهم ، فدعا صالح - عليه السلام - ربه عز وجل أن يخرجها لهم فاستجاب له وعند ذلك خاطبهم بقوله (هَذِهِ نَاقَةٌ لَهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَعْلُومٍ . وَلَا تَمْسُوهَا بِسَوْءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ) (٣) .

(١) الظلال : ج ٥ ص ٢٦١٢ .

(٢) الآية : ١٥٤ سورة الشعراء .

(٣) الآياتان : ١٥٥-١٥٦ سورة الشعراء .

وذكر المفسرون في وصف هذه الناقة أمورا عظيمة ، وخاضوا
في ذلك ، وأكثر ما ذكروه لا يستند له .

والمقصود أن ثمود خالفوا ما أوصاهم به نبيهم ، وعقروا
الناقة مخالفة في التكذيب (فَعَقَرُوهُنَّ فَأَصْبَحُوا نَادِيسِينَ ،
فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ) (١) بعد أن قامت عليهم الحجة بإرسال
الرسول وتأبيده بالمعجزة الدالة على صدقه .

(إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ . وَإِنَّ رَبَّكَ لَبُورٌ
الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ) (٢)

(١) الآيات : ١٥٧ - ١٥٨ سورة الشعراء .

(٢) الآية : ٢٦ سورة المنكبوت .

٦ - دعوة لوط (عليه السلام)

وموضع قصته مع قصة ابراهيم ، ولكن الترتيب التاريخي فسي
السورة الكريمة غير ملحوظ كما أشرت مرارا ، لما قدمت من
أن المقصود وحدة الرسالة والتمهيد ، وعاقبة التكذيب
والمكذابين .

(و لوط) - عليه السلام - ابن أخي (ابراهيم) - عليه
السلام - بعثه الله تعالى في زمانه وآمن به واعتدى بهديه ،
وخرج معه بعد أن هجر أباه وقومه في أرض العراق كما أخبر
سبحانه وتعالى في قوله (قَامَنَّ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى
رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) (٢) .

ثم هزج عنه بأمره واذنه الى مدينة (سدوم) في أطراف
الأردن ، وسكانها من أخبث الناس ، وأفجسهم ، يقطعون الطريق ،
ويخونون الرفيق ، ويأتون في ناديمهم ، وهو مجتمعهم ومصل
حدبهم - المنكر من الأقوال والأفعال على اختلاف أصنافه
وربما وقع منهم الغمل لمظلم في المحافل ، ولا يستنكفون ، ولا
يعوون فكانوا كالأنعام بل هم أضل .

(١) الآية : ٢٦ سورة الخنكوت .

وانفرد هو^١ القوم بارتكاب جرم شنيع لم يسبقهم اليه أحد
قبلهم ، ألا وهو اتيان الذكور دون النساء ، وكانوا يجاهرون به ،
ولا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون .

فبعث الله تعالى اليهم عبده ورسوله (لوطا) عليه السلام -
بأمرهم بتقوى الله عز وجل وطاعته ، والتوبة عن هذا الذنب
القيح فقال يخاطبهم : (إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ، فَاتَّقُوا اللَّهَ
وَأَطِيعُوا أَوْطِيعُونَ ، وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ
الْمَالِئِينَ . أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْمَالِئِينَ . وَيَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ
سُدُورَهُ مِنْ أَوْجَانِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ) (١)

بين لهم - عليه السلام - أنهم بمصطهم هذا مخالفين للفترة
التي فطر الله الخلق عليها ، وتتعدوا ناموس الكون الذي وضعه
تعالى لحكمة وشيئة (فقد برأ الله تعالى كلا من الذكر والأنثى
وفطر كلا منهما على الميل لصاحبه لتحقيق حكمته وشيئته
في امتداد الحياة عن طريق النسل الذي يتم باجتماع الذكر
والأنثى ، فكان هذا الميل طرفا من الناموس الكوني المصام
الذي يجمل كل من في الكون ، وكل ما في الكون في حالة

(١) الآيات : ١٦٢ - ١٦٦ سورة الشمراء ،

تناسق وتعاون على انقاذ المشيئة المدبوة لهذا الوجود ،
فأما اتيمان الذكور المذكور فلا يرمى لهدف ، ولا يحقق
غاية ، ولا يتششى مع فطرة هذا الكون وقانونه ، وعجيب أن
يجد أحد فيه لذة ، واللذة التي يجدها الذكر والانثى نفسى
التقائهما ان هي الا وسيلة الفطرة لتحقيق المشيئة ، أما الانحراف
عن ناموس الكون ^{فيكون} واضح في عمل قوم لوط ، ومن ثم لم يكن به عن
أن يوجموا عن هذا الانحراف أو أن يهلكوا لخروجهم من ركيب
الحياة ، ومن موكب الفطرة ، ولتصريحهم من حكمة وجودهم ، وهسي
استداد الحياة بهم عن طريق التزواج والتوالد (١) .

فدعاهم لوط - عليه السلام - الى نهد هذا العمل الشاذ ،
وأنكر عليهم ترك ما خلق الله تعالى لهم من أزواج وتمديهم
على الفطرة .

ولكنهم أجابوه بما يدل على عدم استمدادهم للرجوع عن
هذا العمل القبيح ان قالوا :-

(لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ بِاللَّوْطِ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ) (٢) فقد كان - عليه

السلام - غريبا عنهم ، ولا يملك بينهم المشيرة التي تمنه وتخميته ،

(١) الظلال - سيد قطب ج ٥ ص ٢٦١٣ .

(٢) الآيه : ١٦٧ سورة الشعراء .

فما كان منه الا أن جاهرهم بالمداوة لمصلهم الشنيع وودعا الله
تعالى أن ينجاه وأهله منه فقال يخاطبهم :- (إِنِّي لَمَطِيكُم مِّنَ
التَّالِينَ . رَبِّجَنِّي وَأَهْلِي مِمَّا يَمَطُونَ) (١) .

ويعجل السياق في السورة الكريمة بنهاية القوم ونجاة لوط عليه

السلام - وأهله الا امرأته التي كانت توافق القوم على عطيهم .

(فَجَنَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَائِبِينَ . ثُمَّ دَرَسْنَا
الْآخِرِينَ . وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فُضَاءً مَطَرُ الْمُنذَرِينَ) (٢) .

عجل السياق بنهاية القوم من غير تفصيل لأن المقصود وقسوع

الكذب والهلاك وتبقى العبرة لمن يخالف أوامر الله تعالى
ويكذب رسله .

(إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُّؤْمِنِينَ . وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ
الْمُزِينُ الرَّحِيمُ) (٣) .

(١) الآية : ١٦٩ سورة الشعراء .

(٢) الآيات : ١٧٠-١٧٣ سورة الشعراء .

(٣) الآيتان : ١٧٤-١٧٥ سورة الشعراء .

٧ - دعوة شميب (عليه السلام)

قال تعالى : (كَذَّبَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ الْمُرْسِلِينَ إِذْ قَالَ لَهُمُ
شُعَيْبٌ يَا قَوْمِ ارْحَبُوا رَبِّيَ وَأَنْصِرُوا رَبِّيَ الَّذِي ارْحَبَهُ فَكُفِرُوا) (١) .

و (أصحاب الأيكة) هم (أهل مدائن) وهي قرية بأطراف
الشام من أرض (معان) ما يلي الحجاز^(٢) . ونسبوا إلى (الأيكة)
وهي الغوطه التي يكثر فيها الشجر الطتف جلى بعضه ،
وذلك أن بلادهم كانت كثيرة الأشجار وافرة الثمار .

وقيل : هي شجرة أو شجر طتف كالغيضة كانوا يعبدونها ،
روى هذا القول عن ابن عباس رضي الله عنه^(٣) .

وقيل : ان الأيكة علم اسم للقرية التي كانوا يسكنون فيها .
رد هذا الامام القرطبي رحمه الله تعالى وصنفه ، قال
رحمه الله :-

(وأما ما حكاه أبو عبيد من أن (لبيكة) اسم للقرية
التي كانوا يسكنون فيها ، وأن (الأيكة) اسم البلد فشسيه
لا يثبت ، ولا يعرف من قاله فثبت طمه ، ولو عرف من قاله

(١) الآيتان ١٧٦ - ١٧٧ الشعراء .

(٢) البداية والنهاية ج ١ ص ١٨٤ .

(٣) تفسير الطبري ج ١٩ ص ١٠٧ ظ. الثالثة .

لكان فيه نظر ، لأن أهل المسلم جميعا من أهل التفسير والعلم
بكلام المرابط على خلافه

وأضاف رحمه الله : (ولا نعلم بين أهل العلم اختلافا
أن (الأيكة) الشجر الطقف) (١) .

وروى جماعة من المفسرين منهم قتادة والامام الرازي أن
(أصحاب الأيكة) قوم غير أهل مدين قوم شعيب ، يحسبه
الله تعالى اليهم بعد هلاكهم ، وعدهم في هذا ما يلي :-
١ - مارواه الحافظ ابن عساكر عن محمد بن عمرو مرفوعا (ان
مدين وأصحاب الأيكة أمتان بعث الله اليهما النبي
شعيبا عليه السلام) .

وروى اسحق بن بشر الكاهل عن خصيف وعكرمه قالا :
(ما بعث الله نبيا مرتين الا شعيبا مرة الى مدين فأخذهم
الله بالصيحة ، ومرة الى أصحاب الأيكة فأخذهم الله
بعذاب يوم الظلة) (٢) .

(١) تفسير القرطبي ج ٧ ص ١٣٤ - ١٣٥ ط . ٠٦٧ .

(٢) البداية والنهاية ج ١ ص ١٩٠ .

٢ - ماورد في القرآن الكريم من اختلاف صفة العذاب الذي

أهلك الله تعالى به كلا من (أهل مدین) و (أصحاب

الأيكة) ففي سورة الأعراف ورد بمد ذكر (مدین)

بالاسم وتكذبهم نهبهم شعبيها - طيه السلام - أن هلاكهم

بالرجفة حيث قال تعالى : (فَأَخَذْتَهُمُ الرِّجْفَةَ فَأَصْبَحُوا

فِي دَارِهِمْ جَائِعِينَ) (١)

وفي هذه السورة الكريمة بمد ذكر (أصحاب الأيكة)

ورد هلاكهم بعذاب (يوم الظلة) قال تعالى : -

(فَأَخَذَهُمُ عَذَابٌ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابٌ يَوْمٍ عَظِيمٍ) (٢)

٣ - كما استدلوا بما ورد في السورة الكريمة في قوله تعالى :

(إِنْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ) . فلم يورد فيها

نسبته لهم بالأخوة ، ما يدل على أنه ليس فيهم

بخلاف ما ذكر مع أهل مدین في سورة الأعراف (وَإِلَىٰ مَدْيَنَ

أَخَاهُمْ شُعَيْبًا) . فدل ذكر الأخوة هنا على أنه كان منهم

وأن أصحاب الأيكة قوم آخرون بعثه الله تعالى اليهم بمد

هلاكهم .

(١) الآية : ٩١ الأعراف .

(٢) البداية والنهاية ج ١ ص ١٩٠ .

والذى يظهر ، والله أعلم ، أن (أهل مدین) هم
(أصحاب الأيكة) لما ذكر سبحانه من اتحاد صفة الجريمة
التي عوقبوا بها وهي : التطفيف في الكيال والميزان .

وأما ما رواه ابن عساكو رحمه الله تعالى في ترجمة شميب
عن عبد الله بن عمرو مرفوعا فقد تمقبة الحافظ ابن كثير
رحمه الله بقوله :-

(انه حديث غريب وفي رجاله من تكلم فيه ، وفي نفسه
نظور ، والأشبه أن يكون مرفوعا من كلام عبد الله بن عمرو
مما أصابه يوم اليرموك من تلك الزاملتين من أخبار بني اسرائيل
والله أعلم ، واسحاق بن بشر ضعيف) (١) .

(١) البداية والنهاية ج ١ ص ١٩٠ .

وأما ماورد في القرآن الكريم من تنوع صفة العذاب الذي
أهلك مدين ، وأصحاب الأيكة فلا يصلح أن يكون دليلا ولو
أخذنا به لقلنا أنها ثلاث أمم وليست أمتان .

فقد ذكر في سورة (الأعراف) بعد ذكر (مدين) هلاكهم
بالرجفة .

قال تعالى : (فَأَخَذْتَهُمُ الرِّجْفَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ
جَائِعِينَ) (١)

وفي سورة (هود) بعد ذكر أهل (مدين) وتكذيبهم
لنبيهم شعيبا - طيه السلام - ذكر هلاكهم بالصيحة .

قال تعالى : (وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ آمَنُوا
مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي
دِيَارِهِمْ جَائِعِينَ . كَانُوا لَمْ يَخْتَفُوا فِيهَا إِلَّا بَعْدًا لِدِيَارِهِمْ
كَمَا بَعْدَتْ ثَعُودُ (٢))

(١) الآية : ٩١ الأعراف .

(٢) الآيتان : ٩٤ - ٩٥ هود .

وفي هذه السورة الكريمة - سورة الشعراء - بعد ذكر

(أصحاب الأيكة) وتكذيبهم (شميا) - طيه السلام -

فَأَخَذَهُمْ عَذَابٌ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابٌ يَوْمٍ عَظِيمٍ (١) .

فلو اعتمدنا الاستدلال بتنوع صفة العذاب لظنا انهم

ثلاث أمم كما لا يخفى .

ولا يمتنع أن يكون الله تعالى قد جمع طيهم أصناف العذاب

الثلاثة ، فقد روى ابن جرير عن يزيد الباهلي قال : سألت

ابن عباس عن هذه الآية (فَأَخَذَهُمْ عَذَابٌ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ

عَذَابٌ يَوْمٍ عَظِيمٍ) فقال : بعث الله طيهم رهدا وحرا شديدا

فأخذ بأنفاسهم فخرجوا الى البرية ، فبعث الله طيهم

سحابة فأظلتهم من الشمس فوجدوا لها بردا ولذة ، فنادى

بعضهم بعضا حتى اذا اجتمعوا تحتها أرسل الله طيهم نارا ،

قال ابن عباس : فذلك عذاب يوم الظلة انه كان عذاب

(٢)
يوم عظيم .

(١) الآية : ١٨٩ الشعراء .

(٢) تفسير ابن كثير ج ٢ ص ٣٤٧ - ١٩٨٢ م .

وأما ماورد في السورة الكريمة من عدم ذكر الأخوة فلأنه تعالى لما وصفهم بصحابة الأيكة قطع نسب الأخوة بينهم للمعنى الذى نسبوا اليه ، وان كان أحاسم نسباً ولما نسبهم الى القبيلة في سورة الأعراف شاع ذكر شصيب أنه أخوهم ، ذكر هذا الحافظ ابن كثير رحمه الله وأضاف : (وهذا من الغرور المزينة النفيسة الشريفة)^(١) .

وانا تقور هذا فأصحاب الأيكة هم (أهل دين) بعث الله تعالى اليهم نبيه (شصيبا) عليه السلام - وكان هؤلاء القوم أهل تجارة ورفاهية ونعيم ، كفروا بالله تعالى ، وفشت فيهم منكرات عديدة منها التطفيف فى الكيل والسوزن بأخذون بالزائد ويدفمون بالناقص ويقطمون الطريق ، فبدأهم - عليه السلام - بما بدأ به الرسل السابقون فسى دعوتهم لأقوامهم عرفهم أولاً بنفسه أنه رسول من عند الله تعالى يلفهم رسالته بصدق وأمانة ، ثم تعد اليهم بالمطالب التى بعث من أجلها وهي :-

(١) الهداية والنهاية ج ١ ص ١٩٠ .

تقوى الله تعالى وطاعته ، وافراده بالمعبادة وحده لا شريك
له ، والعدل والقسط فى الكيل والميزان ، ونهاهم عن بخرس
أموال الناس والفساد فى الأرض فقال :-

(أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ ، وَزِنُوا بِالْقِسْطِ
الْمُسْتَقِيمِ . وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَقْبَلُوا فِي الْأَرْضِ
مُفْسِدِينَ (١) . وذلك أن المقيدة الصحيحة تمها حسن المعاملة
ولا تستطيع أن تفضى عن الحق والعدل فى معاملة الناس .

وقد رد عليه هو "لاء القوم دعوتيه ، واتهموه بأنه غلب السحر
على عقله فأخذ يهذى ويخلط فى القول ، وجحدوا رسالته مملسين
هذا الجحود بأنه من البشور ، وأن البشورية تتنافى مع الرسالة ،
وطلبوا منه دليلا يثبت رسالته وهو أقرب إلى التعدى من
كونه مجرد طلب للدليل اذ طلبوا أن يكون علامة صدقة هلاكهم
مخالفة فى التكذيب والاستهزاء فأجابهم - عليه السلام - قائلا :-

(رَبِّى أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ) ان وكل أمرهم الى الله تعالى
وهو أعلم بهم ان كانوا يستحقون ذلك فيجازيهم به وهو غير ظالم
لهم .

(١) الآيات : ١٨١ ، ١٨٢ ، ١٨٣ الشعراء .

ويجعل السياق في السورة بالنهاية من غير تفصيل (فكذبوه)
فأخذهم عذاب يوم الظلة إنه كان عذاب يوم عظيم (١) وقد قد منسبا
تفسير ابن عباس رضي الله عنهما لهذا العذاب .

ثم تختتم القصة بالتمقيب الذي يلي القصص في السورة
الكريمة جوابا عن سؤال المشركين آية تدل على صدق النبي
صلى الله عليه وسلم : (إِنْ فِي ذَلِكَ لآيَةٌ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ
مُؤْمِنِينَ ، وَإِنْ رَبُّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ) (٢) .

(١) الآية : ١٨٩ الشعراء .

(٢) الآيتان : ١٩٠ - ١٩١ الشعراء .

- الباب الثاني -

الفصل الثاني : -

(خصائص ومزايا دعوة الأنبياء عليهم السلام - في ضوء

القصاص في السورة الكريمة) .

لاحظنا من خلال العرض السابق لدعوات الأنبياء والرسل الكرام في السورة عدم مراعاة الجانب التاريخي ، والتركيز على جانب كبير من خصائص دعوات الأنبياء ، ومنهجهم في الدعوة الى الله تعالى ، واظهار العاقبة السيئة للمكذابين بالرسائل والرسالات .

وفي هذا الفصل محاولة لاطهار هذه الخصائص والمزايا في دعوات الأنبياء طيبهم في ضوء السورة الكريمة .

١ - فأول وأبرز هذه الخصائص - ربانية الرسالة و ربانية التكليف في دعوة الأنبياء - طيبهم السلام - .

والمقصود بهذا أن دعوات الأنبياء والرسل - طيبهم السلام - لم تكن نتيجة لمواظب اجتماعية ، كالظلم ، والقهر والاستبداد ، ولا هي نتيجة أوضاع نفسية معينة وانما وحى وتكليف من الله تعالى .

(١) الآياتان : ١٠١ - ١١١ سورة الشعراء .

وهذا أبرز ما أظهره السياق في السورة بوضوح من القصة الأولى وهي قصة (موسى طيبه السلام) حيث بدأت بذكر المناداة والتكليف (وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَىٰ أَنْ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ . قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَلا يَتَّقُونَ) (١)

الى قصة شعيب طيبه السلام وهي خاتم القصص ان يقول

مخاطبا قومه :-

(إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ . فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا مَا آسَأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا) (٢)

كما أننا نجد أن معارضة المكذبين للرسول منية على عدم قبولهم وتصورهم لا مكانية الاتصال بين الله تعالى وأنبيائه من البشر ، وعدم قناعتهم بأهلية البشر للرسالة فقالوا مخاطبين رسولهم (مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا) (٣) ولم يدركوا - أيضا - حقيقة الرسالة ، ووظيفة الرسول ، والتي لا تتجاوز

-
- (١) الآيات : ١٠١ - ١١١ سورة الشعراء .
 (٢) الآيات : ١٧٨ - ١٨٠ سورة الشعراء .
 (٣) الآية : ١٥٤ سورة الشعراء .

تبليغ شرع الله تعالى بصدق ، وأمانة ، بلا زيادة أو نقصان
دون أن تلويه خلف ذلك فرغى دنوي كما قد يتصوره القوم .

وهذا هو الفرق بين دعوات الأنبياء والرسل - عليهم السلام -
وبين ما اعتاد عليه الناس من دعوات المصلحين ، والزعماء ،
والقادة من البشر .

(فأول ما يمتاز به الأنبياء - عليهم السلام - عن غيرهم
من المصلحين والزعماء أن العلم الذي ينشرونه بين الناس ،
والعقيدة التي يدعون إليها ، والدعوة التي يقومون بها
لا تنبع من ذكائهم ، أو حميتهم ، أو تألمهم بالوضع المسوزي
الذي يعيشون فيه أو من شموهم الرقيق الحساس ، أو تجاربهم
الواسعة الحكمة .

لاشيء من ذلك وإنما مصدره الرحي والرسالة التي
يصطفون لها ، ويكرمونها بها ، فلا يقاسون أبدا على الحكماء
أو الزعماء أو المصلحين ، وجميع أصناف القادة الذين عرفتهم
البشرية وتاريخ الإصلاح والكفاح الطويل ، والذين هم نتيجة
بيئتهم ، وخرس حكمتهم وصدى محيطهم ، ورد فعل لما كان

يجيش به مجتمعيهم من فساد وفوضى .

وقد نبه القرآن الكريم الى هذا على لسان النبي صلى
الله عليه وسلم وذلك في قوله تعالى : (قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُمْ
عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِنْ قَبْلِهِ أَفَلَا
تَعْقِلُونَ) (١) .

ويقول تعالى : (وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا
مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا
نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ
مُسْتَقِيمٍ) (٢) .

ويقول القرآن عن طهيمة الرسالة التي يختار لها الرسل

وعن هدفها ومصدرها :-

(يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ
أُنذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ) (٣) .

(١) الآية : ١٦ سورة يونس .

(٢) الآية : ٥٢ سورة الشورى .

(٣) الآية : ٢ سورة النمل .

لذلك لا يخضع الرسول لعوامل نفسية داخلية ، أو
حوادث وقتية خارجية ، ولا يدبر رسالته حيث دارت الأحوال
والأوضاع وشأن المجتمع .

وهذه هي السمة الفاصلة المميزة بين دعوات الرسل (عليهم
السلام) وبين دعوات القادة والزعماء ، والذين تكسبون
رسالتهم وكفاحهم من وحي بيقينهم وثقتهم ومشاعرهم
واستجابة للطق الذي يساور المجتمع ، ويساور النفوس الواعية
والذين يلاحظون دائما المهيئة ، والمجتمع ، والظسروف
والأحوال ، ويواعون المصلحة والسياسة ، ويخضعون لها في
كثير من الأحوال ، فيتنازلون عن أشياء كثيرة ، وقد يساومون
الأحزاب ، ويتبادلون معها المنافع ، ومهدأ كثير منهم الذي
بأخذون به : (در مع الدهر كيف هو دائر) (١) .

أما الأنبياء فلا يقبلون المساومة على شيء من أمور
رسالتهم ، وليس هذا الأمر عندهم موضع أخذ ورد ، بخلاف
الزعماء والمصلحين الذين قد يتخلون عن بعض ما يدعون إليه

(١) النبوة والأنبياء أبي الحسن لنووي - ص ٥٤ وما بعدها
بتصرف .

لمصلحة بيوتها في ذلك ، لأن دعوتهم نابعة من ظسروف
خاصة ، ومن نفس بشرية قاصرة ، وتفكير محدود بحدود
العقل البشري المحدد الادراك .

أما دعوات الأنبياء فصدرها الشارع الحكيم الملميم
المحيط بأسرار الكون والخلق ومصالحهم العريى طسى
سعادتهم ، فالساومة أو التراجع أمران غير واردان فى
دعوتهم (عليهم السلام) .

ومن الأمثلة على هذا ما ذكر فى القرآن الكريم عن
أول رسول وأول داعية الى التوحيد وهو (نوح عليه
السلام) حين عرض عليه قومه نهد الفقراء والضعفاء
الذين يسمونهم (أرادل) لفرهم وضعفهم ، وذلك مقابل
أن ينظروا فى أمره ويحشوا معه تعاليم دعوته أجاههم
(عليه السلام) بقوله :-

(وَمَا عَظِمِي بِمَا كَانُوا يَمْطُونُ . إِنْ حَسَابِهِمِ إِلَّا عَلَى رَبِّي
لَوْ تَشْمَرُونَ ، وَمَا أَنَا بِطَارِدٍ الْمُؤْمِنِينَ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ) (١) .

(١) الآيات : ١٢٠-١١٥ سورة الشمره .

ويقوله (عليه السلام) :-

﴿ يَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى
اللَّهِ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّهُمْ مَلَاقُوا رَبَّهُمْ وَلَكِنَّي
أُرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ . وَيَا قَوْمِ مَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ طَرَدْتَهُمْ
أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (١) ؟ .

بين لهم (عليه السلام) أنه ليس بطالب مال حتى يقرب

الأغنياء ، ويطرد الفقراء ، وإنما هو مرسل ليلبغ رسالة

الله تعالى للناس جميعا ، غنيهم وفقيرهم قويمهم ،

وضميفهم ، وسوء ولية الجميع نحو الايمان والالتزام بشريع

الله واحد ، فهم أيضا ملاقوا ربهم فسألهم ومحاسبهم طسي

أعمالهم .

ومن الأمثلة - أيضا - ما عرضه المشركون من أهل

مكة على النبي (صلى الله عليه وسلم) يسأومونه طسي

التخلي عن الدعوة الى الله تعالى مقابل أن يتركوه طيبهم ،

ويزهجوه ما أحب من نساءهم ، ويمطوه ما شاء من كرائم

(١) الآياتان : ٢٨ - ٢٩ سورة هود .

أموالهم على أن يتخلى عن ما يدعوههم اليه ، ويعرض عن ذم
آلهم فأجابهم (عليه السلام) بالمبارة الخالدة :-

(والله لو وضعوا الشمس في يميني ، والقمر من يساري
على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك فيه
ما تركته) (١) .

والترهيب بدلا من الترغيب ، كما في قول فرعون (لعنه
الله) لموسى :-

(لَعْنٌ أَخَذَتْهَا غَيْرِي لِأَجْمَلِنَاكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ) (٢) .
وقول قوم لوط لنبيهم : (لَعْنٌ لَمْ تَنْتَهَ بِاللُّوطِ لِتَكُونَ مِنْ
الْمُخْرَجِينَ) (٣) .

(١) السيرة النبوية - لابن هشام - ج ١ ص ٢٦٦ ،
ط. الثانية .

(٢) الآية : ٢٩ الشعراء .

(٣) الآية : ١٦٢ الشعراء .

والاستهزاء* في مواقف أخرى كما في قول عاد لنبيهم (هود)

عليه السلام :-

(سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوْ عَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ . إِنْ هَذَا

إِلَّا خُلِقَ الْأَوَّلِينَ) (١)

وقول ثمود لنبيهم (صالح عليه السلام) :-

(إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ . مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا فَأْتِ بآيَةٍ

إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ) (٢)

وقد صمدت دعوتهم (عليهم السلام) في وجه هذه الافراوات

وهذا التهديد الخليط المتنوع ، لأنها دعوة صادقة راسخة

مصدرها الشارع الحكيم المليم ولا مجال فيها للمساومة أو

التراجع .

الخاصية الثانية :-

وضوح الهدف والفاية والبعث عن التصنع والتكلف :-

وقد تجلت هذه الخاصية في الآيات الكريمة التي اشتطت

على دعوتهم (عليهم السلام) وذلك فيما يطلبوه من أقوامهم ،

(١) الآيتان : ١٣٦ - ١٣٧ الشمراء .

(٢) الآيتان : ١٥٣ - ١٥٤ الشمراء .

وأسلوبهم في عرض هذه المطالب كما في قصة موسى (عليه السلام)

وهي القصة الأولى في السورة ، نجد فيها تحديدا واضحا

وجليا (فَاتِّبَاهُ فَقَوْلًا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ . أَنْ أُرْسِلُ
مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ (١) .

حددت هاتين الآيتين رسالة (موسى) طيه السلام ،

الى فرعون في ثلاثة مطالب واضحة لا لبس فيها ولا غموض :-

أولها : ايمان فرعون بربوبيته الله تعالى للكون كله ،

ووجدانيته ، وطاعته فيها أمر به عن طريق رسوله

الكريم .

الثانى : التصديق برسالة (موسى عليه السلام) وأتباعه .

الثالث : ولا يتحقق الا بتحقيق الأمرين السابقين وهو :-

أن يطلق بنى اسرائيل مع (موسى عليه السلام) ليبلغهم

شرع الله تعالى .

(١) الآيتان : ١٦-١٧ الشعراء .

كما انحصر النقاش بينهما في حدود هذه المطالب ، حيث بدأ فرعون بالطعن في أهلية (موسى عليه السلام) للرسالة ، فقال مخاطبه (أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ، وَفَعَلْتَ فَعْلَكَالَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ) (١) .

فأجابه (موسى عليه السلام) عن هذا بالجواب الكافى كما سبق أن بيناه ، فانتقل الى مناقشته في أمر رسالته فسأله سؤال جاحد مكابر (وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ) فأجاب على تساويله بصفات الله تعالى المشتقة لربوبيته تعالى للكون كله وما فيه ، ثم جرت بينهما المناظرة التي انتهت بقول فرعون : (لَئِنِ اتَّخَذَتِ الْهَاءُ غَيْرِي لِأَجْعَلَكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ) (٢) .

(١) الآياتان : ١٨-١٩ الشعراء .

(٢) الآية : ٢٩ الشعراء .

وفي قصة (ابراهيم عليه السلام) مع قومه ، طرح قضيته
معه للنقاش في صيغة سؤال موجز واضح هو (ماتمبدون ؟)
فكان جوابهم (نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنُفِطِلُ لَهَا عَاكِفِينَ) (١) . اذن
فقضية (ابراهيم عليه السلام) مع أهله وقومه وخلافه معهم
ينحصر في (العبادة ولمن تكون) ؟ .

فشرع (عليه السلام) يخاطب عقولهم مبينا لهم حقيقة
العبادة ، وأنها قريبة لمن يملك الخلق والرزق ، والضرر
والنفع ، والأحياء والامانة ، والجزاء على الصل وأن هذه
الحجارة الصماء التي يعبدونها ويتقربون اليها بأنواع الشمر
لاتملك شيئا من أسباب العبادة هذه ، وأن المسالك
لهذا كله هو الله تعالى الذي يدين له ويفرده بالعبادة
وحده لا شريك له .

(١) الآية : ٧١ الشعراء .

وفى قصة نوح مع قومه :-

(إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ، فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا) (١) . مطلب

واضح وجلي :-

(تقوى الله تعالى ، وطاعته ، واتباع رسوله فيما أرسله
به) . وحدّ التقوى كما قرره أهل العلم :- (طاعته
تعالى فيما أمر به على لسان رسله الكرام واجتناب ما نهى عنه)
فالأمر بتقوى الله أمر عام شامل جامع لكل ما أمر تعالى به
من المبادات والقرب ، واجتناب ما نهى عنه من المماصسى
والآثام وأعظم هذه الآثام الشرك بالله تعالى وعبادة الأوثان
والأصنام .

وهذا هو موضع دعوة (نوح طيه السلام) لقومه كما جاء
مصرحا به فى موضع آخر فى قوله تعالى : (لَقَدْ أَرْسَلْنَا
نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي
أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ) (٢) .

(١) الآيتان : ١٠٧ - ١٠٨ الشعراء .

(٢) الآية : ٥٩ الأعراف .

وفى قصة (هود عليه السلام) مع قومه اتضحت معالم

رساله فى تلك الموعظة التى خاطبهم بها فقال :-

(إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ . فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ،
وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْمَالِئِينَ) .

أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيحٍ آيَةً تَعْبَثُونَ ؟ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لِمَلِكُمْ
تَخْلُدُونَ . وَإِنَّا بِطَشْتُمْ بِطَشْتُمْ جِبَارِينَ . فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا
وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ . أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ
وَجَنَاتٍ وَعَيْمُونَ . إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ هَذَا يَوْمَ عَظِيمٍ (١) .

دعاهم الى تقوى الله تعالى ، وطاعته ، وبين لهم زهده

فيما لديهم من عرى الحياة وتطلعه الى ما عند الله تعالى

من الأجر الكريم .

ثم انتقل الى ما هو خافى بهم ، وبتصرفاتهم ، فأنكر عليهم

الترف فى البناء المجرد التباهى بالمقدرة ، واطهار الشراء

وغرورهم بقوتهم ، ومقدرتهم ، وغفلتهم عن الله تعالى .

(١) الآيات : ١٢٤ - ١٣٥ الشعراء .

وفي قصة (صالح) ذات الدعوة بالفاظها (إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ
 أَمِينٌ . فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَوْيَامِكُمْ ، وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِي
 إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ) (١) .

ثم يزيد (عليه السلام) ما هو من شأن القوم خاصة ، وما تقتضيه
 طبيعة الموقف (أَتُرْكُونُ فِيهَا هَاهُنَا آمِينَ ، فِي جَنَاتٍ
 وَعَمِيرُونَ . وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْمًا هَضِيمٌ . وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ
 بُيُوتًا فَارِهِينَ ، فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَوْيَامِكُمْ . وَلَا تَطِيعُوا أَمْسِرَ
 الْمُسْرِفِينَ . الَّذِينَ يَفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يَصْلِحُونَ) (٢) . صور
 لهم المتاع الذي يعمشون فيه وهم في غفلة عنه ، لا يفكرون
 فيمن وهبه لهم ، ولا يتدبرون منشأه ، ولا يشكرون المنعم ،
 وخوفهم سلب هذه النعمة .

(١) الآيات : ١٤٣ - ١٤٥ الشمراء .

(٢) الآيات : ١٤٦ - ١٥٢ الشمراء .

كما يبدأ (لوط عليه السلام) قومه بما بدأ به الأنبياء
السابقون ، أخذ ينكر طغيهم استهتارهم ، ويدعوهم الى الايمان
والطاعة ، ويظلمتهم من ناحية الدنيا وعرضها ، ثم يواجههم
بخطيئتهم المنكرة ، وجريمتهم القبيحة (أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ
مِنَ الْمَالِمِينَ ؟ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ
قَوْمٌ عَادُونَ) (١) .

فكان مطلبه (عليه السلام) من قومه المودة السليمة
الفطرة التي فطر الله تعالى طيبها الخلق من اتيان الأزواج
والإبتعاد عن هذا العمل الشاذ المنكسر .

وفي قصة شعيب ، وهي خاتم القصص في السورة : بدأ
قومه بما بدأ به كل رسول من أصل العقيدة ، والتصفى
عن الأجر ، ثم شرع يخاطبهم بما هو شأنهم :-

(أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْخَسِرِينَ ، وَزِنُوا
بِالْقِسَاطِ الْمُسْتَقِيمِ ، وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْمَسُوا
فِي الْأَرْحَامِ مَفْسِدِينَ) (٢) .

(١) الآيات : ١٦٥ - ١٦٦ الشعراء .

(٢) الآيات : ١٨١ - ١٨٣ الشعراء .

(أمرهم بالاعتدال والقسط في بهمهم وشرائهم لأن العقيدة الصحيحة يتبعها حسن المعاملة ، ولا تستطيع أن تفضى عن الحق في معاملة الناس) (١) .

وهكذا نرى من خلال القصص في السورة الكريمة وضوح مقاصد الأنبياء (عليهم السلام) في دعوتهم لأقوامهم والهدف الذي يريدونه من وراء دعوتهم .

كما تجلت فيها طريقتهم في عرض هذه المطالب ، وهي طريقة واضحة جلية لا لبس فيها ، ولا تعقيد ، ولا تكلف ، ولا تصنع بل هل أبعد الناس عن هذا (فهم دائما يخاطبون الفطرة السليمة ، والعقل المأم ، بأسلوب فطري غير ذي عوج لا يتوقف فهمه على ذكاء نادر ، وطرف فائق ، والمعينة بارعة ، ودراسة واسعة للملوم ، واحاطة بالمصطلحات العلمية ، يفهمه العوام ، كما يتذوقه الخواص ، وينتفع به الجهال كما ينتفع به الملما ، كل على قدر فهمه وطاقته ويطبق حال الأمم التي تميش على فطرتها وسذاجتها ، كما يطابق حال الأمم المتقدمة المثقفة المالية ، ولا يثيرون الأسطة الدقيقة ولا يفترضونها) (٢) .

(١) انظر : الظلال - سيد قطب - ج ٥ ص ٢٦١ ط ٥ الخامسة .

(٢) النبوة والأنبياء أبي الحسن النووي ص ٨١ .

وكما جاء على لسان خاتمتهم (محمد بن عبد الله صلى
الله عليه وسلم - : (قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ
الْمُتَكَلِّفِينَ) (١) . فهو تصوير لحال جميع الأنبياء والمرسلين
السابقين .

الخاصية الثالثة :-

التركيز على عقيدة التوحيد وإخلاص العبادة لله وحدة :-
وهذا أول ما يبدأ به كل رسول وي يدعو إلى تحقيقه فسي
كل زمان ومكان ، فإذا استعرضنا دعوة الرسل في القرآن الكريم
وتأملنا الغاية والهدف من بعثتهم وأرسالهم لوجدنا أنه :-
تصحيح العقيدة في الله تعالى ، وتصحيح الصلة بين
المعباد وخالقهم ، والدعوة إلى إخلاص العبادة لله وحدة .

وكانت حطتهم موجهة ومركزة على تحطيم الوثنية
القائمة في عصورهم من عبادة الأوثان والأصنام ، والبشر

(١) الآية : ٨٦ سورة (ص) .

المقدس من الأحياء ، والأسموات ، الذين كانوا يمتدنون
(أن الله قد خلق عليهم لباس الشوف والتأله وجعلهم
متصرفين في بعض الأمور الخاصة ، ويقبل شفاعتهم فيهم بالاطلاق
بمنزلة ملك الملوك ، يبعث على كل قطر ملكا ، ويظلمه تدبير تلك
المملكة في ماعدا الأمور المظام) (١) .

وقد أشار القرآن الكريم الى هذه الخافية من ارسال
الرسول جملة وتفصيلا جملة في قوله تعالى : (وَمَا أَرْسَلْنَا
مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا
فَاعْبُدُونِ) (٢) .

وفي قوله تعالى : (وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا
أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ) (٣) .

وقوله تعالى : (وَأَسْأَلُ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا
أَجْمَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِلَهَةً يُعْبَدُونَ) (٤) .

(١) النبوة والأنبياء " الندوى " ص ٥٢ نقلا عن الدهلوى فى
حجة الله البالغة .

(٢) الآية : ٢٥ سورة الأنبياء .

(٣) الآية : ٣٦ - النحل .

(٤) الآية : ٤٥ الزمخرف .

وأشار بالتفصيل عند عرض دعوة الأنبياء والرسل السابقين
فبعد تسمية كل نبي يذكر افتتاح دعوته بالدعوة الى التوحيد ،
فقال عن (نوح) عليه السلام .

(لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ . أَنْ
لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ) (١) .

وقال عن (هود) (وَاللِّي هَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ
اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ) (٢) .

وقال عن (صالح) : (وَاللِّي ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ
اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا
فَاسْتَفِرُّوه ثُمَّ تَوَبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ) (٣) .

وقال عن (شعيب) : -

(وَاللِّي نَذِيرٌ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ
مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ وَلَا تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أُرَاكُمْ بِخَيْرٍ
وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مَحِيطٍ) (٤) .

-
- (١) الآياتان : ٢٥-٢٦ من سورة هود .
(٢) الآية : ٥٠ سورة هود .
(٣) الآية : ٦١ سورة هود .
(٤) الآية : ٨٤ سورة هود .

أما (ابراهيم عليه السلام) فدعوته الى توحيد الألوهية
ونبذ الأصنام والاشان أوضح وأصح .

ففي سورة الانبياء : (وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رِشْدَهُ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ) (إِنْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ . قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ . قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ) (١) .

وقال تعالى عنه في هذه السورة وهي سورة (الشمراء) :-

(وَأْتَلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ ؟ قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَّلُ لَهَا عَاكِفِينَ . قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ . أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يُضُرُّونَ . قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ . قَالَ أَفَأَنْتُمْ مَكُنْتُمْ تَعْبُدُونَ . أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ وَالْأَقْدَامُونَ . فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ . الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ، وَالَّذِي هُوَ يُطَمِّسُنِي وَسَقِينِ ، وَإِذَا مَرَضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ، وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ ، وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ) (٢) .

(١) الآيات : ٥١ - ٥٤ سورة الانبياء .

(٢) الآيات : ٦٩ - ٨٢ سورة الشمراء .

وفي سورة المنكوت : (وإبراهيم إذ قال لِقَوْمِهِ اهدوا للهِ
 واتقوه ذلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ، إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللّهِ
 أَشْئَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ
 رِزْقًا فَابْتَغُوا عِنْدَ اللّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) (١) .

وكذلك (يوسف طيه السلام) فقد جاء في القرآن من مواعظته

التي ألقاها في السجن :-

(قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَاتِكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قِيلَ أَنْ
 يَأْتِيكُمَا ذَلِكُمَا مِمَّا عَطَمْتَ يَئِسَ إِتْسَى تَرَكْتَ طِئَةَ قَوْمٍ لَا يُوْءُونَ بِاللّهِ
 وَبِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ .

وَاتَّبَعَتْ طِئَةَ آبَائِي إِبراهيمَ وَأَسْحَاقَ وَبِعْقُوبَ مَا كَانَ لِنَسَا
 أَنْ نُشْرِكَ بِاللّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَلِكُمْ مِنْ فَضْلِ اللّهِ طِينًا وَطَى النَّسَاسِ
 وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّسَاسِ لَا يَشْكُرُونَ .

بِأَصَاحِبِي السَّكِينِ رَبَّابٍ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمْ اللّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ؟
 مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللّهِ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ
 اللّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلّهِ أَمْرًا أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ
 ذَلِكُمْ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّسَاسِ لَا يَعْلَمُونَ) (٢) .

(١) الآية : ٢٥ سورة المنكوت .

(٢) الآيات : ٣٧ - ٤٠ من سورة يوسف .

وقد كانت هذه دعوة موسى لفرعون الذى كان يدعى أنه
(الاله الأكبر) فقال (أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى) . وقال حسين
سمع دعوة (موسى) :-

(يَا أَيُّهَا الْمَلَأَ طَاطَمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي ...) (١) الآية .

وقال يخاطب (موسى) :-

(لَسْنِي اتَّخَذْتُ إِلَهًا غَيْرِي لِأَجْمَلِنَاكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ) (٢) .

(والتوحيد الذى دعت اليه الرسل ونزلت به الكتب

نوعان :-

توحيد فى الاثبات والمعرفة ، وتوحيد فى الطلب

والقصد .

فالأول :-

ممنمممممممممم

هو اثبات حقيقة ذات الرب تعالى ، وصفاته ، وأفعاله ،

وأسمائه ليس كمثل شئ* فى ذلك كله ، كما أخبر به عن نفسه ،

وكما أخبر رسوله صلى الله عليه وسلم ، وقد أفصح القرآن عن هذا

(١) الآية ٣٨ سورة القصص .

(٢) الآية ٢٩ سورة الشعراء .

النوع كل الافصاح كما في أول (الحديد) و (طه) وآخر
(الحشر) وأول (السم) . تزويل ، السجدة ، وأول (آل عمران)
وسورة (الاخلاص) بحالها ، وغير ذلك .

والثاني :-
متممممممممم

وهو توحيد الطلب والقصد مثل ما تضمنته سورة (قل يا أيها
الكافرون) و (قل يا أهل الكتاب تماثلوا إلى كلمة سواء
بيننا وبينكم) وأول سورة (الاعراف) وآخرها ، وجطة سورة
(الأنعام) .

وقالب سور القرآن متضمنة لنوعي التوحيد ، بل كل
سورة في القرآن ، فالقرآن اما خبر عن الله وأسماء وصفاته ،
وهو التوحيد الملقى الخبرى .

واما أمر ونهي والسرّام بطاقتيه ، فذلك من حقوق التوحيد
ومكملاته ، واما خبر عن اكرامه لأهل توحيد ، وما فعل بهم
في الدنيا ، وما بكرمهم به في الآخرة فهو جزاء
توحيد .

واما خبر عن أهل الشرك ، وما فعله بهم في الدنيا من
النكال ، وما يحل بهم في المقسى من المذاب فهو جزاء من
خرج عن حكم التوحيد .

فالقرآن كله في التوحيد ، وحقوقه ، وجزائه ، وفي شأن
الشرك وأهله وجزائه (١) .

وأشار المرحوم سيد قطب الى هذه الحقيقة ، والخاصية
في دعوة الأنبياء ، والمصلحين ، والهدف المنشود من ورائها
بقوله :-

(ان دعوة الله التي حطها (نوح عليه السلام) والرسول
بعده حتى وصلت الى خاتم النبيين محمد - صلى الله عليه
وسلم - فهي دعوة واحدة من عند اله واحد ذات هدف واحد
هو :-

رد البشرية الضالة الى ربها وهدايتها الى طريقه ، وترتيبها
بمنهاجه ، وأن المؤمنين بكل رسالة لأخوة للمؤمنين بسائر

(١) شرح العقيدة الطحاوية : ص ٢٨ .

(١) الآية : ٤٦ سورة المنكوت .
(٢) طريق الدعوة في ظلال القرآن : أحمد فائز ج١ ص ١٤٤ ،
١٤٠١ هـ .

الخاصية الرابعة : التشديد في أمر الآخوه :-

فالأنبياء (عليهم السلام) ركزوا في دعوتهم على أمور الآخرة ، وما يقع فيها من النعيم المقيم ، والمذاب الأليم ، والشقاوة والسعادة ، وما يقع فيها من الفصل بين الخلائق ، والجزاء والحساب ، وهي دائمة ماثلة أمام أعينهم ، وتلجج بذكرها سنتهم ، مما جعلها من النقاط الأساسية في دعوتهم ، والایمان بها جزء من الايمان برسالتهم ، ولا يتحقق الا به .

ف نجد (ابراهيم عليه السلام) يمد أن دعا قومه الى توحيد الله تعالى ، وبين لهم حقيقة توحيد الاثبات والمعرفة ، وتوحيد الطلب والقصد ، لا يغفل ذكر الآخرة فيصورها لقومه وكأنها ماثلة أمام عينه ، ويسأل الله تعالى نعيمها ، والمغفرة من بلائها فيقول :-

(رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَالْحَقِّنِي بِالصَّالِحِينَ . وَأَجْمَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ . وَلَا تَخْزِنِي يَوْمَ يُمَثَّلُونَ . يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ . إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ . وَأَرْسَلْنَا الْجَنَّةَ لِلْمُتَّقِينَ . وَبَرَزَتِ الْجَحِيمُ لِلْفَاطِرِينَ) (١) الآيات .

(١) الآيات : ٨٢ - ٩١ سورة الشعراء .

وينظر اليها (يوسف) (عليه السلام) عزيز مصر ، وقد
 آتاه الله كل ما أراد في هذه الحياة ، وقرت عينه بروية والديه ،
 وجمع شمل أسرته ، وهو صاحب الكلمة النافذة ، والأمر المطاع ،
 ولكن هذا لم يفته عن ذكر الآخرة فيقول شاكر داعيا :-

(رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَطَعَّنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ
 فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّ فِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا
 وَالْحَقِّنِي بِالصَّالِحِينَ) (١) .

وقصد الآخرة والايان بها ، وتحشك ما فيها من النعيم لعباد
 الله المؤمنين ، وما فيها من المذاب والأهوال للكفار العصاة ،
 والاشفاق على الخلق من ذلك هو الحافز الحقيقي السبي
 دعوتهم ونصحتهم ، وهو حافز أقوى وأعظم من الحوافز
 الأخرى التي يرونها في مجتمعاتهم كالفساد والانحلال ،
 والانحراف عن الصراط المستقيم ، كما ذكر القرآن الكريم
 عنهم اشفاقهم على أقوامهم ، وتحذيرهم من أهوال يوم

(١) الآية : ١٠١ سورة يوسف .

القيامة ، فنوح (عليه السلام) وهو أول رسول الى البشرية
يدعوهم الى عبادة الله يقول لقومه :-

(اِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ . اَلَا تَعْبُدُوْا اِلَّا اللّٰهَ اِنِّىْ اَخَافُ
عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ اَلِيْمٍ) (١)

و (هود) عليه السلام يقول لقومه وهم قوم يعبدون

فى رعد ونعيم ، وطلب عيشهم ، وتوسعت لهم الدنيا :-

(وَاتَّقُوا الَّذِىْ اُمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُوْنَ . اُمَدَّكُمْ بِاَنْعَامٍ وَبَنِيْنَ
وَجَنَاتٍ وَمَعِيْنَ . اِنِّىْ اَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيْمٍ) (٢)

وكذلك يخاطب (شعيب) قومه محذرا :-

(اِنِّىْ اُرَاكُمْ بِخَيْرٍ وَاِنِّىْ اَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيْطٍ) (٣)

(وقد تعدت هذه الفكرة بقوة تأثيرهم الى أتباعهم ،

والمؤمنين بهم وتجلى لهم قصور طى الحياة ، وتفاهتها ،

وعظمة الحياة الآخرة ، وخلودها وأنها الجد الذى يجاهد فى

(١) الأيتان : ٢٥-٢٦ سورة هود .

(٢) الأيتان : ١٢٢-١٣٥ سورة الشعراء .

(٣) الأيتان : ٨٣ سورة هود .

سبيله المجاهدون ، ويسمى له الماطون ويتنافس فيه المتنافسون

فقال مؤمن آل فرعون :-

(يَا قَوْمِ إِنَّمَا هِيَ السَّحَابُ الْمُنِيَّةُ الدُّنْيَا وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ . مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِمَّنْ ذَكَرَ وَأُنشِيَ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِخَيْرٍ حِسَابٍ) (١)

وقال سحرة فرعون بمد لحظة من ايمانهم بعيسى ، لمبا

توعدهم فرعون بالمذاب الأليم وتقطيع أيدى بهم وأرجلهم من

خلاف والتصليب في جذوع النخل قالوا :-

(لَنْ نُؤْمِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرْنَا سَاءَ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ، إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِنَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا طَمَعًا مِنَ السِّحْرِ وَاللَّسِّ خَيْرٌ وَأَبْقَى . إِنَّهُ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى . وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى . جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّى) (٢)

(١) الآيات : ٣٩-٤٠ سورة غافر .

(٢) الآيات : ٧٢-٧٦ من سورة طه .

ولم تكن دعوة الأنبياء الى الايمان بالآخرة أو الاشارة
بها كضرورة خلقية أو كحاجة اصلاحية ، لا يقوم بغيرها
مجتمع فاضل ، ومدنية سالحة ، فضلا عن المجتمع الاسلامي .
وهذا وان كان يستحق التقدير والاعجاب ، ولكنه يختلف عن
منهج الأنبياء وسيرتهم ومنهج خلفائهم اختلافا واضحا .

والفرق بينهما :-

أن الأول (منهج الأنبياء) ايمان ووجدان ، وشمس
وعاطفة ، وعقيدة تملك على الانسان مشاعره وتفكيره
وتصرفاته .

والثاني :-

اعتراف وتقدير ، وقانون رسوم . وان الأولين يتكلمون عن
(الآخرة) باندفاع والتذان ، ويدعون اليها بحماسة
وقوة ، وآخرون يتكلمون عنها بقدر الضرورة الخلقية ،
والحاجة الاجتماعية ، ويدافعون من الاصلاح والتنظيم الخلقى ،
وشتان ما بين الوجدان والعاطفة وبين الخضوع للمنطق والمصالح
الاجتماعية (١) .

(١) عن كتاب (النبوة والأنبياء) للندوى بتصريف كبير .

الخاصية الخامسة : المطالبة بالايان بالفيب والتشديد فيه :-

وهذه من سمات وخصائص دعوات الانبياء (عليهم السلام)
المبارزة ، ذلك أنهم يشددون في أمر الايمان بالفيب ، ويطالبون
به ، ويجعلونه شرطاً للهداية والانتفاع بالدين ، وقد أشار القرآن
الكريم الى هذا فقال :-

(الم . ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ، الَّذِينَ
يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ) . وَالَّذِينَ
يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ
يُوقِنُونَ . أُولَئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُصْلِحُونَ (١)

(وقد زخرت الكتب السماوية ، وزخر القرآن الكريم بمجائب
صنع الله تعالى ، وبالمعجزات والخوارق التي لا يصدقها ولا
يسبقها ولا يحتطها الا الايمان بالفيب ، الايمان بقدره الله
المطلقة . وشبهته القاهرة ، والاعتماد الكامل على صحة هذه
الكتب ، وصدق الرسل الذين نزلت عليهم وأخبروا بها ، وأما
الايمان الذي لم يتم الا على الحس والتجربة ، والمألوف من

الحوادث ، ومطابقة المقل الظاهر والعلم المدون في الكتب
فانه اما أن يوفى أن يقبله ويصدق به ، أو . . . ويتلجلج
في قبوله والتصديق به ، أو يؤوله تأويلا يتفق مع ما ألفه
ولذلك قال :-

(بَلْ أَوَارَكُ عَصَمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْهَا بَلْ هُمْ
مِنْهَا عَمُونَ) . (٤٦)

وقد ذكر القرآن من صفات الله تعالى وأفعاله ما لا يقبل
ولا يصدق الا بالايان بالغيب ، ومن الوقائع والحوادث والآء
الله وأيامه ، وأخبار الرسل وما أجرى عليهم أيديهم صن
المعجزات ، وما أظهر لهم من الآيات ، ما لا يطيقه ولا يسيفه
الا الايمان بالغيب ، وما لا يقبل التمليل المظلي ، ولا التطبيق
بنواميس الطبيعة الا بتكلف شديد مضحك ، وخروج على قوانين
اللغة العربية وجراءة على الله ، وتجن على اللغة وأبدائها
ووقاحة شديدة ، كانفلاق البحر لموسى وقومه ، وانفجار اثنتي
عشرة عينا من الحجر بضرب موسى ، وارتفاع الجبل كالظلة على
طائفة من بني اسرائيل ، وحياتها بعد موتها ، ومسح فرق
منهم قردة خاسئين ، وحياة المقتول الذي جهل قاتله بضرب

جزء من البقرة المذبوحة ، وتحول النار بردا وسلاما طسى
 ابراهيم ، ومنطق الطير الذى طمه سليمان ، وفهمه لحدِيث
 النمل ، ومطاوعته الرياح له ، وسيرهما به غدوها شهر
 ورواحها شهر ، وانتقال عرش ملكة سبأ فى طرفة عين وقصة
 ندى النون ، وخروجه من بطن الحوت ، وولادة عيسى الخارقصة
 للمادة وهلاك أصحاب الفيل بحجارة من سجيل ، واسراء
 الرسول من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى ومنه السبي
 السماء ، الى غير ذلك مما زخر به القرآن والصحف السماوية ،
 ولا يقبله الا الايمان بالغيب ، الايمان الذى آمن بالله الذى
 وسمت قدرته كل شيء) .

(... ذلك لأن الايمان الذى يقوم على الحس والتجربة ، ويسير
 مع المصروف والمأسوف ويتقيد بالسنن الكونية ، والنواميس
 الطبيعية ، والحوادث التاريخية ، ويلجأ دائما الى شهادة
 العقل ، والحواس الخمسة ، وقوانين العلوم الرياضية والمحسوسات
 إنما هو ايمان مقيد مفلول ، وايمان محدود مشروط ، لا يصلح
 للاعتماد ولا يسائر الأديان ، ولا يتفق مع دعوة الأنبياء ، وما
 يطلبونه من تصديق مطلق ، وثقة دائمة ، وسرعة فى الانقياد

والطاعة ، وتغان في الجهاد والتضحية ، ولا يصلح في الحقيقة
لأن يسي ايماننا ، انما هو علم وتطبيق وخضوع للمنطق ،
وطاعة للحواس والتجارب ولا فضل فيه ، ولا يختص بالدين ، فكل
عقل يؤمن في حياته بتجارب ونتائج استقراءه ، وما تؤمى
اليه حواسه ويرشد اليه عقله .

وصاحب هذا الايمان (الطبيعي) في عناء وسلا مع الكتب
السماوية ، والأديان الالهية ، وفي صراع دائم مع روح
الديانات ومطالبها . . . وهو اما يلجأ الى التحريف أو التأويل ،
واما يضطر الى الانكار والالحاد ، بناء على الفجوة الواسعة
بين العلم الجديد والحقائق التي جاءت بها الرسل ، ونطقت
بها الكتب وبين ما آمن به من المحسوسات والماديات والأصول
التي هي منبئة على استقراء محدود^(١) . فقال تعالى :-

(بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعَلَمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ)^(٢)

(١) النبوة والأنبياء ص ٧١ وما بعدها بتصريف.

(٢) الآية : ٣٩ سورة يونس .

وفي هذا يقول العلامة ابن خلدون :-

(ولا تثقن بما يزعم لك الفكر من أنه مقدر على الاحاطة
 بالكائنات وأسبابها ، والوقوف على تفصيل الوجود كلها وسفه
 رأيه في ذلك ، واعلم أن الوجود عند كل مدرك في هادي رأيه
 منحصر في مداركه لا يحدوها ، والأمر في نفسه بخلاف ذلك ،
 والحق من ورائه ، ألا توى الأعم كيف ينحصر الوجود عنده
 في المحسوسات الأربع المعقولات ، ويسقط من الوجود
 عنده صنف السموات ، وكذلك الأعلى أيضا يسقط عنده صنف
 المراتب ، ولو لا ما يوردهم الى ذلك تطييد الآباء والشيخة
 من أهل عصرهم والكافة لما أقروا به ، لكنهم يتعمون الكافة
 في اثبات هذه الأصناف لا بمقتضى فطرتهم وطبيعة ادراكهم ، ولو
 سئل الحيوان الأعجم ونطق لوجدناه منكرا للمعقولات وساقطة
 لديه بالكلية ، فاذا طمت هذا ظملي هناك ضربا من الادراك
 غير مدركاتنا لأن ادراكاتنا مخلوقة محدثة ، وخلق الله
 أكبر من خلق الناس ، والحصر مجهول والوجود أوسع
 نطاقا من ذلك والله من ورائهم محيط .

فاتهم ادراكك ومداركاتك في الحصر ، واتبع ما أمرك
الشارع به من اعتقادك وعملك ، فهو أحصر على سمادتك
وأعلم بما ينفعك ، لأنه من طور فوق ادراكك ، ومن نطاق
أوسع من نطاق عقلك ، وليس ذلك بقادح في العقل
وادراكه ، بل العقل ميزان صحيح ، فأحكامه يقينية
لا كذب فيها غير أنك لا تطمع أن تنز به أمور التوحيد
والآخرة ، وحقيقة النبوة ، وحقائق الصفات الألهمية ،
وكل ما وراء طوره ، فان ذلك طمع في محال ، ومثال ذلك
شال رجل رأى الميزان الذى يوزن به الذهب ، فطمع
أن يزد به الجبال وهذا لا يدرك على أن الميزان فى
أحكامه غير صادق ، لكن العقل قد يقف عنده ولا يتمدى
طوره ، حتى يكون له أن يحيط بالله وصفاته ، فانه ذرة من
ذرات الوجود الحاصل منه (١) .

(١) مقدمة ابن خلدون - ص ٣٢٢ ، ص ٣٢٣ - علم الكلام .

الباب الثالث

(تمهيد الباب)

تشكل خاتمة السورة الكريمة تمقيبا على ماورد في مقدمتها
وفي أوسطها يؤكد أن القرآن هو ومنه القصص الذي مضت به
القرون - تنزيل من رب العالمين ثم يشرع السياق في اقامة
الدلائل على صدق القرآن وصحة تنزيله ، وصدق نبوة
- محمد صلى الله عليه وسلم - ورد الشبه التي أثارها المشركون
للطمس في القرآن الكريم كقولهم أنه شعر ، وكهانة ، وأن
الشياطين تنزل به .

كما جاء في هذا التمقيب الأمور بالخصي في الرسالة ، والتبليغ ،
والانذار :-

(وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ) .

والتواضع واللين والرفق بأهل الايمان (وَأَخْفِضْ
جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ) .

والأعرابي عن المشركين :- (فَإِنْ صَوَّكَ فَقُلْ إِنِّي بَشَرٌ
مِمَّا تَمْطُونِ) .

والتوكل على الله تعالى في كل الأمور :-

(وَتَوَكَّلْ عَلَى الْمُنِيزِ الرَّحِيمِ الَّذِي بَرَكَ حِينَ تَقُومُ . وَتَقْبُكُ
فِي السَّاجِدِينَ . إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ) .

وقبل هذا كله النهي عن الشرك بالله والوحدانية الشديدة السذني

صاحبه :-

(فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمَعذُوبِينَ) .
وأخيرا التحذير من الظلم وعاقبته (وَسَيُهْلِكُ الَّذِينَ
ظَلَمُوا أَي مَنْظِبٍ يَنْظَبُونَ) (١) .

ويوضح لنا من خلال هذه الخاتمة (التمقيب) وحدة

الموضوع ، ووحدة الهدف في هذه السورة الكريمة ، الموضوع : معالجة
تكذيب المشركين له - صلى الله عليه وسلم - ، وما نتج عنه من
الاستهزاء ، والتنكيل ، ومحاولة منهم لعاقة الدعوة ، وصدد
الخلق عن اتباعها .

أما الهدف :-

فهو البحث على الضمى في الدعوة ، وتبليغها للناس وإقامة
الحجة عليهم ، والصبر والاعراض عن أذى المشركين وتكذيبهم ،

(١) انظر الآيات : ١٩٢ الى نهاية السورة .

وأنهم :-

(لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ . فَيَأْتِيهِمْ
بِفِتْنَةٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ . فَيَقُولُوا هَلْ نَحْنُ مُنظَرُونَ . أَفَمِذَابِنَا
يَسْتَمْجِلُونَ . أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا
يُوعَدُونَ . مَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْتُمُونَ . وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَوْمٍ
إِلَّا لَهَا مُنْذِرُونَ . ذِكْرَىٰ وَمَا كُنَّا ظَالِمِينَ) (١)

وهذا الباب محاولة لظهار ما تضمنته خاتمة السورة من

أدلة ، وبراهين ، وحقائق ، وتوجيهات ربانية ما يفيسد

الدعاة الى الله تعالى ، السائرين على هدى أنبيائه ورسوله

الكوام لهداية الخلق وارشادهم الى الصراط المستقيم (صراط

اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ) (٢)

(١) سورة الشعراء : الآيات ٢٠١ - ٢٠٩ .

(٢) سورة الشورى : الآية ٥٣ .

الفصل الأول

دلائل صدق القرآن

ونبوة محمد (صلى الله عليه وسلم)

قال تعالى : (وَأَنَّهُ لَنَزَّلَهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ . نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ
الْأَمِينُ . عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ . بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ .
وَأَنَّهُ لَفِي زُجُرِ الْأُولَى . أُولَئِكَ يَكُنْ لَهُمْ آيَةٌ أَن يَكَلِّمَهُ
عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ) (١) .

وقال تعالى : (وَمَا نَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ . وَمَا يَنْفِخُ لَهُمْ
وَمَا يَسْتَفِيهُونَ . إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمْعَزُولُونَ) (٢) .

وقال تعالى : (هَلْ أَنْبَأَكُمْ عَلَىٰ مِنْ نَزَّلَ الشَّيَاطِينَ . نَزَّلَ
عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ . يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْتَرَهُمْ كَاذِبُونَ . وَالشَّمْرَاءُ
يَتَّبِعُهُمُ الْفَاوُونَ . أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ . وَأَنَّهُمْ
يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ) (٣) .

(١) الآيات : ١٩٢ - ١٩٧ من السورة .

(٢) الآيات : ٢١٠ - ٢١٢ من السورة .

(٣) الآيات : ٢٢١ - ٢٢٦ من السورة .

هذه الآيات الكريمة من خاتمة السورة ، فيها التأكيد
على أن القرآن الكريم تنزله من رب العالمين ، نزل به (جبريل)
وهو أمين على ما نزل به ، حفيظ عليه ، نزل به على قلب محمد
- صلى الله عليه وسلم - ، فلقاه تلقيا مباشرا ليكون مسن
المنذرين .

وقد ورد في الآيات الأولى دليلان :-

الأول منهما دليل ذاتي ، والآخر دليل خارجي .

أما الدليل الذاتي :-
~~~~~

فهو : كون هذا القرآن نزل بلسان عربي مبين ،  
وهو لسان القوم الذين يدعوهم به واليه ، وهم يعرفون  
مدى ما يستطيع أن يلفه البشر من الفصاحة والبيان في  
أطوار لغتهم ، ويتركون أن نظم هذا القرآن ، ومعانيه ،  
ومنهجه ، وتناسقه يدل على أنه من مصدر غير البشر يقينا .

يقول الامام المفسر ابن عطية الاندلسي - رحمه الله - في

مقدمة تفسيره في بيان أوجه الإعجاز في القرآن :-

---

( ان الله تعالى قد أحاط بكل شيء عطا ، وأحاط  
بالكلاء ، كه عطا ، فاذا ترتبت اللفظة من القرآن ، علم  
بأحاطته أى لفظة تصلح أن تلي الأولى ، وتبين المعنى  
بعد المعنى ، ثم كذلك من أول القرآن الى آخره .

والعشر يمهم الجبل ، والنسيان ، والذهول ، ومعلوم  
ضرورة أن بشرا لم يكن قط معيظا .

فهذا جاء نظم القرآن فى الغاية القصوى من الفصاحة ،  
وهذا النظر يبطل قول من قال :-

( ان العرب من قدرتها أن تأتي بحثل القرآن ، فلما جاء  
محمد - صلى الله عليه وسلم - صرفوا عن ذلك ، وعجزوا عنه .

والصحيح :-

أن الاتيان بحثل القرآن لم يكن قط فى قدرة أحد من  
المخلوقين ، ويظهر لك قصور البشر فى أن الفصيح منهم  
يصنع خطبة ، أو قصيدة يستغرف فيها جهده ، ثم لا يزال  
ينقحها حولا كاملا ، ثم تعطى لآخر نظيره ، فيأخذها

---

بقريحة <sup>(١)</sup> جامّة ، فيمدل فيها وينفخ ، ثم لاتزال كذلك  
فيها مواضع للنظر ، والبدال ، وكتاب الله لو نزلت منه لفظة ،  
ثم أدبر لسان العرب في أن يوجد أحسن منها لم يوجد .

ونحن تبين لنا البراعة في أكثره ، ويخفى علينا وجهها  
في مواضع ، لقصورنا من مرتبة العرب يومئذ في سلامة الذوق ،  
وجودة القريحة ، وفير الكلام <sup>(٢)</sup> .

ومن أبرز شهادات الكفار على فصاحة القرآن ، وبلاغته  
ما جاء على لسان أحد زعمائهم ( الوليد بن المغيرة ) لما  
اجتمعوا اليه ليقول في القرآن ما يمنع الناس من تصديقه  
فقالوا :-

تقول شاعر ! ، قال : ما هو بشاعر ، لقد عرفنا الشمر  
كله ، رجزه ، وهجزه ، وقريضه ، ومقبوضه ، ومبسوطه ، فما هو

---

( ١ ) جاء في النهاية لابن الأثير في حديث الحد يميصة  
( والا فقد جمسوا رأى واستراحوا وكثروا ، فمعناه هنا  
قريحة ستريحة ) .

( ٢ ) تفسير ابن عطية ج ١ - ص ٣٩ ط . الثانية ١٣٩٥ هـ

بالشعر قالوا : - فنقول ساحر ! قال : ما هو بساحر ،  
لقد رأينا السحار وسحرهم ، فما هو بنفثهم ، ولا عقدهم .

قالوا : فما تقول يا أبا عبد شمس ؟ قال : والله ان لقوله  
لحلاوة ، وان أصله لمذق<sup>(١)</sup> ، وان فرعه لجناة ، وما أنتم  
بقاتلين شيئا من هذا الا عرف أنه باطل .

وفى رواية :-

(وفوالله ما منكم أطعم بالأسفار منى ، ولا أطعم بمرجزه ، ولا  
بقصيده ، ولا بأشعار الجن ، والله ما يشبه الذى يقوله  
شيئا من هذا .

والله ان لقوله الذى يقول لحلاوة ، وان له ليحطم ماتحته ، وان  
ليعملو وما يعملى عليه<sup>(٢)</sup> .

ومع هذا فقد وقف الكبر والمناد ، حاجزا دونه عن الايمان ،  
فجحد الحقيقة ونطق غيرها قائلا : ( إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْتَرُ . إِنْ  
هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ )<sup>(٣)</sup> .

---

( ١ ) المذق - بالفتح النخلة التى ثبت أصلها وقوى وطاب فرعها ،  
شبهه بها .

( ٢ ) السيرة النبوية - لابن هشام - ج ١ ص ٢٧١ .

( ٣ ) سورة المدثر : الآيه ٢٤ : ٢٥ .

وقد كان لفصاحة القرآن ، وفصاحة المرسل به - صلى الله عليه وسلم - أثر كبير في الدعوة الى الله تعالى ، واستجابة الصوب اليها ، كما في قصة ( ضام الأزدى ) مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ورواها ( ابن كثير ) - رحمه الله - في السيرة قال :-

( روى مسلم ، والبيهقي من حديث داود بن أبي هند ، عن عمرو بن سعيد ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال :-

( قدم ضام مكة ، وهو رجل من ( أزد شنوه ) ، وكان يرقى من هذه الرياح ، فسمع سفهاً مكة يقولون ان محمداً مجنون فقال :-

أين هذا الرجل لعل الله أن يشفيه على يدي ؟ .  
قال : ( فلقيت محمداً فقلت :- إني أرقى من هـذـه الرياح ، وإن الله يشفي على يدي من شاء فهلسم ! ) .

فقال محمد : ( إن الحمد لله نحمده ونستعينه من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا اله الا

---

الله وحده لا شريك له ، ثلاث صوات ) .

فقال : والله لقد سمعت قول الكهنة ، وقول السحرة ، وقول  
الشمراء ، فما سمعت مثل هذه الكلمات ، فهل يدك أبايعك طي  
الاسلام .

فبايعه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال له :

( وطي قومك ) ؟ فقال : وطي قومي ) .

وفي رواية : ( فقال له ضام : أعد طي كلماتك هو لا .

فلقد بلغن قاموس البحر ) (١) .

ولم يعثر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وفي الأرض قبيلة  
من العرب تعلن الكفر ، وقامت الحجة على العالم بالمرسوم ،  
اذ كانوا أرباب الفصاحة ، وفطنة المعارضة كما قامت  
الحجة في معجزة عيسى بالطب ، وفي معجزة موسى بالسحرة ،  
فان الله تعالى جعل معجزة أنبيائه من الوجه الشهيد في زمن  
النبي ، فكان السحر في مدة موسى قد بلغ غايته ، وكذلك الطب  
في زمن عيسى ، والفصاحة في زمن محمد - صلى الله عليه وسلم - . (٢)

(١) قاموس البحر : أهدم موضع فيه غورا .

السيرة النبوية - الحافظ ابن كثير - ج ١ ص ٤٥٢ .

(٢) انظر - تفسير ابن عطية - ج ١ ص ٣٩ .

وأما الدليل الخارجي في الآيات :-

فهو - كون هذا القرآن العظيم ، والتنويه به ، مذكورا  
في كتب السابقين ، المشهورة عن أنبيائهم الذين بشروا به ،  
وهذا ما أشارت إليه الآيات في قوله تعالى :-

( وَإِنَّ لِنَفْسٍ لَّزُكْرٍ الْأُولِينَ . أُولَئِكَ يَكْنُ لَهُمْ آيَةٌ أَنْ يَعْلَمَهُ  
عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ ؟ ) ( ١ )

كما وردت صفة الرسول الذي ينزل عليه ، وأصول العقيدة  
التي جاء بها ، ومن ثم كان ظما بنى اسرا ئيل ينتظرون هذه  
الرسالة ، وهذا الرسول ، ويحسون باقتراب زمنه ، ويوصى  
بعضهم بعضا باتباعه ، كما ورد في خبر سلطان الفارسي  
- رضي الله عنه - وفيه :-

( . . . . . فلما مات لحقت بصاحب ( عموره ) فأخبرته  
خبري فقال : أقم عندي ، فأقمت عند خير رجل طي هدى أصحابه  
وأمرهم . . . . . الى أن قال : ( ثم نزل به أمر الله تعالى ، فلما  
حضر ظتله : يا فلان إني كنت مع فلان ، فأوصى به الى فلان ،  
ثم أوصى به فلان الى فلان ، ثم أوصى به فلان اليك ، فالى من

( ١ ) الشعراء : ١٩٧ .

توصى بي ؟ وبم تأمروني ؟ .

قال : اي نبي ، والله ما أطمسه أصبح اليوم أحد على مثل ما كنا عليه من الناس آمرك به أن تأتيه ، ولكنه قد أظل زمان نبي ، وهو مصوت بد بين ابراهيم ( عليه السلام ) يخرج بأرض الصوب ، مهاجرة الى أرض بين جرتين ، بينهما نخل به علامات لا تخفى ، يأكل الهدية ، ولا يأكل الصدقة ، وبين كنفه خاتم النبوة ، فان استطعت أن تلحق بتلك البلاد فافعل ( ١ ) .

ومن ذلك خبر ( ابن الهيثم ) . قال ابن هشام - رحمه الله :-

قال ابن اسحاق : - وحدثني عاصم بن عمرو بن قتادة عن شيخ من بني قريظة قال له :-

هل تدري عم كان اسلام ثعلبة بن سميد ، وأسيد بن سمبة ، وأسد بن عبيد - نفر من بني هديل اخوة بني قريظة كانوا مع في جاهليتهم ، ثم كانوا سادتهم في الاسلام ؟ .

قال : قلت : لا والله .

قال : فان رجلا من يهود من أهل الشام ، يقال له :

( ابن الهيثم ) قدم علينا قبل الاسلام بسنين ، فحل بين أظهرنا

( ١ ) السيرة النبوية لابن هشام ج ١ ص ٢١٧ .



فلا والله ما رأينا رجلا قط لا يصل الخصر أفضل منه ، فأقسام  
عندنا ، فكنا اذا قحط عنا المطر قلنا له : - أخرج يا ابن الهيوان  
فاستسق لنا .

فيقول : لا والله حتى تكف صوا بين يدي مفرجكم صدقة ،  
فنقول له : كم ؟ فيقول : صا من تمر ، أو مدين من شمير .  
قال : فخرجها ، ثم يخرج بنا الى ظاهر حرتنا فيستسقى  
الله لنا ، فوالله ما يرح صله حتى يهر السحاب ، ونسقى ، قد  
فعل ذلك غير مرة ، ولا مرتين ، ولا ثلاث .

قال : ثم حضرته الوفاة عندنا ، فلما عرف أنه ميت قال :  
يا معشر يهود ، ماترونه أخرجني من أرض الخمر والخمر السى  
أرض البؤس والجوع ؟ .

قال : قلنا انك أطم .

قال : فانى انما قدمت هذه البلدة أتوكف<sup>(١)</sup> خروج

نبي قد أطل زمانه ، وهذه البلدة مهاجرة ، فكنت أرجو أن  
يبحث فأتبعه ، وقد أظلم زمانه ، فلا تسبقن إليه يا معشر يهود ،

---

( ١ ) أتوكف : انتظر .

فانه يبعث بسفك الدماء ، وسبى الذراري ، والنساء من خالفه ،  
فلا يمنعكم ذلك منه (١) .

والأخبار بحثل هذا كثيرة ، وثابتة عن عبدالله بن سلام ،  
وفي حديث سلمه عن اليهودى الذى أنذر بالنبي - صلى الله  
عليه وسلم - وقصة المشركين مع أهباء يهود التى تقدم ذكرها (٢) .

ثم بينت الآيات التالية أن الذى يقصد بهؤلاء الشركسين  
عن الايمان انما هو المناد ، والمكابرة لاضف الحجة وقصور الدليل  
بحيث أن هذا القرآن لو نزل على أعجمي لا يعرف العربية ،  
ولا ينطق بها ، ففلا عليهم قرآنا عربيا فصيحا لما آمنوا به  
ولا صدقوا ، ذلك أن التكذيب مكتوب عليهم ، وملازم لهم بحكم  
عنادهم ، وكفرهم ، فهكذا قسى عليهم أن لا يؤمنوا به حتى  
يأتهم العذاب وهم فى غفلة لا يشعرون .

( كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ . لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ حَتَّى يَأْتِيَ  
الْعَذَابَ الْأَلِيمَ . فَيَأْتِيهِمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ) (٣) .

(١) سيرة ابن هشام ج ١ ص ٢١٣ - ٢١٤ .

(٢) انظر المرجع السابق .

(٣) الشعراء : ٢٠١ - ٢٠٢ .

- دحض شبهة المشركين -

### حول القرآن الكريم

وذلك بعد قيام الأدلة البينة الواضحة على صدق القرآن ، وصحة تلقيه ، إذ أن المشركين لما عجزوا عن تبرير موقفهم من القرآن بعد قيام الحجج عليهم بفصاحته ، وبلاغته ، تفقت أذهانهم عن تخوض جديد ( فقالوا : - لم لا يجوز أن يقال : ان الشياطين تنزل بالقرآن على محمد كما تنزل بالكهانة على الكهان ؟ ) (١) .

فكان الجواب على هذه الشبهة - كما تضمنته الآيات -

من عدة وجوه :-

الأول : أن هذا القرآن يدعو الى الهدى ، والاصلاح ، والاستقامة ، والشياطين ، تدعو الى الضلال ، والافساد ، والكفر ، فما ينهى لهم ، ولا يليق بهم ، أن ينزلوا بالقرآن ، لكونه هميدا عن طبيعتهم ولمخالفته لما جهلت عليه الشياطين من الشر والافساد .

(١) تفسير الرازي ج ٢٤ ص ١٢٥ .

الثاني : أنهم لا يستطيعون ذلك ، وليس في مقدورهم ، ذلك

أن الله تعالى حجب عنهم الاستراق بعد بعثته

محمد - صلى الله عليه وسلم - كما أخبر بذلك سبحانه

وتعالى في قوله : ( إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمْعَزُولُونَ ) ( ١ ) .

وقوله تعالى حكاية عنهم : ( وَأَنَا كُنَّا نَقَمُدُ

مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْمَعِ الْآنَ يَجِدْ لَهَا شِهَابًا  
رُصْدًا ) ( ٢ ) .

وقد وردت الأخبار بهذا النزع عن كهان العرب

من أسلم منهم . ( ٣ )

الوجه الثالث : ما أخبر عنه - جل شأنه - من أحوال الذين

تنزل عليهم الشياطين ، وصفاتهم ، وهي - الأفك - أي

- الكذب ، والدجل ، والاثم ، فقال تعالى : ( هَلْ

أَنْتُمْ عَلَىٰ مِنْ تَنْزَلُ الشَّيَاطِينِ ؟ تَنْزَلُ عَلَىٰ كُفُلٍ

أَفَّاكٍ أَثِيمٍ . يَلْقَوْنَ السَّمْعَ وَآكُرُهُمْ كَأَنْ يَوْنُ ) ( ٤ ) .

( ١ ) الشمراء : ٢١٢ .

( ٢ ) سورة الجن : الآية ( ٩ ) .

( ٣ ) كما ورد في قصة عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - مع سواد  
ابن قارب وغيرها ، وقد ذكرها ابن هشام في سيرته  
ج ١ ص ٢٠٧ وما بعدها .

( ٤ ) الشمراء : ٢٢١ - ٢٢٣ .

فهذه الصفات الرديئة لمن تنزل عليهم الشياطين  
مخالفة كل المخالفة لحال النبي - صلى الله عليه وسلم - وما  
عنده فيه الناس من خصال حميدة ، وأخلاق فاضلة كالصدق  
، والاستقامة ، والأمانة .

وبهذه الأوجه الثلاثة المذكورة في الآيات من خاتمة  
السورة الكريمة ، ظهر بطلان هذه الشبهة التي أثارها  
الشركون حول القرآن ، وصحة تلقيه .

---

- الفرق بين منهج -

القرآن ، والنبوة ، ومنهج الشمراء

الآيات التالية من خاتمة السورة الكريمة تبين أن منهج القرآن ، ومنهج محمد - صلى الله عليه وسلم - مغايران تماما لمنهج الشمراء ، المبني في أساسه على الكذب والأهواء والانفعالات المتطلبه .

قال تعالى : ( وَالشُّمْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْفَأْوُونَ الْمَثَرَاتِ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ . وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ) ( ١ )

بين - تعالى - أن الشمراء يتتبعهم ( الفأوون ) وهم الضالون ، من شياطين الجن ، والانس ، ثم بين تعالى تلك الفوايسة بأمرين ( ٢ ) :-

الأول : ( أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ) ، وذلك أنهم يمدحون الشئ بمد أن ذموه ، وبالمكس ، وقد يمدحونه بمد أن استحقوه ، وبالمكس ، وهذا يدل على الضباع وأنهم لا يطلبون بشمرهم المسق ،

( ١ ) الشمراء : ٢٢٤ - ٢٢٦ .

( ٢ ) انظر - تفسير الرازي ج ٢٤ ص ١٧٥ ط . الاولى .

ولا الصدق ، وانما تتحكم فيهم الأهواء والأغراض  
والانفعالات ، لأن مشاعرهم هي التي تتحكم فيهم ،  
وتقودهم الى التعبير عنها اضافة الى : ( أنهم  
يخلقون عوالم من الوهم يعيشون فيها ، ويتخيلون  
أفعالا ونتائج ، ثم يخالونها حقيقة واقعة يتأثرون  
بها ، فيقل اهتمامهم بواقع الأشياء ، لأنهم يخلقون  
هم واقعا آخر يعيشون عليه )<sup>(١)</sup> .

الأمر الثاني : ( أنهم يقولون مالا يفعلون ) وهذا أيضا من  
علامات الغواية ( فانهم يرغبون في الجود ، ويرغبون  
عنه ، وينفرون عن البخل ، ويصرون عليه ، ويقدحون  
في الناس بأدنى شعور صدر عن أسلافهم ، وذلك  
يدل على الغواية ، والضلالة )<sup>(٢)</sup> .

وهذا الأمران المذكوران في الآيات مخالفان لحال النبي  
- صلى الله عليه وسلم - والقرآن ، حيث أنهما يسيران في  
نهج واضح ، ويدعوان لغاية محددة ، ويسيران في طريق  
مستقيم ، لا يتبدل ، ولا تؤثر فيه عاطفة ، أو هوى ، وهو

( ١ ) الظلال - سيد قطب - ج ٥ ص ٢٦٢١ ط. الخاصة .

( ٢ ) تفسير الرازي ج ٢٤ ص ١٧٦ .

طريق الدعوة الى الله تعالى ، والترغيب في الآخرة ، والاعراض  
 عن الدنيا ، كما أنه طريق أتباعه من المؤمنين ، الذين نافحوا  
 عن عقيدتهم بالسنتهم كما دافعوا عنها بسيفهم ، وانتصروا  
 من بعد ما ظلموا بالتجني طيبهم من شعراء الشركين وهم الذين  
 استثنيتهم الآيات من هذه الأوصاف الذميمة ، فقال تعالى :-

( إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ  
 مَا ظَلَمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ) ( ١ )



## الفصل الثاني

- الفصل الثاني -

الأمر بالجهر بالدعوة  
والأعراض عن الكذابين  
=====

- الأمر بالجهر -

بالدعوة والاعراض عن المكذبيين

مراحل الدعوة في الفترة المكية :-  
~~~~~

مرت الدعوة الى الاسلام في مكة قبل الهجرة بمرحلتين :-

المرحلة الاولى :-
~~~~~

الدعوة سرا ، واستمرت هذه المرحلة ثلاث سنوات ، أخذ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يدعو الناس فيها الى عبادة الله وحده ، ونهذ الأصنام ، وكان يدعو الى ذلك سـمرا حذرا من وقع المفاجأة على قريش ، التي كانت غارة فسى الشرك والوثنية متعصبة لهما .

فلم يكن - عليه السلام - يجهر بدعوته في المجالس العامة ، ولم يكن يدعو الا من كانت تشده اليه صلة القرابة ، أو المعرفة السابقة .

فكان من أوائل الذين استجابوا لدعوته ، ودخلوا فسى

الاسلام من هؤلاء :-

---

خديجة بنت خويلد - رضي الله عنها ، وطي بن أبي طالب ،  
 وزيد بن حارثة ، وأبوبكر بن أبي قحافة ، وعثمان بن عفان ،  
 والزبير بن العوام ، وعبد الرحمن بن عوف ، وسعد بن أبي وقاص...  
 وغيرهم ، رضي الله عن الجميع .

فكان النبي - صلى الله عليه وسلم - يلتقي بهم سرا ، ويوشدهم  
 الى تعاليم الدين الحنيف ولما زاد عدد الذين دخلوا في  
 الاسلام على ثلاثين رجلا وامرأة ، اختار لهم رسول الله  
 - صلى الله عليه وسلم - دار أحدهم ، وهو ( الأرقم بن  
 أبي الأرقم ) ليلتقي بهم فيها للارشاد والتعليم ، وكانت  
 حافلة الدعوة في هذه الفترة ما يقارب الأربعين رجلا وامرأة  
 دخلوا في الاسلام ، وعاشهم من الفقراء والضعفاء .

( ولا ريب أن تكتم النبي - صلى الله عليه وسلم - في  
 دعوته خلال هذه السنوات الأولى لم يكن بسبب الخوف على  
 نفسه ، إذ أنه لما كلف بالدعوة ونزل عليه قوله تعالى :-  
 ( يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ . قُمْ فَأَنذِرْ . . . . ) الآيات . تيقن  
 أنه رسول الله الى الناس ، وأن الله الذي بعثه وكلفه بهذه

الدعوة قادر على أن يحميه ، ويقبضه أذى الناس ، وأنه تعالى لو أمره من أول يوم أن يجهر بالدعوة ويصدع بها لما توانى عن ذلك ، مهبط بلغت النتيجة المترتبة عليه .

ولكن الله تعالى ألهمه ، والالهام للرسول تنوع من الوحي أن يبدأ الدعوة في أول أمرها بسرية ، وأن لا يواجه بها إلا من يفسد على ظنسه أنه يؤمن بها ، تملئها للدعاة من يمدده ، وارشاداً لهم إلى مشروعية الأخذ بالأحسوط ، والاسباب الظاهرة ، ومراعاة الظروف في المجتمع ، وما يقره التفكير السليم من الوسائل التي يتخفى أن تتخذ من أجل الوصول إلى غايات الدعوة وأهدافها .

على أن لا يتغلب ذلك على الاعتماد والانتكال على الله وحده . وعلى أن يذهب الانسان في التمسك بهـذـه الأسباب مذهباً يعطيها معنى التأثير والفاطمية في تصورهِ وتفكيرهِ ، لأن هذا يتنافى مع أصل الايمان بالله ، ومسح طبيعة الدعوة الاسلامية .

ومن هنا - ندرك أن أسلوب دعوته - عليه السلام - فسى  
هذه الفترة كان من قبيل السياسة الشرعية بوصفه اماما ، وليس  
من أعماله التبليغيه عن الله تعالى بوصفه نبيا (١) .

وبناء على ذلك فإنه يجوز لأصحاب الدعوة الى الله فى كل عصر  
أن يستمطوا المرونة فى كيفية الدعوة ، من حيث التكتيم ،  
والجهر ، أو اللين والقوة حسبما تقتضيه الظروف ، وحال  
المصر الذى تميشون فيه .

وهي مرونة حددتها الشريعة الاسلامية اعتمادا على  
واقع سيرته - صلى الله عليه وسلم - على أن يكون النظر فى  
كل ذلك الى مصلحة المسلمين ومصلحة الدعوة الى  
الاسلام .

وأجمع جمهور الفقهاء على أن المسلمين اذا كانوا من قلة  
المدد ، أو ضعف الصدة بحيث يغلب على الظن أنهم  
سيقتلون من غير أى نكايه فى أعدائهم ، ان ما أجمعوا  
قتالهم ، فبينفسى أن تقدم هنا مصلحة حفظ النفس ، لأن المصلحة

---

( ١ ) فقه السيره - للدكتور محمد سيد رمضان الهوطى ص ٩٤ .  
بتصرف .

المقابلة ، وهي مصلحة حفظ الدين موهونة ، أو منغية  
الوقوع (١) .

ويقول المرز بن عبدالسلام حرمة الخيوى فى مثل هذا  
الجهاد قاتلا :-

( فاذا لم تحصل الكفاية وجب الانهزام ، لما فى  
الثبوت من فوات النفس ، مع شفاء صدور الكفار ، وارغام  
أهل الاسلام ، وقد صار الثبوت هنا مفسدة محضة وليس  
فى طيها مصلحة ) (٢) .

ويقول الدكتور البوطى تمليقا على هذا :-

( قلت : وتقديم مصلحة النفس هنا من حيث الظاهر  
فقط .

---

(١) انظر : ( ضوابط المصلحة فى الشريعة الاسلامية -  
د . البوطى ص ٢٦١ ) .

(٢) المرجع السابق ص ٢٦١ ، نقلا عن ( قواعد الأحكام فى  
صالح الأنام ج ١ ص ٩٥ ) .

أما من حيث حقيقة الأمر ، ورماء البعيد ، فإنها في الواقع مصلحة دين ، إذ المصلحة الدينية تقتضي - في مثل هذه الحال - أن تبقى أرواح المسلمين سليمة ، لكي يتقدموا ، ويجاهدوا في الميادين المفتوحة الأخرى ، والا فإن هلاكهم ليعتبر اضرارا بالدين نفسه ، وفسحا للمجال أمام الكافرين ليقتحموا ما كان مسدودا أمامهم من السبل (١) .

وتحصل من هذا أنه يجب المسالمة والاستمرار بالدعوة ، إذا كان الجهر ، أو القتال مضرا بها ، ولا يجوز الاسرار في الدعوة إذا أمكن الجهر بها ، وكان ذلك ممكنا مفيدا .

ولا يجوز المسالمة مع الكفار المترهين بالدعوة إذا توفسرت أسباب القوة للدفاع عنها .

---

( ١ ) فقه السيرة ص ٩٦ .



المرحلة الثانية :-

الجهر بالدعوة ، ولكن بالقول فقط ، وذلك في أول الأمر  
قبل الهجرة الى المدينة ، والاذن في القتال .

قال ابن هشام - رحمه الله - :-

ثم دخل الناس في الاسلام أرسلوا من النساء والرجال  
حتى فشا ذكر الاسلام بمكة ، وتحدث به ، فأمر الله  
رسوله أن يصدع بما جاءه من الحق ، وأن يهادي الناس  
بأمره ، وأن يدعو اليه ، وكان يهين ما أخفى رسول الله  
- صلى الله عليه وسلم - أمره ، واستتر به الى أن أمره  
الله باظهار دينه ثلاث سنين من هجرته ، ثم قال الله  
له :-

( فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ ، وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ) (١)

وقال له :-

( وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ . وَخَفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ

مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ) (٢) . ( وَقُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ ) (٣) (٤)

(١) سورة الحجر آية ٩٤ .

(٢) الشعراء : ٢١٤ - ٢١٥ .

(٣) سورة الحجر : الآية ٨٩ .

(٤) السيرة النبوية لابن هشام ج١ ص ٢٦٢ .

وحيث بدأ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بتنفيذ أمر  
 ربه ، فاستجاب لقوله تعالى : ( فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ  
 عَنِ الشُّرَكِيِّنَ ) بأن صمد على الصفا ، فجعل ينادى : يا بني  
 فهر يا بني هدى ، حتى اجتمعوا ، فجعل الذى لم يستطع  
 أن يخرج يرسل رسولا لينظر ما هو ؟ فقال النبي - صلى الله عليه  
 وسلم - : أرايتم لو أخبرتكم أن خيلا بالوادي تريد أن تغير  
 عليكم أكنتم مصدقي ؟ .

قالوا : ما جربنا عليك كذبا . قال : فاني نذير لكم بين يدي  
 عذاب شديد .

فقال أبو لهب : تبارك سائر اليوم ألهذا جمعتمنا ؟ فنزل  
 قوله تعالى : ( تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ) (١) .

ثم نزل الرسول فاستجاب لقوله تعالى : ( وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ  
 الْأَقْرَبِينَ ) بأن جمع من حوله جميع ذويه ، وأهل قرابته ، وعشيرته  
 فقال : يا بني كعب بن لؤي أنقذوا أنفسكم من النار ، يا بني مرة  
 بن كعب :- أنقذوا أنفسكم من النار ، يا بني عبد مناف  
 أنقذوا أنفسكم من النار ، يا بني عبد المطلب أنقذوا أنفسكم من النار ،

( ١ ) متفق عليه .

يا فاطمة أنقذى نفسك من النار ، فانى لا أملك لكم من الله شيئا  
غير أن لكم رحما سابلها بهلا دها (١) .

وفى الخبر الأول دليل على أن رسول الله - صلى الله عليه  
وسلم - فاجأ كفار قريش بما لم يكن فى حسابهم ، ولم يكونوا  
يتوقعوه ولا ألفوه ، نجد هذا صريحا فى رد أبى لهب عليه ،  
ثم فى اتفاق غالبية المشركين من زعماء قريش على مقاومته .

وفى هذا رد قاطع على الذين يحا ولون تصوير الاسلام  
بشره ، وأحكامه على أنه ثمرة من ثمار القومية ، ويدعون أن محمدا  
- صلى الله عليه وسلم - انما كان يمثل بدعوته التى دعا اليها  
آمال العرب ومطامعهم فى ذلك الحين .

وفى الخبر الثانى ، وهو المتعلق بقوله تعالى فى هذه السورة :  
( وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ) تلميحاً الى درجات المسئولية  
التي تتعلق بكل مسلم ، وبخاصة منهم من يتصدى لواجب الدعوة  
الى الله تعالى .

---

( ١ ) صفق عليه واللفظ لمسلم .

يظهر هذا من السؤال الوارد من أنه كان من الممكن أن لا يأمر الله رسوله بانذار عشيرته ، وذوى قرابه ، مكتفيا بالأمر العام ، وهو قوله تعالى :-

( فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ ) ان يدخل فيه عموم من يصدع أماهمم بالدعوة والانذار ومنهم المشيرة والقرابة .

( فادنى درجة في المسؤولية هي :- مسؤولية الشخص عن نفسه ، وظهر هذا من طول المدة التي استمرت الدعوة فيها سرا ، وربما يطمئن محمد - صلى الله عليه وسلم - الى أنه نبي مرسل ، وأن ما ينزل عليه وحى من الله تعالى ، فهو من هو بنفسه أولا ، ويوطن ذاته على قبول كل ما سيتلقى ممن ينادى وأحكام .

أما الدرجة التي تليها فهي :- مسؤولية المسلم عن أهله وذويه . وتوجيهها الى القيام بحق هذه المسؤولية خص الله الأهل ، والأقارب ، بضرورة الانذار والتبليغ ، بحد عموم التبليغ ، والجهريه .

وهذه الدرجة من المسؤولية يشترك في ضرورة تحطها والقيام

بها كل مسلم صاحب اسرة وقواصة .

وليس من اختلاف بين دعوة الرسول في قومه ، ودعوة المسلم  
في اسرته بين أقرابه ، الا أن الأول يدعو الى شرع جديد  
منزل من الله تعالى وهذا يدعو بدعوة الرسول الذي بعث  
الله ، فهو يبلغ عنه ، وينطق بلسانه ، وكما لا يجوز للنهي ،  
أو الرسول في قومه أن يقعد عن تليفيهم ما أوحى اليهم  
فكذلك لا يجوز لرب الأسيرة أن يقعد عن تليفيخ أهله وأسرته  
ذلك ، بل يجب عليه أن يحطهم على أتباع ذلك حملا ويلزمهم  
الزمام ( ) .

---

( ١ ) فقه السيرة للدكتور البوطي ص ١٠٠ بتصرف كبير .

أما الدرجة الثالثة :-

فهي مسؤولية العالم عن حيه أو بلدته ، ومسؤولية الحاكم عن دولته ، وقومه ، وكل منهما ينوبان في ذلك مناب رسول الله صلى الله عليه وسلم ان هما الوارثان الشرعيان له ، وليس من خلاف بين طبيعة المسؤولية الضوطة برسول الله - صلى الله عليه وسلم - والضوطة بالعلماء ، والحكام فسي الاتساع والشمول ، الا أن الرسول يبلغ وحيا جديدا يوحى اليه من الله تعالى ، أما هؤلاء فيمشون على قومه ، ويهتدون بهديه ، ويلتزمون سيرته فيما يقولون أو يفعلون .

واذا فقد كان - صلى الله عليه وسلم - يتحمل المسؤولية تجاه نفسه ، بوصف كونه مكلفا ، وكان يتحمل المسؤولية تجاه أسرته ، وأهله ، بوصف كونه رب أسرة ، وذا أسرة قريبي ، ثم كان يتحمل المسؤولية تجاه الناس كلهم بوصف كونه نبيا مرسلا من الله عز وجل .

ويشترك مع النبي - صلى الله عليه وسلم - في الأولى . كل مكلف ،

وفي الثانية ؛ كل صاحب أسرة ، وفي الثالثة ؛ العلماء والحكام (١) .

---

(١) فقه السيرة - البوطي ص ١٠١ يتصرف .

ويتضح هذا الترتيب في المسؤولية من السياق فسي  
السورة ، ان أنه تعالى بدأ برسوله ، فتوعده ان دعا مع  
الله لها آخر فقال تعالى :-

( فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَكُونُ مِنَ الْمَعذُوبِينَ ) .

مع أن هذا محال في حقه - صلى الله عليه وسلم - ولكنسه  
فرغى للتقريب - ان كيف ينجو من عذاب الله من يدعو معه  
إلها آخر ، واقرار للمسئولية الشخصية ، ثم أمره بدعوة  
الأقرب فالأقرب من عشيرته وذويه .

قال تعالى : ( وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ) . وذلك

لأنه اذا بدأ بنفسه أولاً ، ثم الأقرب فالأقرب ثانياً ،  
لم يكن لأحد فيه طمأنينة ، وكان قوله أنفع ، وكلامه  
أنجع (١) .

ثم تأتي المسؤولية العامة بعد ذلك في قوله تعالى :-

( وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ . فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ

إِنِّي بِرِيٍّ مِمَّا تَعْمَلُونَ ) (٢) . وفيها بيان من الله تعالى - لنبيه الكريم

في كيفية معاملة المؤمنين ، باللين ، والتواضع ، والرفق والاحسان .

(١) تفسير الرازي - ج ٢٤ - ص ١٧٢ - ط . الأولى .

(٢) الشعراء : ( ٢١٥ - ٢١٦ ) .

وتختتم الآيات بالتوكل على الله تعالى في كل الأمور ، والثقة  
به ، والاعتماد عليه ، وهي أمور لا يستغنى عنها الدعاء  
الى الله تعالى ، في مواجهة العقبات والمصاعب التي تواجههم  
في سبيل بلوغ مقصودهم ، ومرادهم .

( وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ . الَّذِي يَأْتِي بِكَ مِنْ تَحْتِ الْأَرْضِ ،  
وَيَنْزِلُ فِي السَّاجِدِينَ . إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ) (١) .

---

(١) الشمراء : ٢١٧ - ٢٢٠ .



- مناسبة خاتمة -

السورة لما ورد فيها

ونختتم البحث في السورة بما ذكره الامام السيرازي

في مناسبة خاتمة السورة لما ورد فيها .

قال رحمه الله :-

( لما ذكر الله تعالى في هذه السورة ما يزيل الحزن  
عن قلب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من الدلائل  
المظنية ، ومن أخبار الأنبياء المتقدمين ، ثم ذكر  
الدلائل على نبوته - عليه السلام ، ثم ذكر سوءال مشركين  
عن تسميتهم محمدا - صلى الله عليه وسلم - تارة بالكاهنين ،  
وتارة بالشاعر .

ثم أنه تعالى بين الفرق بينه وبين الكاهن ( أولا ) ثم

الفرق بينه وبين الشاعر ( ثانيا ) .

ختم السورة بهذا التهديد المظنم ، يعني :-

أن الذين ظلموا أنفسهم ، وأعرضوا عن تدبر هذه

الآيات ، والتأمل في هذه البيئات فانهم ( سيعلمون ) بعد ذلك

( أَيُّ مَنْظُبٍ يَنْظِبُونَ ) .

وقال الجمهور : المراد منه الزجر عن الطريقة التي وصف

الله بها هؤلاء الشمراء .

والأول أقرب إلى نظم السورة من أولها إلى آخرها

والله أعلم ( ١ ) .

---

( ١ ) تفسير الرازي ج ٢٤ ص ١٧٦ ط. الأولى .

الخاتمة

الخاتمة -

القرآن الكريم بما تضمنه من قواعد الدعوة ، وسبلها ،  
وضوابطها ، وكيفية التعامل مع طبيعة البشر ، ومنزلهم  
- بشكل معين لا ينضب ، ينهل منه الدعاة الى الله - تعالى -  
في كل وقت المنهج ، والأسلوب .

والدعاة الى الله تعالى في هذا العصر المضطرب الذي  
يمتج بالأهواء ، والتيارات الفكرية الضالة الضعفة - أشد  
الناس حجة للمودة الى كتاب الله تعالى ، وتدبره ، ودراسته ،  
واستخراج المنهج الأمثل ، والأسلوب الذي يتناسب مع  
طبيعة العصر ، وتطلباته ، وهذا ما يكفل لهم الوصول الى  
مرادهم . وتحقيق غاياتهم في تلميح الدعوة .

ومن هنا يتضح لنا أهمية دراسة مناهج الدعوة فسي  
القرآن الكريم من قبل الباحثين والمفكرين المسلمين دراسة  
متخصصة تضع الخطط ، والأساليب الناجمة الفعالة  
ويأتي بعد ذلك دور التطبيق العملي عن طريق الدعاة الى  
الله تعالى في ميدان الدعوة .

وهذا البحث المتواضع عن الدعوة في جزء من القرآن  
- في سورة واحدة منه - وان لم يكن خرج على تلك الصورة التي  
تصورتها ، ورسختها في ذهني عند اختيار الموضوع - قد  
جاء طمًا بأكثر مما يتعلق بالدعوة في السورة الكريمة ،  
ولو أنني أردت التوسع في الكتابة في كل جزئية منها ، واستيفاء  
البحث فيها ، لاحتجت الى كثير من لوقت ، والجهد ، مما  
لا يتناسب مع الظروف والمدة المقصورة .

وفي ما يلي أهم ما توصلت اليه من نتائج في هذا

البحث :-

أولاً :- بعد دراسة مقدمة السورة - تبين لي أن الاعجاز  
القرآني يعتبر وسيلة من وسائل الدعوة التي استخدمها  
القرآن الكريم في دعوته لاقتناع المشركين ، وشرغهم  
في الاسلام .

وفي نظري :-

أن الاعجاز في القرآن سيكون له دور بارز في  
الدعوة الى الله تعالى في هذا العصر اذا أحسن الباحثون ،

والدعاة الى الاسلام عرضه وتقديمه ، وتقريبه إلى  
فهم الناس .

ذلك أن الانسان في هذا العصر الذي يزخر  
بالمخترعات العلمية المتكورة ، المذهلة ووسائل الاعلام  
المتكسنة ، الموثورة ، تأثرت عظيمته بهذه الحضارة  
المادية وأصبح لا يؤمن إلا بما هو شير ، ومحسوس ،  
ويهر العقل .

والاعجاز القرآني - وهو جزء من المنهج العقلي في  
الدعوة الى الله تعالى في القرآن الكريم ، يمكن أن يكون  
وسيلة من وسائل الترغيب ، والاقتناع في الدعوة الى الله  
في عالمنا اليوم .

لهذا فاني أدعو الباحثين ، والمفكرين المسلمين  
اليوم ، لدراسة الاعجاز القرآني وتقديمه في مظهر  
يتناسب مع هذا العصر ، وطبيعته .

ثانيا : ظهر من دراسة دعوة الأنبياء - عليهم السلام - من خلال  
القصر في السورة الكريمة ، واستمراغ وقائع دعوتهم

وحدة الدعوة الى الله تعالى في جميع الرسالات ، من  
أول رسول - وهو ( نوح - عليه السلام - ) الى خاتمهم  
محمد - صلى الله عليه وسلم - ويجب أن تسير الدعوة طس  
هذا الطريق من قبل الدعاة الى الله تعالى المهتمين  
بهديهم .

ثالثا : ظهر كذلك - من خلال القصص في السورة - أهمية غرس  
الوابع الديني ، المتمثل في تقوى الله تعالى  
- ان هي الأساس القوي لكل بناء صالح ، وهذا  
ما اتفق عليه الرسل في دعوتهم لا قوامهم ، وساهمت  
السورة الكريمة في اظهاره بشكل بارز يؤكد  
أهميته .

رابعا : أن منهج الأنبياء والرسل الكرام - صلوات الله وسلامه  
عليهم - في الدعوة الى الله بالحسنى ، والكلمة  
الطيبة / والترغيب في نعيم الله والترهيب من عذابه  
وسخطه ، والجدال والمناقشة بالحق هي  
أحسن هو المنهج الأمثل الذي ينبغي للدعاة الأخذ به ،

---

وترسم معالمه .

وله في هذا قدوة برسول الله - صلى الله عليه وسلم - حين أمره تعالى بحمد ذكر الأنبياء السابقين بقوله تعالى : ( أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده )<sup>(١)</sup>.

خامسا : أنه ينبغي لمن يتصدى لواجب الدعوة الى الله - تعالى - أن يتسلح بالحجة ، والبرهان والدليل ، ولا يكتفى بشموره ، وثقتسه من كونه على الحق ، ولا يد للناس من قبول ما يقول .

فالدعوة الى الله - كما أسلفنا - منهج معدد ، يقوم على ضوابط ، وأسس ، وقواعد لا يسد من الأخذ بها ، ومنها - الحجة والدليل - .

والقرآن الكريم يضرب الضل الأعمى في عرضه للحجج والبراهين على ما تضمنه من الدعوة ، وإيراد شبه الشركيين ، وضحدها ، وتفنيدها واحدة تلو

---

( ١ ) سورة الأنعام : الآية ٩٠ .



الأخرى ، رغم أن مقصود المشركين من إيحاء الشبه ليس  
إلا التضليل والتلبيس ، والمكابرة ، كما رأينا في خلال البحث  
في خاتمة السورة .

وأخيرا :-

ان في اتباع كتاب الله تعالى - وهدى رسوله - صلى  
الله عليه وسلم - ما يحقق لأمة الاسلام ، والداعين اليه ماتصبروا  
اليه أنفسهم ، وتتطلع اليه غاياتهم ، من الخير والرشاد  
والرفعة والسود .

---

الفهارس

- فهرس المصادر والمراجع -

( ١ )

الاتقان في علوم القرآن

جلال الدين السيوطي

المطبعة الحجازية المصرية - ١٣٦٨ هـ .

لباب النقول في أسباب النزول

جلال الدين السيوطي

دار احياء الملوم - الطبعة الثالثة - ١٤٠٠ هـ -

٠١٩٨٠

الاستيعاب في أسماء الاصحاب

أبي عمر عبد البر النوري القوطي .

في حاشية كتاب الاصابة - الطبعة الاولى - ١٣٢٨ هـ

أسرار ترتيب القرآن

جلال الدين السيوطي .

بتحقيق : عبد القادر أحمد عطا .

ط : دار الاعتصام - القاهرة - الطبعة الثانية

١٣٩٨ - ١٩٧٨ م

- تبايع فهرس المصادر والمراجع -

اعجاز القوآن

القاضي أبوبكر الباقلاني .

تحقيق السيد أحمد صقر

طبع دار المعارف .

الاعلام

خير الدين الزركلي

الطبعة الخامسة

الاصابة في تمييز الصحابة

الحافظ ابن حجر العسقلاني

الطبعة الأولى - مطبعة السعادة ١٣٢٨ هـ

أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن

محمد الأمين الشنقيطي -

المطابع الأهلية - الرياض ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م

- تابع فهرس المصادر والمراجع -

( ب )

البداية والنهاية

الحافظ اسماعيل بن كثير الدمشقي

طبع - دار الفكر - بيروت ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م

البرهان في علوم القرآن

بدر الدين الزركشي

نشر : دار المعرفة - بيروت

( ت )

تفسير البهر المحييط

القاضي أبي حيان الأندلسي

الطبعة الأولى - مطبعة السعادة بصر ١٣٢٨ هـ .

التصوير الفني في القرآن

سيد قطب

الطبعة الخامسة - دار الشروق ١٣٩٩ هـ -

- تابع فهرس المصادر والمراجع -

تفسير القرآن العظيم :

الحافظ اسماعيل بن كثير الدمشقي

دار المصرفة - بيروت - ١٤٠١هـ - ١٩٨١م

التفسير القرآن للقرآن :

عبد الكريم الخطيب

مطبعة السنة المحمدية - القاهرة

( ج )

جامع البيان عن تأويل آي القرآن

محمد بن جرير الطبري

الطبعة الثالثة - مطبعة الحلبي - القاهرة -

١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م

الجامع الصحيح :

محمد بن اسماعيل البخاري

دار احياء التراث العربي - بيروت .

( ٣٠٠ )

- تابع فهرس المصادر والعراجع -

الجامع لأحكام القرآن :

محمد بن محمد الأنصاري القرطبي

الطبعة الثالثة - دار احياء التراث العربي

١٣٨٢ - ١٩٦٢ م

( ح )

حجة الله البالغة

أحمد بن عبد الرحيم الدهلوي

دار المعرفة - بيروت .

( د )

دراسات في علوم القرآن

د . عبد الفنى الراجحي

طبع - دار المعرفة - بيروت .

الرسالة التدمرية

شيخ الاسلام أحمد بن عبد الحلیم بن تميمه

المطبعة السلفية - الطبعة الثالثة . . ١٤٠٥ هـ

- تابع فهرس المصادر والمراجع -

روح المعاني :

شهاب الدين السيد محمود الأوسى البغدادي  
الطبعة الأولى - المطبعة الاميرية ببولاق - القاهرة  
١٣٠١ هـ.

سنن الترمذى

محمد بن عيسى بن سورة الترمذى  
مطبعة المدني - القاهرة ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م

السورة النبوية :

أبو محمد عبد الطك ابن هشام  
طبع مصطفى الحلبي - القاهرة ١٣٧٥ هـ

السيرة النبوية :

الحافظ اسماعيل بن كثير الدمشقي  
طبع - عيسى البابي الحلبي - القاهرة  
١٣٨٤ هـ.



( ٣٠٢ )

- تابع فهرس المصادر والمراجع -

( ش )

شرح المقيدة الطحاوية

علي بن علي بن أبي العز الحنفي

تحقيق / جماعة من المصلحاء

نشر - مكتبة الدعوة الاسلامية - القاهرة .

( ص )

صحيح ابن حبان

ترتيب الأُمير علاء الدين الفارسي

تحقيق / عبد الرحمن محمد عثمان

الطبعة الأولى - مطبعة المجد - القاهرة . ١٣٩ هـ

صحيح مسلم :

الامام مسلم بن الحجاج القشيري

دار الطباعة المارة - القاهرة - ١٣٢٩ هـ .

( ن )

ضوابط المصلحة في الشريعة الاسلامية

د . محمد سعيد رمضان البوطي

مؤسسة الرسالة - بيروت - الطبعة الثانية ١٩٧٧ هـ .

١٩٧٧ م

( ٣٠٣ )

- تابع فهرس المصادر روالعراجع -

( ط )

الطبقات الكبرى

ابن سعد .

طبعة ١٣٩٨ هـ .

طريق الدعوة في ظلال القرآن

أحمد فائز

مؤسسة الرسالة ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م

( ف )

فتح الباري شرح صحيح البخاري

أحمد بن حنبل المسقلاني

دار المعرفة - بيروت .

فتح القدير

محمد بن علي الشوكاني

مطبعة عيسى الحلبي - الطبعة الثانية ١٣٨٣ هـ

١٩٦٤ م .

( ٣٠٤ )

- تابع فهرس المصادر والمراجع -

الفصل في الطل والأهواء والنحل :

أبي محمد ابن حزم :

دار المعرفة - بيروت - الطبعة الثانية ١٣٩٥هـ -

٠١٩٧٥م

فقه السير :

محمد سعيد رمضان البوطي

دار الفكر - بيروت - الطبعة الثالثة . ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م

في ظلال القرآن :

سيد قطب .

الطبعة الخامسة ١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م دار الشروق

( ن )

الكشاف :

محمد الزمخشري

نشر - دار الفكر - بيروت

- تابع فهرس المصادر والمراجع -

الكشف عن مناهج الأدلة في عقائد أهل الطه :

القاضي ابن رشد الأندلسي

( ٢ )

مجمع الزوائد ومنبع الفوائد :

الحافظ نور الدين طي بن أبي بكر الهيثمي

نشر / مكتبة القدسي سنة ١٣٥٢ هـ .

معاصر التأويل :

جمال الدين القاسمي

دار الفكر - بيروت - الطبعة الثانية ١٣٩٨ هـ -

٠١٩٧٨ م

المسند :

الامام أحمد بن حنبل الشيباني

الطبعة الثانية - طبع المكتب الاسلامي -

بيروت ١٣٩٨ هـ - ٧٨٦١ م

( ٣٠٦ )

- تابع فهرس المصادر والمراجع -

المعجم المفهرس لآيات القرآن :

محمد فؤاد عبد الباقي :

نشر دار احياء التراث العربى

معجم البلدان :

شهاب الدين أبى عبد الله باقوت بن عبد الله

الحموى .

دار صادر - بيروت ١٣٧٤ هـ / ١٩٥٥ م

( ٢ )

مفتاح الخيب

فخر الدين السرازى

المطبعة المهيبة بصر - الطبعة الأولى

مقدمة ابن خلدون

عبد الرحمن بن خلدون

نشر : مؤسسة الأطمى للمطبوعات

( ٢٠٧ )

- تابع فهرس المصادر والمراجع -

الطل والنحل :

محمد بن عبد الكريم الشهرستاني

طبعة دار المعرفة - بيروت ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م

مناهج الجدل في القرآن الكريم :

د . زاهر عواين الأحمسي

مطابع الفرزدق - الرياض - الطبعة الاولى

المنقذ من الضلال :

أبي حامد الفزائلي

بتحقيق د . عبد السلام محمود

دار النصر للطباعة - القاهرة

( ن )

النبوة والانبياء في ضوء القرآن

أبي الحسن الندوي

دار القلم - الطبعة الخامسة ١٤٠٠ هـ . . -

٠ م١٩٨٠

( ٣٠٨ )

- تابع فهرس المصادر والمراجع -

النبوة والأنبياء :

محمد طلي الصابونى

نشر مكتبة الفيزالى - الطبعة الثانية : ١٤٠٠ هـ

٠١٩٨٠

النهاية فى فريب الحديث الأثر :

لابن الأشهر

طبع / عيسى الباهى الحلوى - القاهرة .

**- فهرس الموضوعات -**





فهرس الموضوعات -

| الصفحة | الموضوع                                                 |
|--------|---------------------------------------------------------|
| ٢      | ( ١ ) المقدمة :-<br>الموضوع                             |
|        | ١ - الباعث على اختيار الموضوع .                         |
|        | ٢ - المنهج المتبع في الرسالة .                          |
|        | ( ٢ ) التمهيد :-<br>الموضوع                             |
| ١١     | أ - نزول السورة الكريمة وموقعها من سور القرآن .         |
| ١٢     | ب - مناسبتها للسورة التي قبلها .                        |
| ١٧     | ج - بيان المكي من المدني وما ورد فيها من أسباب النزول . |
| ٣٠     | د - موضوع السورة الكريمة واتجاهها .                     |
|        | ( ٣ ) الباب الأول :-<br>الموضوع                         |
|        | ( مقدمة السورة )                                        |
|        | وفيه فصلان :-                                           |
|        | الأول : الأحرف المقطعة فاتحة السورة الكريمة وما فيها من |
| ٣٩     | التحدى والاعجاز . . .                                   |
| ٦٠     | الثاني : الدعوة في مكة في صدر السورة . وفيه مبحثان :-   |
|        | أ - تسليم الرسول - صلى الله عليه وسلم - والتخفيف        |
| ٦١     | عنه لما لقي من أذى المشركين وأهواضهم .                  |



- تابع فهرس الموضوعات -

| <u>الصفحة</u> | <u>الموضوع</u>                                          |
|---------------|---------------------------------------------------------|
| ١٩٤           | ٥ - دعوة صالح عليه السلام :-                            |
| ٢٠١           | ٦ - دعوة لوط عليه السلام :-                             |
| ٢٠٥           | ٧ - دعوة شعيب عليه السلام :-                            |
|               | الفصل الثاني :-<br>~~~~~                                |
| ٢١٥           | خصائص ومزايا دعوة الرسل الكرام في ضوء القصص في السورة . |
| ٢١٦           | ١ - ربانية الرسالة والتكليف .                           |
| ٢٢٤           | ٢ - وضوح الهدف والغاية ، والحمد عن التكليف .            |
| ٢٣٣           | ٣ - التركيز على عقيدة التوحيد وإخلاص العبادة لله وحده . |
| ٢٤٢           | ٤ - التشديد في أمر الآخرة .                             |
| ٢٤٧           | ٥ - المطالبة بالإيمان بالغييب والتشديد فيه .            |
|               | ( ٥ ) الباب الثالث :-<br>~~~~~                          |
| ٢٥٣           | ( خاتمة السورة ) وفيه تمهيد وفضلان .                    |
| ٢٥٣           | تمهيد الباب .                                           |
|               | <u>الفصل الأول</u> وفيه :- دلائل صدق القرآن ونبوة محمد  |
| ٢٥٦           | - صلى الله عليه وسلم - .                                |
| ٢٦٧           | د حنى شبه المشركين حول القرآن .                         |

- تابع فهرس الموضوعات -

| <u>الصفحة</u> | <u>الموضوع</u>                                  |
|---------------|-------------------------------------------------|
| ٢٧٠           | الفرق بين منهج القرآن والنبوة ومنهج الشعراء .   |
|               | <u>الفصل الثاني :-</u>                          |
| ٢٧٣           | الامر بالجهر بالدعوة والاعتراف عن المسكنة بين . |
| ٢٨٨           | مناسبة خاتمة السورة لما ورد فيها .              |
| ٢٩٠           | الخاتمة .                                       |
| ٢٩٦           | المصادر والمراجع .                              |
| ٣٠٩           | فهرس الموضوعات .                                |